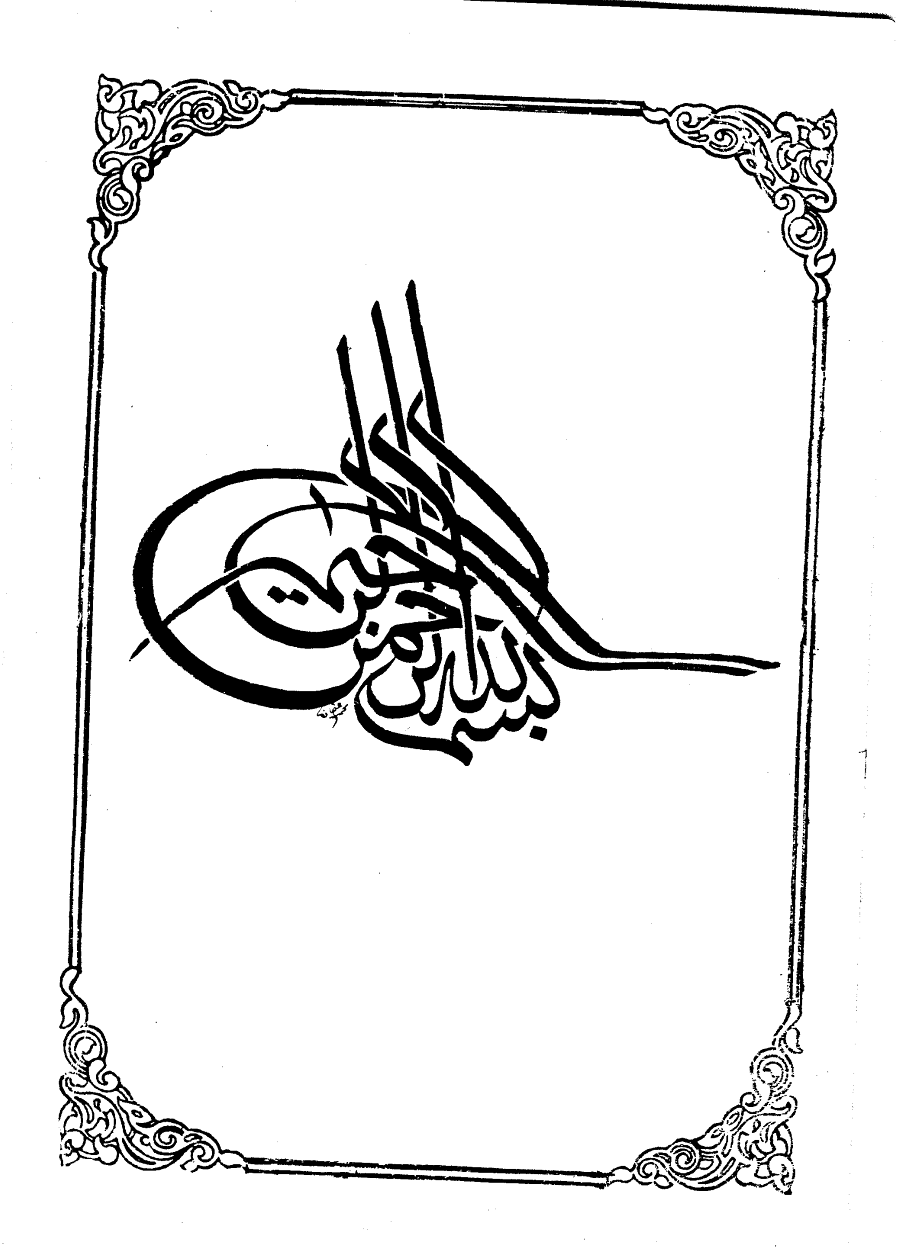
بسم الله الرحمن الرحيم



دكتور محمد حسيني موسى محمد الغزالي


بسم الله الرحمن الرحيم

((إهـــــداء))

الـى : مـــن :

ارتضعت من ألبان فكره ، علما ، وحلما ، وحبـا ...
ونعمت بعبير أريجه ، فاذا هو صفاء ونقاء ومودة ، مـع
تواضـع ومحبـة .

وتفيأت ظلاله الوارفـة ، فاذا هى واحـة نمت فـــى
رحابها أشجار الألفة ، وتفجرت بين جنباتها جـداول
رقراقـة تسيل منها أنهار عطر تعبق الأحبة .

شيخى وشيخ شيوخى ، فضيلة الاستاذ الدكتـــور/

(عـوض اللــه جــاد حجـــازى)

رئيس جامعة الأزهـر الأسبق ، آملا أن تنال مـــن
فضيلته رضا ، وتحوز لديه نوعا من القبـول .

أحـــد تلاميـذك

د / محمد حسينى موسى محمد
الغزالــــى

(تمهيــــــــد)

الحمد لله خلق فسوى وقدر فهدى ، والصلاة والسلام علــــى سيدنا محمد أبان الله له الضلال من الهدى ، فكشف للنــــاس النجاة من الـــروى ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الزهر ، الأعلام الغر ، وأرضى اللهم عن التابعين ومـــن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أجل . قال الله تعالى : " وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " (١) ومع هذا فقد يأتى النذيرون حينا من الدهر بحيث تكون تعاليم اللـه اليهم هى محور حياة الناس ، وتعريفهم خالقهم الله العلى العظيــم جل علاه ، ثم تترى حوادث الدهر ، ويختفى دور الذ يرين بحيــث يقع العبء على الأتباع المخلصين ، وربما كافح المخلصون من الأتبــاع غير أن كفاحهم يفقد مع الأيام بريقه ، وتصير ذكرى بعد أثر ، وأسطورة بعد خبــر .

وربما يقال : ان الله تعهد عباده بالرسل ، فلماذا أبعدهـــم بهديهم عن قوم وأحاط بنورهم آخرين ؟ والجواب: أن اللـــه تعهد المكلفين من خلقه بأمرين ، هما : العقل ، والنبوة .

بحيث جعل مناط التكليف وجود العقل ، وجعل النبوة حافظــة على العقل امكانياته والملــكات ، ومن ثم . فالله تعهـد كل المكلفين بهذين الأمرين معا ، وجعلهما مطردين فى كافة مناحى الحياة .

---

(١) سورة فاطــر الآية رقم ٢٤

بيد أن بعض العقول ربما استنكفت السير مع نور الوحى ، أو رأت فى التخلص منه رغبة طموحا تسرى فى أعماق الأفئدة ، حتى تنطلق الغرائز على غير قيود تغلها ، فاذا كثر فى الناس أمثال هؤلاء ، ولم يجدوا فى أقوامهم من يتصدى لهم ، عاقبهم الله بحبس نور النبوة عنهم حتى يفيقوا من ضلالهم ، ويستيقظ عقلاؤهم لمحاربة خبثائهم الذين كانوا يوما ما سببا فى حبس نور النبوة عنهم .

وقد يتزايد هذا الأمر حتى يسيطر على الناس أمر العقل وحده ، ويصيح العاقل الفطن بقرنائه صيحة مكلوم فى ليل ظليم ، حتى أنه لشدة ما صاح ينقطع منه الصوت ، ولايبقى الا رجع الصدى ، وحينئذ يجد العقلاء فى واقع الحياة ما يدفعهم الى التأمل ، ويقودهم — رغما عنهم — الى اعمال هذا العقل الذى هو منحة الله لعباده ، ولكن أى أعمال ؟! انه بذل مجهود فكرى فى بحث أمور ميتافيزيقية لم ينل حظه فيها من قبل ، ولم يسبق له فيها أمر تجربة ، ولأنها أمور غيبية فان السلامة فى تناولها من جانب العقل وحده - ليست مأمونة العواقب ، بجانب أن التجربة فيها غير ممكنة ، لأن قيد التجربة يقع فيما هو من قبيل المادة وخواصها وهو الطبيعة ، أما الميتافيزيقا فهى ماوراء الطبيعة عند الفلاسفة ، والأمور الغيبية عند المتكلمين .

وطبقا لهذين الاتجاهين سالفى الذكر — الاتجاه العقلى الفلسفى فيما وراء الطبيعة — والاتجاه النقلى القائم على الايمان بوجود ما وراء الطبيعة — انقسم البحث فى الفلسفة ، وتشعبت الأبحاث بصورة غير محددة ، وهذا التشعب تولد عنه مسلاخ غريب

جاء كانتخاب طبيعي لكافة آلام المخاض التي عانت من الحمل غير الطبيعي لأفكار لم تعرف لها آباء ، كما لم يفهم لها غرض ، ومن ثم يمكن القول بأن هذه الأفكار تمثل نوعا من الانحراف الفكري ، ونوعا من الضغط على فهم نصوص النقل المنزل ، حتى كانت النهاية مواجهة الفكر الانساني للنقل الرباني ٠

وقد كانت الاتجاهات المنطلقة أبرز دليل على ما ندعيه ، فمثلا رأينا من ينكر وجود ماوراء الطبيعة معتمدين على أن التفكير العقلي القائم على قواعد العلم أغنى عن هذه التوجهات ، وألغى في اتباعه اتجاههم نحو القوى الغيبية ، بحيث فرض عليهم انكار ماوراء المادة ، وكان هذا هو حال المنكرين ٠

وعلى النقيض رأينا المؤمنين بالغيب يعتقدون بوجود ماوراء المادة ماوراء الطبيعة أو كان اعتقادهم قائما على الايمان بوجود اله عظيم لاتحيط به الأبصار ، ولكن تحاول التعرف عليه الأفكار ، بحيث أنتهى الأمر بهم الى ضرورة اعتقاد وجود اله تلتمس عنده كافة ألوان التوجيه في السلوك ، والولاية على العقول حتى يكون العقل قد عرف دوره وهو محاولة فهم الواجبات الشرعية التي يأتي بها الوحي من جهة الاله الواحد الأحد ، ومحاولة التعرف على حقائق الأشياء والربط بينهما بشكل يعطي نوعا من القصور العام عنها والعلاقات - في ذات الوقت - وهو ما عرف بالتفلسف ، كما عرفت الموضوعات التي يتناولها باسم الفلسفة العامة ، وهما محور بحثنا ٠

بيد أن هذه العجالة ربما طوت فى حناياها دروسا من الأخلاق أو ضمت بين جنباتها بعض معالم الأخلاق ، أو طارت محلقة فـــى دنيا الأفكار حاملة بين جناحيها عبير المودة ، ناثرة على الأمليـــن صدق الحديث ، ووفاء الوعد ، مغردة بترانيم العفة ، فى معيـــار اسلامى يقود الى الفضائل ، ويدفع بعيدا عن الرزائل ٠ وهو الذى هدفت اليه من بحثى هذا ، والله أسأله التوفيق والعون والســداد انه نعم المولى ونعم النصير ٠

المولـــف

غزالة الخيس — مركز الزقازيق — شـــرقية
" غرة رجب الفـــرد عام ١٤١٦هـ

(القسم الأول)

(مقدمات عامة لابد منها)

(القسم الأول)

" مقدمات عامة لابد منها "

قبل الخوض فى مسائل الفلسفة العامة يحسن بنا أن نلم بالمقدمات التاليـــة :

١ - ما هو التفلسف باعتباره ظاهرة انسانية عامة ؟

سأحاول تحليل هذه العناصر باعتبارها ظواهر كلامية مرة ، وأخرى باعتبارها مفردات تحمل من المعانى ما يجيش داخلها وثالثة باعتبار مدلولها الفلسفى الذى يعتصم داخل المعانى المقصودة .

٢ - دوافع التفلسف .

وهى أنواع منها مايخص الفيلسوف ، ومنها ما يخص القضية المطروحة ، ومنها مايخص جانبا من جوانب علاج المشكلة التى هى قيد البحث .

٣ - خصائص النظرة الفلسفية .

وهذه الخصائص ماتحدث به الأقدمون ، ومنها ماهدف اليه مفكرو العصور الوسطى ، وكان مفكرو المسلمين من أرقى وجهات النظر فى المسألة ، ولكنى سأذكر الخصائص العامة .

٤ - بيان وظيفة الفلسفة .

٥ — فائدة الفلسفة .

وحيث أن هذه المقدمات قد غرق فيها أناس كثير ، فما من شك في أن تناولها وانتشال ما حولها من غرقى الأفكار والمعتقدات يصبح أمرا ضروريا ، وهو الذى أقدم هذه المقدمات لخصوصه ، فلنبدأ بأولها ، والعون من الله .

(المقدمـــــة الأولـى)

(التفلسـف ظاهـرة انسـانية عامـــــة)

(المقدمــة الأولــى)

(التفلســف ظاهــرة انسـانية عامــة)

أ ـ ماهو التفلسـف ؟

هذا سؤال ضرورى تبدو اجابته فى أن التفلسف هو " البحث عن حقائق الأشياء وأصولها ، وعلاقة بعضها ببعض ، وهذا العمـــل لايخلو منه أى انسان الا من شغلته لذته وشهوته عن البحث والتفكير أو كان ناقص العقل بعيدا عن التأمل والنظر " (١) .

اذن التفلسف ميدانه حقائق الأشياء ، وموضوعه العلاقات التـى تربط بعضها بالآخر ، وغايته الوصول الى جواب كاف تتضح به هـذه العلاقة ، ولما كانت هذه الأمور الثلاثة يقع فيها التناسب ، فانه مـن الضرورى أن يقع التمايز بين المفكرين فى المسألة ، كما أن بينهـم تمايزا فى تناول البحث وأصول التفكير ، وهذا قاسم مشترك بين كافة الناس ، اللهم الا من كانت اللذات عندهم هى الغرض والغايـة ، والهدف الذى يتأتى لهم الوصول اليه ، كما لاتخبو جذوة التفلسـف فى أعماق انسان ما ، اللهم الا أن يكون واحدا تغلب لذته عقلـه ، أو يقف عقله عاجزا عن فهمها ، لكونها أعلى من امكانياته مرة ، أو أنه غير مدرب على تناولها مرات بحكم عطلة عقله أو عدم قدرته على التأمل ، أو كان ناقص الأهلية لمعالجة هذه المسائل غير المحسوسة لكونه حصر نفسه فى ميدان الحس وحده ، وهو ما يعرف بالظاهرة الانسانيـة العامة فى التفلسـف .

---

(١) الدكتورين / عوض الله جاد حجازى ، محمد السيد غنيم ـ فـى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦ ط ٢ .

اذ ن لم يخل مجتمع بشرى من ظاهرة التفلسف ، كما لم تخرج أمة عن هذا الاطار ، وانما كان للتفلسف من المظاهر ماحدا بالكثيرين الى الاعتراف بأن الظاهرة تجاوزت حدود المكان الى المجتمع كله ومن تناول موضوعات محددة الى ذكر موضوعات كلية ومسائل شاملة تخص الدين والآخرة ، كما تخص العالم المادى والروحى معا .

من ثم بيان : أن التفلسف ظاهرة انسانية عامة .. أما كيف ؟ فلمايلى :

أولا : ان الفكر قاسم مشترك بين كافة المخلوقات العاقلة فى أجناسها وأفرادها ، وهو سمة مميزة لنمط التفكير عند كل منها. فالانسان يفكر بطريقته التى هيأها الله له ، وكذلك الجن يفكر وله نمط فكرى يتناسب مع الامكانيات التى خلقت له وتسرى فى مكلفى أفراده ، وكذلك الملائكة لهم نمط فى التفكير ، يقوم على محاولة فهم أرقى أساليب العبادة الحقة لله رب العالمين ، ولما كان موضوعنا هو التفلسف كظاهرة انسانية ، فانا سنقتصر البحث فيها وحدها تاركين غيرها حتى لايتسع البحث ويتشعب .

ثانيا : ان الظاهرة هى الأمر الذى يفرق بين أفراد معينيين ، فاذا التقى كل هؤلاء وجمع منهم كل ماتفرق فى أفرادهم ظهرت صورته وبدت معالمه ، فمثلا تلبد الغيوم فى مكان ما ، ثم تلبدها فى مكان آخر ، وثالث وغيرها يطلق عليه المتخصصون اسم الظاهرة الجوية ، وكذلك ارتفاع الحرارة فى بلد ما ، ثم ارتفاعها فى بلد آخر وثالث .. الخ يطلق عليها الظاهرة الحرارية . فاذا

انتقلنا من المحسوسات الى المعقولات ، وضربنا مثلا بشخص يئن من ارتفاع الأسعار ، ثم يأتى غيره ، وثالث ، ورابع ٠٠الخ فان الأمر هنا يطلق عليه ظاهرة الشكوى من الأسعار ، وكذلك الحال فى كافة الظواهر التى من هذا القبيل ،" ولكل علم ظواهره التى يدور بحثه حولها " (١) ٠

من ثم ٠ فان الظاهرة مشترك لفظى يطلق على كثيرين من حيث هو اسم ، ويتميز كل صنف منها بالوصف أو الاضافة أو هما معا ، فيقال : الظاهرة الأدبية : متى شاعت دراسة الأدب بين قوم ، وبرع أفراده فى شعره ونثره ، واهتموا بقصصه والمسرح كما يقال الظاهرة اللغوية : متى قامت دراسة المفردات على قدم وساق بين أفراد قوم من حيث بنية الكلمة ، ومدى سلامة حروفها عن أوجه الشذوذ والاضطراب والأعلال ، كذلك يقال : الظاهرة الفكرية ، والظاهرة الجوية ، والظاهرة الفنية ، والظاهرة النحوية والظاهرة القانونية ، والظاهرة الاعلامية والخطابية ، والرياضية ٠٠٠ الى غير ذلك من الظواهر وكظاهرتى الحذف والاضافة وغيرهما مما هو موجود فى كتب العلم والمطولات ومنها ظاهرة التفلسف ٠

ثالثا : ان ظاهرة التفلسف تجمع كل هذه الظواهر من حيث هى عملية فكرية بحيث يمكن القول بأن ظاهرة التفلسف هى أم الظواهر ، وأنه لايوجد شعب الا وفى أفراده ظاهرة التفلسف تسرى حتى

(١) المعجم الوجيز مادة ظ هـ ر ص ٤٠٢

حتى ولو كان مهندسا أو طبيبا أو مزارعا أو أديبا ، أو عالما نحويا أو فقيها ، أما لماذا ؟ فلأن هؤلاء وغيرهم يهتمون بالبحث عن حقائق الأشياء التى يتعرضون لها بالبحث والدرس ، ثم يبحثون عن أصول هذه الأشياء موضوع البحث ثم علاقة هذه الأشياء بغيرها من المنبثات فى الكون الواسع الرحب ، وهو نفسه التفلسف بمعناه الدقيق ، ولنقدم دليلا على ما ندعيه ٠

* اقامة الحضارات وازدهارها :

اتفق جمهرة الباحثين على أن الشرق القديم قد سبق الى ابتداع حضارات انسانية مزدهرة ناضجة (١) ، ومن المعلوم أن أية حضارة انسانية تقوم فى أغلب حالاتها — على أساسين أثنين هما القواعد البحثية التى تمثل المركز فى البناء الحضارى والتى هى فى الغالب الأعم جملة من المشاهدات التجريبية سواء التى أنتهت الى نتائج مقبولة ، أو وقفت على باب الأمل والرجاء تنتظر النتائج ٠

أما الأساس الثانى فهو النظر العقلى المجرد القائم على التأمل وتدفع اليه الرغبة الملحة للكشف عن المجهول ، وهذان الأمران وجدا مع كل حضارة انسانية عامة ، اما اذا كانت حضارة انسانية تقوم على قواعد شرعية ، فان الأصل فيها يكون التفكير الدينى فى المعقولات ، والايمان بما وراء الطبيعة كالحضارة الاسلامية التى شادها الرسول صلى الله عليه وسلم وحافظ عليها المسلمون من بعده ردحا من الزمان

(١) الدكتور / توفيق الطويل — مدخل الى الفلسفة ص ٣

حتى وقع الخلفاء ، اذن اقامة الحضارات يمثل مظهرا من مظاهـــر التفلسف ٠

الكشـــوف العلميـــة :

الكشوف العلمية تمثل مظهرا من مظاهر التفلسف ، ذلـــك لأن - القائمين بها تقودهم في الغالب - رغبة الكشف عن المجهول والتعرف على أسراره ، وتقوم بين الرغبة الملحة والأسباب الطبيعية علاقة قويـــة تربط بين الأسباب ومسبباتها المادية في أحوال الكون من ناحيـــة وجودها ، كما تربط بينها - الأسباب والمسببات في حالة عدمهـــا ٠ وبالتالي فان العلاقة الأساسية بين الكشوف العلمية والنتائج هـــي التفلسف في صورته الأصلية التي يعبر عنها مظهر خارجي ٠

على أنا نقول : أن الأشياء المادية تمثل لونا من التفكير المـــادي كما أن العلاقة بين الماديات تمثل الجانب الروحي ، ولذا قيل : " أن الفكر البشري ظل منقسما بين تيارين أثنين :

١ - مثالـــي ٠ روحي وهو الجانب الديني ٠
٢ - مـــادي ٠

وقد توزعت على هذين التيارين كل المذاهب الفلسفية من القـــدم وحتى عصرنا هذا ، فلا يخرج تفكير فلسفي عن أن يسلك تحت واحـــد من هذين التيارين ، أو يجمع بينهما معا " (١) ٠

---

(١) الدكتور / عبد المعطي محمد بيومي - جذور الفكر المادي ص ٤ ط ١ دار الطباعة المحمدية ١٩٨٤م ٠

نخلص مما سبق الى ما يلى :

(١) ان التفلسف ظاهرة كغيرها من الظواهر وان كانت هى الأصل •

(٢) انها انسانية ، تشيع فى الجنس البشرى ، وان اختلفت درجاتها فى أفراد ، قوة وضعفا •

(٣) أنها عامة ، لاتتقيد بوضع معين ، أو ثقافة محددة لأن منهـــا أساطير ومعتقدات وتأملات بدائية ، كما أن منها دقائـــق العلوم والفنون العملية والنظرية ، كما أن لفظ العام معنـــاه الشامل ، وعلى هذا يتلاقى لفظا انسانية وعامة مع لفظ ظاهـــرة فى الألفاظ اللغوية ، والدلالات الفنية ، هذا عن التفلســـف باعتباره ظاهرة عامة •

(المقدمـــة الثانيـــة)

(دوافـــع التفلســـــف)

(المقدمــة الثانيــة)

(دوافــع[1] التفلســـــف)

لاشك أن للتفلسف بواعث تكمن بداخل الفيلسوف ، وأخرى تعايش الموضوع المطروح كيدان يجرى عليه البحث ، وحديثنا ههنا عـــن ما يكمن داخل الفيلسوف نفسه كدوافع له نرتبها على النحو التالى :

الأول : وجود القدرات العقليــة :

ذلك أن العقل "نور روحانى به تدرك العلوم الضرورية والعلـــوم النظرية " ولهذا العقل قدرات وامكانيات متى وجدت لدى شـــخص قادته الى اعمالها فى الأمور المحيطة به ، ومحاولة استعمالها فـــى الأمور التى يدركها عقله ولو بأثارها ، لأن هذه القدرات لايمكـــن اهمالها الى النهاية ، بل ان القدرات العقلية تسوق صاحبها الـــى محاولة التعرف على كافة ما يحيط به ، " ورغبته فى معرفة حقيقـــة وجوده " (٢) على أقل تقدير ، اذن وجود القدرات العقلية لدى شخص وسلامتها فيه من دوافع التفلسف بصفة عامة حتى قيل : " ان الميتافيزيقا كاستعداد طبيعى للعقل تكون واقعية " (٣) .

الثانى : وجود الحواس الظاهرة وسلامتها :

ذلك أن الانسان سليم الحواس تدفعه حواسه من سمع وبصر وشـــم ولمس وغيرها ، الى محاولة التعرف على ماتقع عليه هذه الحواس ، بـــل

---

(١) الدوافع جمع لاسم الفاعل ومفردها دافع ، والدافع هو مايقود الـــى فعل شيء أو الكف عنه .

(٢) د / عبد الحميد مدكور — محاضرات فى الفلسفة ص ٥ مكتبة الزهراء ٣١ ٨

(٣) عمانويل كنت . مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلةص ٢٠٩ ترجمة د . نازلى اسماعيل

انها تنبه فيه احساسا بما حوله من كائنات أرضية ، أو ظواهر جوية ، أو آيات كونية ، وربما ظن الناظر اليها أن فيها نوعا من التناقض وبخاصة اذا تأملها كظواهر متعددة متباعدة من ثم تبدو متناقضة فتثير لديه رغبة كامنة تبعث على الدهشة وتقود الى الاستغراب ٠

فمثلا يرى ببصره النجوم المتألقة ، والأمطار المغرقة ، والجبال الشاهقة ، والأنهار التى تفيض بالماء ، وفى ذات الوقت يرى الأنهار الجافة ، والصحراء الجرداء ، والفيافي والقفار ٠ ثم يسمع حركة الرياح الثائرة ، والرعود المبرقة ، كما يشعر بدفء الشمس المشرقة ، وبرودة الجو القاسية ، وهى فى ظاهرها تناقضات تدفعه الى محاولة التعرف على أسبابها الظاهرة ، وعللها الخفية ، ليصل فى النهاية الى معرفة تطمئن اليها نفسه ٠

ولولا سلامة الحواس ، وضبط القدرات العقلية ، ماكان هذا التفلسف الذى يمكن وضعه فى قالب الفكر التأملى الذى " يتميز عن التأمل المجرد الكسول ، بأنه لاينفلت أبدا من تجربة الحياة ٠٠ ولكنه مرتبط بها ، لأنه يحاول تفسيرها " (١) ٠

ويعلل العلماء ذلك بأن الانسان منذ وجد على ظهر هذه الأرض وحواسه الظاهرة من السمع والبصر واللمس وغيرها تنبهت فيه الى احساس

---

(١) هـ ٠ فرانكفورت وآخرين — ماقبل الفلسفة ص ١٤ ترجمة جبر ابراهيم جبر — منشورات مكتبة الحياة — بغداد ٠

ماحولها ، فقد رأى الانسان بعينه النجوم المتألقة ، والشمس المشرقة ، والرياح والأمطار والجبال وفيضان الأنهار ، وأحس بما حوله من ظواهر متعددة تبدو فى الظاهر متناقضة ، فأثارت هذه المشاهد وغيرها فى نفسه الدهشة والاستغراب ، فأمعن النظر فيها مريدا بذلك أن يصل الى معرفة أسبابها وعللها ، فأخذ يفرض لذلك الفروض ، ويقيم عليها الأدلة ، رغبة فى الوصول الى حقائقها وأسباب وجودها " (١) .

فالنتيجة التى يمكن قبولها هى أن الحواس السليمة كانت دافعا من دوافع التفلسف عبر تاريخ الفكر الفلسفى الممتد حتى الوقت الحاضر . كما لاعبرة بالحواس غير السليمة لأنها كالمفقودة تماما ، ولذا قيل :"حينما تصل الى مستوى المعروضات التى تعرض عليك بواسطة الحواس حينئذاك يمكن أن يقال ان لديك غرضا ما " (٢) ويثبت أن لك حواسا وأنها تعمل بجد ونشاط ، وتصير فيما بعد دافعا من دوافع التفلسف .

الثالث : الغرائز(٣) المتعددة :

فى الانسان غرائز متعددة منها غريزة حب التملك ، وحب البقاء والدفاع عن النفس ، وحب الاستطلاع ، الى غير ذلك من الغرائز التى

---

(١) د / عوض الله جاد حجازى ، د / محمد السيد نعيم - فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦ ط ٢ .

(٢) ا . ا . كيلر . المعلم الأول أرسطو ص ١١٨ ترجمة محمد زكى حسن مكتبة الخانجى بمصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

(٣) الغرائز جمع مفردة غريزة : وهى : الطبيعة والسجية ، وفى علم النفس الغريزة : "صورة من صور النشاط النفسى ، وطراز من السلوك أساسه الفطرة والوراثة " المعجم الوجيز مادة غرز ص ٤٤٨ .

أفاض المتخصصون الحديث فيها والانسان مفطور على كشف الأستار ومحاولة التعرف على الأسرار ، وان لم تكن فى شكلها العام نفس العلاقات التى تربط بين الأشياء ، وتؤكد الوصول الى الحق فيها ، أو تحاول الوصول اليه .

بيد أن بعض الغرائز قد يكون لها من التأثير القوى ما يجعلها سيدة على غيرها فى ذات الموقف ، ومنها غريزة حب الاستطلاع " تلك الغريزة التى تدفعه دائما الى تعرف الأشياء والبحث عنها ، وعلاقتها بعضها ببعض " (١) وربما أطلق عليها اسم " الوجدان المحرك " الذى يمثل " تكامل كل من الشعور والوجدان والنزوع " (٢) ، فى الحالة الواحدة ، وهذا ما يبدو بوضوح فى مسألة التفلسف التى نحن بصدد الحديث عنها ، اذن الغرائز تمثل دافعا من دوافع التفلسف ، وان كان ذكر غريزة حب الاسطلاع لايغنى عن ذكر كلها ، وانما من باب على نظائرها تقاس الأشباه .

الرابع : محاربة الموروث الفاسد :

من أبسط المعلومات أنه فى كل زمن فكرى تورث معلومات غير صحيحة بعضها راجع الى الأساطير وماكان من قبيلها ، واستقبله الناس أول الأمر على أنه من قبيل الدعابات التى يقصد بها استهلاك الوقت ، أو أنه لا تأثير له فلا خوف منه ، ثم يسرى بين الناس سريان النار فى الفحم

---

(١) د / عوض الله جاد حجازى وآخر . فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص٨ الطبعة الثانية .

(٢) د / أحمد عبد الحليم عطية — القيم فى الواقعية الجديدة ص ٢٤٣ ط دار الثقافة والنشر بالقاهرة ١٩٨٩م .

حتى اذا طوى عليه الزمان صفحة من صفحاته تلقاه الآخرون على أنه ميراث يجب الاعتناء به وترديده ، من غير نظر الى صحته من سقمه أو صدقه من كذبه ، ومن غير نظر اليه على النحو الذى كان يتعامل به السابقون ، وتلك هى الطامة الكبرى ، والغريب أن هذا الموروث الفاسد لايخضع لنظام ثابت ، فقد يكون فى العلوم النظرية ، وربما فى العملية ، وربما اعتصم حينا من الزمان بالفنون والآداب وغيرهما من العلوم ٠

فمثلا ٠ ظل العلم المادى يقرر أننا اذا ألقينا بحجرين مختلفى الوزن من مكان عال ، فان الأثقل منهما سوف يسقط أولا ، بينما الأخف يليه ، وذلك بناء على أن الأثقل قدرته على النزول أسرع٠ وظلت هذه الفكرة سائدة ورغم التقدم العلمى واثبات جاذبية الأرض وأن الأرض هى التى تجذب الأجسام اليها ، لم يجرؤ أحد على رد هذا القول ، حتى جاء فدائى أخذ بيد الناس الى برج بيزا الشهير (١) ، وألقى بحجرين مختلفى الوزن دفعة واحدة فوصلا الى الأرض فى وقت واحد ، لأن جاذبية الأرض واحدة بالنسبة لكليهما ، وقد رآه من حضر الواقعة ، ومع هذا فالفدائى أحرق لأنه خالف موروثا قال به الأقدمون من أن سرعة النزول ترجع أولا أو آخرا الى ثقل الحجر وليس الى جاذبية الأرض " (٢) ٠

---

(١) الحادثة مشهورة فى كتب الفلسفة وبخاصة أثناء الحديث عن الفلسفة فى العصور الوسطى ٠

(٢) يمكن الرجوع الى نظرية الجاذبية ففيها كلام علمى بتوسع واستفاضة٠

والأساطير فى ذلك الشأن كثيرة ، أجل أحرق جاليليو ، وكوبر نيقوس ضحايا للعلم ومحاربة الموروث الفاسد ، ولكنهما فى ذات الوقت دفعا غيرهما للتأمل فى المسألة وغيرها من المسائل حتى اذا جاء اينشتاين وقرر وجود علاقة بين جاذبية الأرض وثقل الأجسام ، وحددها بنظرية النسبية التى تلاها استخدام نظرية التناسب ، كان اينشتاين بهذا الفعل قد وشق عرى البحث العلمى ، وحرب الموروث الفاسد ، وأثبت أن التفلسف من دوافعه محاربة الموروث مادام فاسدا ٠

وفى العلوم النظرية الكثير من الأساطير ، فأسطورة — المعبد الحجرى"[1] التى تحدد عمر الكون طبقا للأحجار الخمسة والأربعين ، والتى ظل الكهنة يرددونها دفعت الكثيرين لاعادة النظر فيها وعلاقتها بالزمان والمكان والحركة حتى بان أنها أسطورة ولا أساس لها من الصحة ٠

كما شاع حديث خرافة والشرموطة الزرقاء ، وأبو رجل مسلوخة ، وأم بزار حديد (٢) وكلها وأمثالها من الأساطير التى انطلت بعض الوقت على بعض البسطاء بأن فسادها ومنها أبو كف يهودى ، وأم بطن حامض " ، وغيرها مما لم يقنع العقل البشرى به ، ولم يصدقه وانما أنطلق يبحث عن نشأة هذه الأساطير ، ولماذا وعلاقتها بالسبب الذى حكيت له ، وهو بهذا العمل انما يؤدى دوره فى التفلسف على الطريقة التى أنتجها لنفسه٠

---

(١) للمزيد يمكن الرجوع الى رسالتنا للدكتوراه — الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى — بجامعة الأزهر عند الحديث عن عمر الكون بداية ، ونهاية ٠

(٢) هذه الخرافات تعيش فى وجدانات بعض ريف مصر ويمكن الرجوع الى كتاب العلاقة بين الخرافة والأسطورة ، ففيه كلام طويل ٠

الخامس : حب المعرفـــــة :

أجـل · الجهل شر مستطير ، وعذاب كبير ، وان استراح الجاهل به ، الا أنه يشقى فيه ، لأنه على الأقل لايعرف حدود جهله ، ولـــو عرفها لتحول من الجهل الى العلم ، وهذا التحول الذى يقوم بــــه الجاهل هو نفسه صورة بسيطة للتفلسف رغم أن محاولته ليست الا فتــح باب يعرف منه حدود جهله فقط ، وليس الاحاطة بها أو طرق العــــلاج ومع هذا فان هناك حكمة تتردد على الألسنة منسوبة الى " لامور " الذى يقول : من جهلنا نخطئ ، ومن اخطائنا نتعلم " ·

اذن حب المعرفة يمثل حقيقة ثابتة عند العقلاء ، وان تفاوتـــــت درجاتها قوة وضعفا ، حتى تبدأ من المحسوسات ، وترتقى الــــــى المعقولات ، تبدأ من أبسط قضايا الفيزيقا وترقى أدق قضايا الميتافيزيقا أما لماذا ؟ فلأن " مستوى العقل أعنى : قوة المقارنة والعمليـــــات الحسابية العددية والتبصر " وترتيب حياة الفرد وفق قاعدة متوخاة تلك القوة يبديها الانسان " (١) كوسيلة من وسائل حبه للمعرفة ·

ورغم أن حب المعرفة فيه محاربة للأساطير ، ولكنه لايتنافى معـهـا ، اذ أنه فى محاولاته يهتم بابراز جوانب الصحة فيأخذ بها ، والفســـاد فينحيها بعيدا عن طريقه ، وتلك العملية لابد له فيها من قوانين حاكمة وقواعد ثابتة يسير عليها ، بحيث يتمكن فى النهاية من التميز بدقـــة ، والمعروف أن فحص الأشياء والتميز بينها واثبات صحتها من علتها هو نفسه التفلسف فى احدى صوره ·

---

(١) ١٠١ · طيلر المعلم الأول أرسطو ص١١٧ نقله من الانجليزية الى العربية محمد زكى حسن مكتبة الخانجى ١٩٥٤م ·

لكن هل للمعرفة حدود يمكن أن تقف عندها ؟ والجواب أن المعرفة لاتحد من حيث هى اكتساب معارف جديدة ، وان كانت تحد بالنسبة للعارف نفسه ، لأنه محدود فمعرفته كذلك من حيث هى معرفة ، ولذلك يقال : أجيبك فى حدود معرفتى ، أو هذا على قدر ما أعرف ، وبالتالى فاكتساب المعرفة لايتوقف متى كان صاحبها طالبا لها ، ويمكن القول بأنه مايزال محافظا على دافع من دوافع التفلسف عنده .

بيد أن هذا يسلمنا الى نقطة هامة وهى أن عملية التفلسف بجانب كونها نسبية فهى كذلك شخصية ذات طابع خاص يرجع الى التفلسف نفسه كدافع عنده ، لأنه من الواضح القول بأن " كل فيلسوف له الحق فى أن يبدى مايشاء من الآراء مادامت هذه الآراء مصحوبة بالدليل والبرهان " (١) ومرجع ذلك عندى لحب المعرفة المحدود فى العارف نفسه من حيث هو امكانيات حسية ، وعقلية ، وشعورية ، وليست من حيث هى موضوعات العلم نفسه ومن ثم . يمكن القول بأن حب المعرفة يمثل دافعا من دوافع التفلسف .

السادس : الدهشة والاستغراب :

يذكر أن أرسطو قال : " ان الدهشة أول باعث على الفلسفة " (٢) لكن ماهى الدهشة ؟ الجواب : انها مايصيب الانسان فيجعله يتحير ويتوقف تفكيره من وله أو فزع (٣) ، وليس معنى هذا أن يتوقف التفكير للأبد ، ولا كان الجنون أو الموت ، وانما توقف عارض من حدة ما قابله أو شدة ما لاقاه ، ثم ما يلبث أن يعود الى ما كان عليه بعد أن يترك الموقف المفاجىء عنده أثرا له تبرز ملامحه فى محاولة التعرف على أسباب الدهشة كموقف مفاجىء .

(١) د / عبد الحميد مدكور — محاضرات فى الفلسفة ص ٦
(٢) رابو بورت — مبادىء الفلسفة ص ٣ ترجمة الاستاذ احمد أمين .
(٣) المعجم الوجيز مادة دهش ص ٢٣٦ .

من ذلك أن الانسان وجد فرأى نفسه فى هذا العالم الممتلىء بالمخالفات والمتناقضات والأعاجيب التى لايجد فى صدره اجابة لها ، فراح يسأل نفسه من أين ، والى أين ، وكيف ، ولماذا ؟ هذه التناقضات قد وقعت على هذا النحو بالذات ، ولما لم يجد اجابة مكتوبة حاول هو وضع اجابات على ما طرح من أسئلة .

غير أن اجاباته لم تكن على نمط واحد ، اذ كلما تقدمت به المعارف تغيرت اجابته لأنها كانت متلائمة مع عقليته ووليدة معارفه ، ولم يكن له من غرض فى كل المحاولات الا محاولة التوصل الى اجابة مقبولة ومقنعة لما طرحه من أسئلة بغية التعرف على حقائق الأشياء ، والعلاقات التى تربط بينها ، والأسباب التى تجمع بين العلل والمعلولات ، أو بين الأسباب والمسببات من ثم كانت الدهشة والاستغراب من دوافع التفلسف ، عند غير المسلمين .

السابع : النقل المنزل :

اذا كان الذى مر ذكره من دوافع كانت تترى كبواعث على التفلسف فان النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كان له دور بارز فى عملية التفلسف يمثل رصيدا لابد منه ، بل أنه عند المقارنة يسبق الجميع أجل إنه يثير مسائل عديدة ، ويحرك أسئلة كثيرة ، لكن الغاية منها التعرف على وجود البارئ جل علاه ، والتعرف على صفاته بماله تعالى من الجلال والكمال ، والتصديق بالبعث وأنه حق ، وأن يوم الجزاء تُقِرُّ به العقول السليمة .

من ذلك قوله تعالى : " أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّـه

بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لايعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم ظلمات البر والبحر ومن يرسل الريح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " (١) .

ولاشك أن هذه الآيات وأمثالها تنقل الانسان من الوجود الرتيب الى العالم الرحيب ، حتى تهديه الى معرفة خالقه جل علاه ، واثبات أنه موجود ، وأنه تعالى واجب له الجلال والكمال والاكرام .

وقوله تعالى : " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأُكُلِ ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون " (٢)

ففى هذه الآية أخذٌ بالعقل الى قدرة الاله الخالق العظيم جل علاه ، فبعد أن ثبت وجوده أثبت كذلك صفاته جل علاه .

---

(١) سورة النمل الآيات من ٦٠ : ٦٤

(٢) سورة الرعد الآية رقم ٤ .

(المقدمة الثالثة)

(خصائص النظرة الفلسفية)

(المقدمــة الثالثــة)

(خصائص النظـــرة الفلســفية)

للنظرة الفلسفية خصائص بها تتميز عن النظرة الأدبية أو العلميــة أو الفنية والفلكية ، وهذا الاختلاف محكه الموضوعات التى تدرس لــدى كل علم ، بحيث يمكن القول : إن طبيعة الموضوع فى كل علم من العلــوم تجعل الباحث فيها يصطنع لها ما يناسبها ، سواء من طرق الدراســة أو مناهجها ، أو صياغتها فى القالب الفنى الذى يخصها وحدها .

والميتافيزيقا كعلم له منحى خاص تقف فيه النظرة الفلسفية بين أترابها الكواعب كدرة العلاء فى مفرق الرأس حتى أنهن يتمنين أن ينلن من حظها ماترفع به عنهن نظرة التطلع حتى يبلغن من المجد ذراه ، وهذه النظـرة تميزت بخصائص منها :

الأولى : الشك والقلق :

أجل طبيعة النظرة الفلسفية أنها تقف بصاحبها عند شواطئ الشـك وربما تتقاذفه لجج القلق حتى يصطفى لنفسه مما يعرض له مشكلة تقوده مـن زمامه الى البحث عن حل ، ان وجود المشكلة فى حد ذاته أمر يجعـــل الفيلسوف يقف منها موقف الشك فى وجودها ، وما اذا كان وجودها حقيقيا أو متوهما ، وحب الاستطلاع فيه يقوده الى اعادة النظر فيها .

فمثلا : نشأة الكون . مم نشأ ؟ الى أين يسير ؟ ما الغاية مـن نشأته ؟ كلها مشكلات حدث الفيلسوف الى إعمال عقله ، وبذل المجهـود

الفكرى لديه بغية تقديم حلول لما رآه مشكلات قائمة جذبته من تلباب فكره وأقامت بداخله شيطان شكه ، حتى أسلمته الى قلق ابتدأ ، وشك لم ينته وهى طبيعة النظرة الفلسفية ٠

الثانية : عدم التعصب للرأى :

شأن علوم كثيرة أن يتعصب الدارسون لها ، يعتقدون صدقها وصحتها ، بل وربما سلامتها من كافة النواحى مع أنها أفكار بشرية أصحابها غير معصومين من الخطأ ، وقضاياها ماتزال على مائدة المفاوضات العلمية مطروحة ، ونتائجها لم تعرف بعد اليقين العلمى ، كعلم طبقات الأرض — الجيولوجيا — وعلم وظائف الأعضاء — الفسيولوجيا ، التى مازالت البحوث العلمية حولها قائمة ، والنتائج الموجودة فيها لم تسلم من النقد وبخاصة من جانب المتخصصين فى هذه الدراسات .

أما النظرة الفلسفية فإنها لاتتعصب لرأى من الآراء ، لأنها تمثل وجهات نظر فى أمر ميتافيزيقى ، والمتعصبون ليسوا فلاسفة ، كما أن تعصبهم لايمثل الحيدة المطلوبة وانما يخالفها ، وكم من فلاسفة كانت لهم جولات علمية وصولات فلسفية ، ومع هذا تركهم غيرهم ، ونحوا آراءهم جانبا ، ولم يتعصب أحد لهم كالحال مع الطبيعيين الأولين الذين كانوا يرون أصل الكون واحدا من العناصر الأربعة مثلا ، بل جاء بعدهم من خالفهم الرأى وقدم ما يراه مقبولا عنده ، وربما جاء خلفه فأهمل ما أعتقد به سلفه ، وتلك من خصائص النظرة الفلسفية ٠

الثالثة : أنها شخصية وقتية :

أما لماذا ؟ فلأن عمل الفيلسوف ينصب على فكره ، وفكره ينعكس على سلوكه ، وسلوكه يحسب له أو عليه ، ولأن النظرة الفلسفية تخضع لثقافة الفيلسوف وظروفه التي يعايش فيها فلسفته ، من ثم كانت شخصية، حتى أنها في غالب الأحيان تنسب الى أصحابها ، فيقال فلسفة أرسطو؛ وفلسفة بيرى ، وفلسفة ابن رشد مثلا .

كما أنها وقتية تتأثر بظروف الفيلسوف والوقت الذى عاش فيه ، والاتجاه العام السائد آنئذ ، لأنه غير صحيح القول : بأن الفلسفة تعيش في برج عاجى بعيدا عن الحياة المحيطة بالفلاسفة ، انما الحق هو أن الفلسفة تعيش حياة المجتمع وتحاول ايجاد حلول لمشاكله التي يمكنها التعرض لها .

ولأنها وقتية فقد سمحت وقتيتها لكثير من الفلاسفة في التنحى عن بعض الآراء التي كانوا يرونها صحيحة وقت ريعان الشباب وثورة الشهرة ،فلما تقدمت بهم السنون وخبرتهم الحياة ، وأضافوا الى خبرتهم الطويلة ثقافة جديدة وعدلوا عن بعض الآراء التي كانت في الماضي محل قبول وترديد .

فمثلا : أفلاطون في جمهوريته كان يميل الى القول : " باعدام الأطفال الزائدين عن الحاجة ، والضعفاء والمرضى ، كأنه ليس لهؤلاء نفوس يجب احترامها " ثم عدل عن هذا الى القول : بأن " النفس أشرف من الجسم فيجب أن يحسب لها حساب قبل النفع المادى والقوة البدنية " (١) .

---

(١) الدكتور / عوض الله حجازى — في تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٢ ص ١٤٢

الرابعة : أنها " موقف تأمل وتفكير " :

ليس من المعقول أن مجرد مشكلة تحتاج الى المواجهة تدفع لايجاد موقف فلسفي ، وانما " لابد من أن تثير المشكلة تفكير الانسان وتخضع لتأملاته التي تستهدف وضع حل لها " (١) اذن مجرد بروز المشكلة الى سطح الأحداث وحده لايمكن ، وانما لابد من تفاعل المواقف المشتركة ، وأعني بها وجود مشكلة ثم البحث الجاد في البحث عن حل لها ، ثم وجود موقف وسط بين المشكلة والبحث عن الحل متمثل في موقف التأمل والتفكير على ما سلف بيانه ، وكل مشكلة ليست من هذا القبيل لايمكن اعتبارها من قبيل ما يخضع للنظرة الفلسفية ، وانما يضاف الى غيرها ويسمى بها ٠

الخامسة : انها حصيلة الخبرة وصوت العقل :

أما لماذا ؟ فلأن الفيلسوف لايدخل بأفكاره ميدان التجربة المعملية حتى يتأكد من صدقها عن طريق المعامل ، وانما أفكاره تمثل رصيدا لمشاكل فلسفية سبق عرضها عليه ، تنازل عن بعضها لعدم صلاحيتها للاستمرار واستبقى الذى استمرت صلاحيته كرصيد فكرى ، وتجارب سابقة حتى صارت خبرة ثابتة ورصيدا يستخدم منه ما يجد الحاجة ماسة اليه ٠

وهذه الخبرة بجانب أنها تمثل رصيدا فكريا فهي كذلك تمثل ميزانا تعرض عليه الآراء والمشاكل المستجدة ، فيميز بخبرته المعروض عليه ،

---

(١) الدكتور : توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ٢١٦ ط دار النهضة العربية ٠

فربما استبقى بعضها ، وربما هجرها متى كانت خبرته الفكرية قابلة لاستبقائها أو تركها ، لأن خبرته صارت هى الأساس الذى يزن به الأمور وفى ذات الوقت فان ما يضاف من أفكار وقضايا وحلول للمشاكل يدخل دائرة الخبرة حتى تتسع له ويصير جزءا من مضمونها .

وبالتالى فان النظرة الفلسفية تتسم بامكانية تبدُّل الآراء المطروحة الغاءا أو تأييدًا متى أيدتها الخبرة أو رفضتها ، كما أن هذا الموقف لا يقوم على العاطفة والغريزة ، وانما يقوم استرشادا بصوت العقل السليم ، مع الخبرة الناضجة .

فمثلا : قضية اثبات اللانهائى ، كان الرياضيون يرون أن اللا نهائى له أول لكن لا آخر له ، ثم عدلوا فى أطراف الفكرة قليلا عند ما تصوروا اللانهائى الكمى المنفصل فى الأرقام الحسابية والرموز الجبرية ، فلما واجهتهم الفروض العلمية من أننا اذا فرضنا وجود أكثر من لانهائى وجعلنا نقطة البداية واحدة ، ثم حذفنا من أحدهم على سبيل الطرح جزءا كبيرا فهل يتساوى مع غيره الذى لم ينقطع منه ؟

وكان جوابهم الأول : نعم يتساوى . لأن اللانهائى مهما قطع منه فهو أيضا لانهائى . غير أن الواقع العملى أثبت العكس ، حين نقول أن الذى قطع منه جزء صار أقل من الذى لم يقطع منه ، هذه ناحية ، وأخرى هى أن الجزء الذى قطع صار متناهيا ، والمعروف أنه اذا قطع من اللانهائى جزء متناه صار الكل متناهيا ، وبالتالى مايجرى على الجزء يجرى على الكل فرضا . وها هى صورة بيانية لما سبق ذكره .

اللانهائى :

أ ـ يبدأ من رقم ١ ـــــــــــــــــ الى مالا نهاية
ب ـ يبدأ من رقم ١٠٠٠ ـــــــ الى مالا نهاية
جـ ـ يبدأ من رقم مليون ـ الى مالانهاية

لاشك أن العقل يقر بأنهم ليسوا متساويين ، لأن أحدهم لم يقطع منه شيء ، بينما الثانى ينقص عن الأول بمقدار ألف ، أما الثالث فقد نقص عن الأول بمقدار مليون . فاذا قيل أنهم ـ مع النقصان ـ متساوون كان مغالطة رياضية لأن فيها مساواة الناقص بالزائد ، فثبت أنهم جميعا متناهون ضرورة سريان حكم الجزء على الكل من ناحية ، وأن المتماثلات تحكمها أحكام واحدة ، بحيث ينتهى القول : الى وجود واحد لايتناهى وهو الله سبحانه وتعالى . بحكم الخبرة ، وصوت العقل ، ووحى الوجدان .

السادسة : أنها متأنية مرنة :

بعض العلوم تراها انبجست عقب ملاحظة ولو عابرة ، وبعض القوانين العلمية تجدها وليدة ملاحظة فجة لم تدر بالخلد ، ولم تجر على الخاطر كقانونى الطفو والجاذبية ، وليست النظرة الفلسفية من هذا القبيل ، أما لماذا ؟ فلأن ميدانها ما وراء المحسوس ـ الغيبيات ـ وهى فى ذات الوقت مشاكل من نوع خاص من ثم فلا يكون التعامل معها الا بالدقة والحرص وحساب المواقف ، وهذا يتحقق متى كان التأنى وعدم الرعونة .

ثم ان النظرة الفلسفية ليست ضيقة الأفق ، تتبرم بالآراء الأخرى ، وانما تصطنع من المرونة وسعة الصدر والتسامح مايجعلها تتعامل مع كافة الآراء ،

ولو كانت مخالفة - بنوع من التؤدة والنظرة العاقلة - على أساس أن كل رأى منها يمثل حصيلة فكرية لصاحبه ، لكن ليس معنى هذا أن الأفكار الهزيلة نالت عصمة ، وانما معناه عدم التسرع فى الحكم على الآراء بأنها ساذجة أو هزيلة الا بعد فحصها ووزنها بدقة ومرونة . حتى ولو كانت مخالفة لرأى من ينظر اليها اذ الكل عاقل ، والمعروف أنه اذا اختلف عاقلان كان لكل منهما ما يتعلمه من قرينه ، متى احترم كل منهما عقل قرينه .

كما أن النظرة الفلسفية من أبسط سماتها أنها موضوعية متجردة عن العواطف وأحكامها ، والانفعالات وسلطانها ، وانما تتسم بالهدوء والعقلانية مع الاتزان ، وهو شأن التأنى وطبيعة المرونة ، إنها ترتفع فوق الوله والنوم ومؤثراتها ، وكثير من الناس لايستطيعون التخلص من سيطرة العواطف ، وهيمنة المشاعر ، وسلطان الإنفعال ، وأمثال هؤلاء لايحكم عليهم بأن أفكارهم يمكن ادخالها ميدان النظرة الفلسفية ، لفقدانها التأنى والمرونة .

السابعة : أنها لاتعتقد فى الأحكام المسبقة :

المشهور أن النظرة الفلسفية تضع الأمور نصاب الشك والريبة ، وتطرح كل موضوع ومشكلة أتون الظن والتردد ، ومن ثم فانها تلغى من حساباتها كل صدق فى الأحكام المسبقة متى تعلقت بذات المشكلة المطروحة أو الموضوع للبحث ، بحيث اذا صدر عنها حكم فى المستقبل لم يكن له من ضغط فكرى سابق هو الذى شاد الحكم أو كان أصلا له .

وربما يقال : أن النظرة الفلسفية بهذا تهدم كافة الأحكام ، ولكن بدا لى أن هذا القول على اطلاقه ليس صوابا ، لأن الأحكام الملغـــاة هنـــا، تتعلق بالموضوع المطروح وحده ، وليست كل الأحكام على وجه العموم ، كما أن مفهوم الالغاء ليس التدمير ، وانما ننحيهـــا جانبـــا حتى لايكون لها تأثير على المسألة المطروحة تناولا ، أو موضوعا ، أو حكما وهو معنى الحيدة التامة ٠

بل ان الفيلسوف غالبا يستقى حقائق أمره بعيدا عن كافة الأحكـــام التى تصدرها السلطات ، ونظرته تبعا لذلك بحيث يمكن اطلاق القـــول عليها بأنها نظرة متحررة عن القيود التى يلتزم بها غيرها ، سواء كانـــت قيودا اجتماعية ، أو سياسية ، أو دينية أو غيرها مما يفرضه العرف أو يقـــره الوضع ، أو تلتزم به الجماعة التى يكون الفيلسوف واحدا من أفرادها (١) ٠

ما سلف كان أبرز خصائص النظرة الفلسفية ، ولايعنى هذا أننـــى أذكرها حصرا ، والا لطال القول كثيرا ، لأن النظرة الفلسفية تنســـاب فى كافة العلوم ، ومنها علوم تختلف موضوعاتها ضرورة لطبيعة الدراسة فيها وتكون فيها نظرة فلسفية خاصة بها ٠

---

(١) ذكر الدكتور – توفيق الطويل خصائص سماها خصائص الموقف الفلسفى وذكر منها موقف " باهم " BAHM واعتبرها تسع خصائص ولكنى أختلف معه فى التسميات والمضامين وان اتفقت معه فى بعض المعانى فليرجع اليها من شاء – أسس الفلسفة ص ٢١٥ – ٢١٩ ٠

(المقدمة الرابعة)

(وظيفة الفلسفة)

(المقدمة الرابعـــة)

(وظيفـــــــة الفلســـــفة)

يظن البعض أن الفلسفة لاتؤدى عملا نافعا ، بل ان بعضهم جعلها من الحرام النظر فيه ، واشتط آخرون فطالبوا باحراق كل أوراق الفلســـفة ومطاردة الفلاسفة أنفسهم ، حتى بات الأمر عملا مشروعا ، وعبادة يتقـــرب بها الى الله تعالى ، سواء كانت فلسفة مؤمنة أو ملحدة ، وسواء كانـــت يونانية أو اسلامية ، رغم الفوارق الشاسعة بين كل منهـا .

ويخال اليّ أن المسألة كانت تصفية مواقف ، أكثر منها نزعة دينيـــة ، وبغض النظر عن الجو الذى اكفهرت فيه هذه الأفكار ، أو غلت هذه العقـول أو حجبت عن النور هذه الآراء ، وسواء كانت الأسباب سياسية أو شخصيـــة أو اجتماعية ، أو حتى أسبابا دينية ، فان الأمر الذى بات مؤكدا هو أن أمر الحل والحرمة ، والقبول والرد ضيعت فيه أموال ، وانتهكت حـــريات ، واستهلكت طاقات كان الحرى بها الترشيد حتى يبلغ الرأى رشده .

بيد أن وظيفة الفلسفة تبدو فى أمور منها :

الأمر الأول : خدمة المصلحة العامة للمجتمع :

يظن بعض الناس أن الفلسفة وهم وعبث ، وأنه لا وظيفة لها ، واتهموا الفلاسفة بأنهم يعيشون حالة انعزال عن المجتمع بأفكارهم وأوهامهـــم والأحلام ، ومن ثم انتهوا الى قرار رأوه حاسما هو الغاء الفلسفة لبعدهـا عن حياة الناس وواقعهم .

غير أن هذا الظن ان صدق فى بعض الأحوال على بعض الفلسفات فليس قانونا عاما كليا يطبق على كل الفلسفات وفى كل الأحوال ، أمـــا لماذا ؟ فلأن الناظر فى الماضى البعيد وبخاصة القرن السادس قبـل الميلاد يرى أن طاليس " كان متصلا اتصالا وثيقا بحاجات المجتمع فـــى عصره ، وأن فلسفته قامت لخدمة مصالح قومه "، وهو أحد الحكماء السبعة وكان يؤخذ رأيه فى سياسة المدينة ، وقد خدمت اختراعاته الفلكيـــــة الفلاحين ، ويقال إنه وضع تقويما فلكيا يعد أقدم ما عرف من نوعه بيّن فيه أوجه القمر ، وحركة الاعتداليين ، والتنبوء بحالة الطقس" (١) ٠

اذن كانت الفلسفة فى خدمة مصالح المجتمع ، ولم تكن بعيدة عنها أو منعزلة منطوية على نفسها ، كما ظن بها ٠ وبعد تقدم الدراســات العلمية فى الشرق والغرب ، وجعل الفلسفة القاسم المشترك أمكن تصنيف الفلسفة والفلاسفة فى مجموعتين :

الأولى : مجموعة الغرب ٠

الثانية : مجموعة الشرق ٠

وهذا التصنيف المكانى ليس دقيقا ، يقول جون كولر : " يتهـــــم الفلاسفة فى بعض الأحيان بأنهم يعيشون فى أبراج عاجية ، وأنهــــم لايركزون الا على التفريعات والتجريدات المنطقية ، متجاهلين الاهتمامات الكبرى المتعلقة بالحياة ، وعندما يحدث ذلك فان الفلسفة تفقد الكثير من أهميتها ، وتكف عن خدمة الشخص العادى فى تأمل وجوده فى العالـم ،

---

(١) د / أحمد فؤاد الأهوانى — المدارس الفلسفية ص ٨ ، ٩ — الـدار المصرية للتأليف والترجمة يوليه ١٩٦٥م ٠

وتفشل فى توفير المواد التى تمس اليها الحاجة فى بناء صرح فلسفة الحياة بالنسبة للشخص ، ونحن فى الغرب معتادون الى حد كبير على النظر الى الفلسفة باعتبارها شيئا مستقلا عن الحياة ، مغرقا فى التجريد ، وفى الطابع الأكاديمى بالنسبة للشخص العادى (١) ، هذا فى الغرب .

وربما انطبق هذا الاستقلال والانعزال الفكرى فى الغرب على فلسفة التحليل والتركيب ، أو الفلسفة التى تعقد آمال أصحابها على مجرد الرموز والعلاقات دون أن تنخرط فى المجتمع أو تفكر فى قضاياه ، وربما فى الوقت الحاضر فقط ، أما فى الماضى فان فلاسفة الغرب لم يكونوا بمعزل عن مجتمعاتهم كما لم يكونوا يفكرون فى قضاياهم دون النزول بها الى الواقع المعاش فى محاولة منهم للتطبيق ، والا لما قام عصر النهضة فى أوربا (٢) .

ومما يذكر أن روجر بيكون ، وفرنسيس بيكون (٣) فى انجلترا ، وعمانوئيل كانت (٤) فى ألمانيا ، وديكارت فى فرنسا ، وأمثالهم قامت على أيديهم نهضة فكرية أساسها التفكير العقلى الحر ، ومادتها الأولى التى سرت فى جسد هذا التقدم العلمى هى الميتافيزيقا ، ولم ينكر أثرهم فى خدمة مجتمعاتهم الا من لم يقرأ لهم أو عنهم .

---

(١) جون كولر - الفكر الشرقى القديم ص ٢٠ ترجمة كامل يوسف حسين مراجعة د / امام عبد الفتاح - سلسلة علم المعرفة ١٩٩ يوليو ١٩٩٥م .

(٢) شغل عصر النهضة الحديثة فى أوربا القرنين الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد ، وكان ثورة على السلطان الكهنوتى فى الكنيسة واحياء لفلسفة العلم الطبيعى .

(٣) فرنسيس بيكون ١٥٦١ - ١٦٥٦م وهو من أشهر الأعلام الانجليز فى القرن السابع عشر كما أنه من أعلام الاتجاه الحسى التجريبى .

(٤) عمانوئيل كانت ٢٢ ابريل ١٧٢٤م الى ١٢ فبراير ١٨٠٤م .

ناهيك المجمع العلمي الذى أقامه فى نابلى " تلزيو + ١٥٨٨ للدراسات التجريبية ، وفى نشأة علم وظائف الأعضاء الفسيولوجيا على يد فيساليوس + ١٥٦٤ واكتشاف هارفى + ١٦٥٨ " (١) والاضافات التى قام بها فى هذا المجال وبخاصة بعد أن أحياها من العدم ابن النفيس(٢) ، واستفاد منها الأوربيون ، ومنهم وليم هارفى نفسه بعد أن ترجم كتاب ابن النفيس " الذى اسماه شرح تشريح القانون — الى اللغة الأوربية ، اذن الفلسفة تؤدى دورا هاما فى خدمة المجتمع ومعايشة قضاياه ، فى مجتمع الغرب .

" أما فى الشرق " وهو التصنيف الثانى — فان الهوة بين الفلاسفة والناس العاديين ليست على هذا القدر من الاتساع ، ذلك أن : الفلاسفة الشرقيين يستمرون فى التواصل عن كثب مع الحياة عائدين الى محك التجربة الانسانية لاختبار نظرياتهم ، والناس العاديون يمتدون باهتماماتهم الى ما يتجاوز حياتهم العادية ، ويكافحون لرؤية الوضع الصحيح لوجودهم ولفهمه من خلال المفاهيم الفلسفية " (٣) .

فاذا كان هذا هو حال الفلسفة فى الشرق ، تعلق بالدين ، وانخراط فى الحياة العامة ، بل واعتبارها الميزان الدقيق الذى توزن به نظرياتهم فان الوضع الطبيعى يقتضى ضرورة وجود الفلسفة والفلاسفة حتى تستمر عجلة الحياة فى الدوران ، تقوم الفلسفة فيها بدورها المنوط دون تقصير أو ملل .

---

(١) د / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ١٢٢/١٢٣ ط دار النهضة العربية .

(٢) ابن النفيس عالم عربى ت ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م وهو أول من اكتشف الدورة الدموية وليس ينسب الفضل الى وليم هارفى الذى أضاف عليها فقط وبمرور الزمان تجاهل الغرب المكتشف الأصلى وعلقوا على المضيف وهى احدى سمات الكبر الغربى .

(٣) جون كولر — الفكر الشرقى القديم ص ٢١

وربما يقال : ان هذا الجانب الايجابى للفلسفة : لايمثلها بقدر ما يمثل الجانب العلمى فيها وحده ، وفرق بين الفلسفة فى جانبها النظرى الذى هو محل اتهام ، وبين الفلسفة فى جانبها العلمى الذى هو محل قبول ، والجواب أن " العمل هو فاعلية ما للفكر ، بيد أنه ليس فاعلية ترمى الى اجرائية التفكير فحسب حيث فى العمل يوجه تفكيرنا دائما نحو ايجاد نتيجة ما ، بل الفكر الصادق نفسه (١) حتى هذه النتيجة المؤكدة — ضرورة وجود علاقة بين الفكر والعمل — لم تسلم من الضغط عليها ، رغم أنها فى الواقع تمثل ضرورة فى الاتجاه اليها .

اذن الفلسفة فى الشرق كان لها دور بارز ، حيث يرفض الشرقيون العزلة الفكرية ، وانفصال المعرفة عن الحياة العامة وكان لذلك نتائج منها :

(١) عدم الفصل بين ميادين الفلسفة المختلفة :

من المشهور أن الفلسفة ميادين ونظريات ، كنظريات المعرفة والقيم والوجود ، ونظريات الفن ، والنظام السياسى ، والسلوك الانسانى وغير ذلك من النظريات والجوانب التى تخص الفلسفة كميادين ونظريات ، والشرق لايفصل بينها جميعا والحياة العامة ، انما يراها متكاملة لخدمة غرض واحد هو المجتمع الانسانى بأكمله .

(٢) تجنب العزلة الفكرية :

الشرقى بطبعه تحكمه روابط اجتماعية وقيم دينية ، وهو بين هذه الروابط والقيم يجرى شوطه كله ، بل ويتشدد فى أن يحيا حياة كاملة ، حياة فيها العلم والمعرفة كوسائل لرقى الحياة العامة ، انه

---

(١) أ . أ . ميلر — المعلم الأول أرسطو ص ١٣١ ترجمة محمد زكى حسن مكتبة الخانجى .

يرى تجانسا تاما وتكاملا مستمرا ، وازدواجية ضرورية بين الفكــــر والعمل ، ولايمكن فصل أحدهما عن الآخر ، والا فقد فاعليته، وانتهت قيمتــه ٠

(٣) الفلسفة المشروع الأكثر أهمية وجذرية للحياة :

ولهذا فان الشرقى يميل الى " حمل الفلسفة محمل الجد البالــــغ فهى فى الشرق ليست أمرا مجردا متسما بالطابع الأكاديمى أو لاترتبطه كبير صلة بالحياة اليومية ، وانما ينظر اليها باعتبارها المشــــروع الأكثر أهمية وجذرية للحياة " (١) العامة التى يعيشها المجتمع الانسانى كله ، والفلسفة بهذا تؤدى دورا هاما فى بسط قضايا المجتمــــع ومعالجتها على النحو الذى أوردنا طرفا منه ٠

الأمـر الثانى : القيادة الفكريـــة :

شأن الفلسفة البحث عن مصالح المجتمع ومعالجة قضاياه كوظيفة مـــن وظائفها ، ولما كانت المصالح تحتاج فهم القائمين عليها ، ورسم الخطوط العريضة لمعالجتها ، فلا شك أن الفلسفة بهذا ـ توجد لنفسها مكــــان القيادة الفكرية بحيث تنتزع من الناس اقرار شفويا بعجزهم عن معالجـــة قضاياهم واحالتهم المسألة الى الفلسفة والفلاسفة ، الذين يقومون برســـم خطوط عريضة لبناء مجتمع أفضل ، ويعملون على ايجاد أنظمة تساير الزمان، تهتم بتطوير المجتمع ككل وترقيته من كافة النواحى ٠

---

(١) جون كولر ـ الفكر الشرقى القديم ص ٢١ ٠

من ثم يمكن القول : ان الفلسفة " بحكم وظيفتها من الهداية والارشاد ، فهى تقوم بدور القيادة الفكرية التى تأخذ بيد الأمة الى الأمام " (١) .

وربما كانت هذه القيادة الفكرية والزعامة الاجتماعية من أسباب بغض الفلسفة والفلاسفة ، وبخاصة من جانب الذين تعدت بهم ظروف الحياة عن مسايرة الفلسفة والفلاسفة بحيث لم ينالوا هذا الشرف ، ولم يبلغوا بين الناس شأوا كم تمنوا لو تطلعوا اليه أو أشير اليهم بأنهم حماته الموسومون به ، فلما لم يدرجوا اليه اتهموا الفلاسفة والفلسفة بما اتهما به .

وعلى الجانب الآخر نرى محبى الفلسفة يعرفون لها هذه المكانة المتبوأة بين العلوم ، كما يدركون المنزلة العالية للفلاسفة بين المفكرين والعلماء ، ومن ثم تراهم يعتبرونها العناصر المثالية فى كل مجتمع _ الفلسفة والفلاسفة _ حتى يحلوهم فى عقولهم موقع الصدارة والاقتداء ، بحيث يقرّ فى " نفوس الناشئين والراغبين فى البحث والمعرفة ، حب الاقتداء بهؤلاء الفلاسفة الذين وقفوا أنفسهم للبحث والتنقيب عن الحقيقة ووهبوا حياتهم لتعليم الناس مبادئهم وأراءهم مهما لاقوا من الأذى والاهانة فننهج طريقهم ، ونسير على هديهم " (٢) .

بيد أن تاريخ الفكر الانسانى طفق يحدث من الريادة الفكرية لهؤلاء الفلاسفة ، كما يحدث عن تضحياتهم التى بذلوها فمنهم من أحرق ، ومنهم

---

(١) الدكتور / أحمد فؤاد الأهوانى _ المدارس الفلسفية ص ١١

(٢) الدكتور / عوض الله جاد حجازى وآخر _ فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٤ ط ٢ .

من أجبر على اجتراع السم ، ومنهم من طلى جسمه بالقار واشعلت فيه النيران ، ومع هذا كانوا أعلاما فى أقوامهم ، علماء فى فكرهم ، روادا لمن يحيطون بهم ، ويكفى أن نقرأ فى تاريخ الفلسفة عن المشائين الذين انتعلوا وجه الأرض خلف معلمهم رغبة فى العلم وفيهم أبناء النبلاء ، ومنهم رجال المال والأثرياء ٠

الأمر الثالث : تجديد الفكر :

أجل ٠ من وظائف الفلسفة تجديد الفكر حتى يواكب روح العصر التى تعيش فيها تعاليم الفيلسوف ، اذ ليس من المعقول أن تظل الأفكار ثابتة والزمان يتغير ، اذ ثبات الأفكار دليل على عقم العقول مادامت الأفكار الثابتة من صنع البشر ، والمعروف أن كل عصر تأتى افرازاته الفكرية فى جانب مواكب لعصره ، فاذا انتهى العصر صارت الأفكار مستهلكة غير صالحة للاستمرار ٠

فمثلا : كان اليونانيون القدماء " يعتقدون بوجود آلهة متعددة تسكن فوق السحاب ، وعلى قمم جبل الأولمب فى اليونان ،وكان كل اله مختص بنوع من الظواهر الكونية ، فالشمس وشروقها وسيرها نحو المغيب من فعل الاله أبولو ٠ وهطول المطر من فعل الاله جوبيتر ، وهناك آلهة للحب والجمال والحكمة والحرب ، وهذه الآلهة لاتتورع عن الشر والحسد والغيرة والصراع على ملذات الحياة " (١) وظل هذا الفكر الأسطورى فترة من الزمان محل قبول أو تردد ٠

---

(١) الاستاذ — أنور الجندى الاسلام والفلسفات القديمة ص ٥١ دار الاعتصام

ومثل هذا الفكر لايمكن استمراره اذ العقل يأبى أن يكون محـــلا لنزاع آلهة مهما كانت الأساطير التى ترسم سطوة هذه الآلهة أو تقــص عن سلطانهم ، فلما جاء أرسطو لم يصدق اسطورة الآلهة المتعــــددة واعتقد فى اله واحد سماه المحرك الأول الذى لايتحرك ، وانما يتحـرك العالم اليه حركة شوق وانجذاب ، وهو عقل محض ، وان لم يصب أرسطـو الحقيقة أز كبدها ، فانه خلص المسألة من تعدد الآلهة الى اله واحـــد وان أخفق فى التعرف اليه ، لكنه بذل مجهودا فكريا لتجديد مفهـــوم فكرى آخر .

ولاشك أن هذا التجديد للفكر يمثل نوعا من الدعم للقيم الأخلاقيـة والروحية فى الحياة المعاصرة التى تتهددها الأخطار على نحو لم يسبـق له مثيل (١) ، ولا أعنى بالتجديد الثورة على الدين ، فهذا أمر غير وارد ، لأن هناك فارقا لايمكن تجاوزه بين الدين والفكر ، فالدين نص الهى غيـر قابل للتحريف أو الاضافة والتعديل ، فهكذا أنزله الله ، وعلى هذا النحو يستمر فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

أما الفكر الانسانى فأمر مختلف ، لأنه يمثل حركة فى الذهن البشـرى لفهم المعقولات والتعبير عنها بألفاظ ، أو قيم أو وسائل ايضاح ومفردات ، وهذا الفكر قابل للتعديل والحذف والاضافة ، والقبول والانكار لأنه فكـر بشرى ، وانتاج ذهنى ، ومطروح موضوعى ، وهو فى كل حالاته أمر نسـبى لامكان فيه للمطلق ، أو الحقائق الثابتة ، والقواعد الكلية ، باستثناء علم الرياضة فى جانبه الأرقامى من الكم المنفصـل .

---

(١) د / محمود رجب الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص ٢١٢ ط ٣ دار المعارف ١٩٨٧م .

من ثم فان تجديد الفكر الانسانى يعتبر ضمن وظائف الفلسفة ومن الأدوار العامة فى حياة العقلية الفكرية وان رمت أدلة فانظر الى المدارس الفلسفية ، من مثالية الى نقدية ، ومن وجودية الى براجماتية ، ناهيك الحديث عن الفلسفة الاسلامية فى المشرق والمغرب ، وكذلك الفلسفات الشرقية القديمة ، والاغريقية السحيقة ، وكلها يعمل اللاحق على تجديد السابق مع تعديل يراه ضروريا ، أو حذف يظنه جوهريا ، وهذا كله من أدلة تجديد الفكر كوظيفة من وظائف الفلسفة .

والفكر المراد تجديده ، لاينحصر فى معنى معين بقدر ما ينساب فى المعارف الانسانية كلها ، أخلاقا ، ومعرفة ، وقيما ، وعلما ، فها هو بيرى يقول : " ليس هناك من سبب يدعو لأن تتطابق المبادىء العلمية مع مبادىء الفيزياء فان مبادىء الفيزياء تمثل تطبيق المبادىء العلمية على موضوع معين ، وان كان علم الفيزياء قد قاد الطريق فى تطوير الطريقة العلمية وتحسينها ، وفى التطبيقات التقنية ، فان هذا لايعطيه الحق فى التفرد بمملكة العلم" (١) .

على أن تجديد الفكر ههنا هو توسعة لمعنى العلم ، وطرح جديد لمفهومه كنوع من التكامل بين الطبيعة الفيزيائية والطبيعة البشرية من ناحية وبحيث يتجاوز العلم حدود التخصص الدنيا حتى يشمل أنواعا من المعارف ، يطلق عليها جميعا أنها علم ، وسواء قبل هذا الرأى أو رفض ، فالذى لامناص منه هو أن عملية التجديد مستمرة ، كوظيفة من وظائف الفلسفة وعمل من أعمالها.

---

(١) رالف بارتون بيرى — انسانية الانسان ص ٢٠ ترجمة سلمى الخضراء — دار مكتبة المعارف بيروت ١٩٦١م .

الأمر الرابع : تحليل النظم الاجتماعية وتفهمها لتقديم حلول أفضل :

كان من أهم وظائف الفلسفة معايشة النظم الاجتماعية ، وتحليل هذه النظم ، وبيان حاجة المجتمع اليها من عدمه ، وبقدر ما تؤديه تلك النظم يمكن المحافظة عليها ، أما مالافائدة من ورائه فيجب على الفور الغاؤه ، ولايكون ذلك الا بفصل النظم القائمة بعيدا عن بعضها ، وتحليل كل واحدة منها على الاستقلال ، ثم ربط هذه النظم فى سلسلة واحدة تؤدى منه الأغراض المنوطة به ٠

فمثلا : النظام السياسى الذى كان سائدا فى المدن الأيونية أيام طاليس هو التفرق والوحدات السياسية الصغيرة ، " وكانت هذه المدن والمستعمرات مستقلة فى السياسة والادارة ، ولكنها كانت تؤلف عالما واحدا هو العالم اليونانى تجمع بين أجزائه وحدة الجنس واللغة والدين فكانوا جميعا يعبدون — تزوس — ويحجون الى هيكله الأكبر فى أولمبيا بالمورة ، كما كانوا يذهبون الى دلفى فى سفح جبل برناس يستنزلون وحى أبولون ، ويبعثون القرابين والنذور " (١) ٠ وكان الخطر الفرنسى يتهدد هذه المدن ولم تتمكن الجرأة من صدر أحد حتى ينطق بالاتحاد لتلك المدن التى تواجه خطرا متكتلا ، حتى جاء طاليس المليطى فصاح فى الأيونيين صيحة الاتحاد ، لمواجهة هذا الخطر ، ومن ثم قام الأيونيون ليأخذوا صيحة طاليس مأخذ الجد فتوحدوا فى مواجهة الخطر الفرسى فلم يتمكن من الاستيلاء على ديارهم أو الحاق هزيمة بهم ، وهكذا خدمت الفلسفة المجتمع من هذه الناحية " (٢) ٠

---

(١) د / محمود عبد الرازق شفشق ، منير عطاالله سليمان — تاريخ التربية ص١٥ دار النهضة العربية ١٩٦٨م ٠

(٢) ينظر المدارس الفلسفية ، وكذلك تاريخ الفلسفة ، والمؤلفات التى تعنى بالطبيعية من اليونان ٠

كذلك الحال مع المدرسة الطاليسية حين هبت للعناية بمحاربة الجهل كمرض اجتماعى استشرى فى بلاد اليونان ، وكان من الضرورى انشاء مدرسة علمية تهتم بقواعد العلم ونظرياته ، كما تهتم بالنظر فى الطبيعة حتى أثمرت مباحث هذه المدرسة ثمرتين : الأولى : محاربة الجهل ، والثانية : انتشار العلم · وقد أثمرت مباحث هذه المدرسة فى ترقية المجتمع من هذا الطريق " (١) ·

ولم يقف الأثر عند تحليل النظام السياسى ، والثقافى ، وانما امتد ليشمل نظام السادة والعبيد ، حيث كان اليونان وفيهم الأرقاء الذين لايصلحون الا للعمل والسعى ، أما السادة فان عليهم هو التأمل والفكر وحده ، غير أن هذه الظاهرة جعلت المجتمع ينقسم الى طبقتين متصارعتين ، ولاينهض مجتمع معا وفى لبناته الأولى صراع دفين ، من ثم رأينا فى طبقة المفكرين أفلوطين الحمّال الذى كان يعمل أجيرا وفى نفس الوقت صار فيلسوفا كما رأينا أفلاطون ابن الثراء سليل النبلاء يتنازل عن ثروته ويهجز موطنه ليعيش حياة فكرية هانئة ·

بيد أن النظام الاقتصادى لم يكن بعيدا عن فكر الفلاسفة ، اذ يذكر التاريخ أن أهل ملطية كان معظمهم من البحارة والتجار الذين يخرجون بسفنهم الى البحر ، يطوفون بمعظم ثغور البحر الأبيض المتوسط للتجارة ولم يكن لديهم تقويم يضبط لهم منازل القمر ، وحركة المد والجزر ، فكانوا يتكلفون الأموال الكثيرة المرهقة ، وفى ذات الوقت لم يكن العائد المادى مجزيا ، فلم يجد طاليس ومدرسته بدا من مجابهة هذه الظاهرة حتى

---

(١) د / أحمد فؤاد الأهوانى — المدارس الفلسفية ص ١٠ ، ١١

انتهوا الى وضع تقويم فلكى يعد من أقدم ماعرف من نوعه بيّن فيه أوجه القمر" (١) ، وهكذا خدمت الفلسفة المجتمع فى الناحية الاقتصادية ، وكل الأنظمة والحياة الاجتماعية على هذا المنوال سارت ، وتم تقديم حلول مناسبة لها .

الأمر الخامس : تأثير المذاهب الفلسفية النظرية على الحركات الاجتماعية :

من يزعم أن الفلسفة لاوظيفة لها فانه أمر كبير ، لأن من يلاحظ حركة الحياة يرى للفلسفة وظيفة اجتماعية بجانب ما سبق ، تتمثل هذه الوظيفة فى وقوف النظريات الفلسفية خلف الحركات الاجتماعية وتطورها ، من خلال الحوادث التاريخية نفسها كمصدر موثق لتأثر الحركات الاجتماعية والعلمية بالمذاهب الفلسفية ونظرياتها المختلفة بحيث صار من المؤكد القول : بأن الفلسفة قد وقفت وراءها واضطلعت بعبء التوجيه المستنير الذى أدى الى نضج الادراك ، وتفتح الوعى فى كثير من الشعوب ، وبهذا كان للفلسفة - الى جانب وظيفتها الأكاديمية العلمية فى تفسير طبيعة العالم وحقيقة الانسان - وظيفة التوجيه المستنير الى عالم أفضل ، وحياة أكرم وأسعد "(٢) .

ولاشك أن النظريات الفلسفية قد أدت وظيفتها فى هذا الجانب على نحو حضارى ، اذ بغير الفلسفة لاتكون حضارة ، كما أن المراد بالتوجيه المستنير هو الأمر الذى ينتهى الى :

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٩

(٢) د / توفيق الطويل - مدخل الى الفلسفة ص ١٣ .

أ ـ تغيير العالم نحو الأفضل ٠
ب ـ تحرير الانسان من الظلم والطغيان ٠
جـ ـ تحرير الفكر من سلطان الخرافة والأوهام ٠
د ـ الغاء سيطرة العواطف الساذجة والأساطير الكاذبة ٠
هـ ـ الرقى بالانسانية الى درجة من الكمال ٠
و ـ بناء نظرة سليمة للوجود بشكل خاص ، وللحياة الانسانية بوجه عام ٠
ن ـ أن الفلسفة اذا هدمت فلا يكون الا من باب ازالة الأوهام ، والقيم الباطلة ، لبناء حقائق يقرها العلم ، واقامة قيم نبيلة ، أصح مما أهدم ، وأسلم مما أزيل ، وهذا من وظائف الفلسفة على وجه العموم ٠

الأمر السادس : معرفة العالم الذى نعيش فيه :

أجل ٠ ان من وظائف الفلسفة أن يحيا الناس حياة هانئة ، حتى يعرفوا العالم الذى يعيشون فيه ، ماهو؟ ، وماهى المبادىء التى تتحكم فيه ، والغايات التى يهدف اليها ، وفوق ذلك نصل الى مرحلة من "الاطمئنان الى معرفتنا به ، وعلمنا بموجوداته ، ومن ثمّ نستطيع أن نحدد مكاننا من الوجود ، وكم من فيلسوف وجد فى هذه التأملات غذاء لروحه وسلوى لقلبه ، وسعادة فى حياته"(1) وكان ذلك بواسطة وظائف الفلسفة التى لايعرف عنها كثيرا المنكرون ٠

الأمر السابع : معرفة النفس البشرية :

تناولنا وظائف الفلسفة بقدر ما أتيح لنا الوقوف عليه ، لكن تبقى مسألة النفس البشرية ، من حيث هى نفس ، ثم من حيث هى أسرار يجب

(1) المصدر السابق ص ١٦

الالمام بها ، بجانب سبر أغوارها وكشف خفاياها ، والتغلغل فـــي أعماقها ، والسير بها في طريق النظر العقلي حتى يخرج المرء ومعـه حصيلة لابأس بها عن النفس البشرية ، بحيث تتحقق في النهاية ســعادة تقود اليها رغبة في رسم أهداف عميقة ، وايجاد مثل عليا ، لاتتوقف علـى كونها مشاعل تضيء له طريق الحياة ، وانما تسمو به الى ما هو أعلى مـن هذا وأكبر .

ان من وظائف الفلسفة البحث في أغوار النفس البشرية لفهمها ومعرفة علاقتها بأنفس الآخرين ، وأثر الأخلاق على هذه النفس ، أو تأثرها بها ، وازاحة الأوهام والخرافات والأساطير من طريق هذه المعرفة حتى تبـدو النفس الانسانية مع القيم الأخلاقية النبيلة في ثوب عرس واحد ، يدنيهـا من القبول والاحترام ، وينأى بها عن الاسفاف والكبر والغرور ، هذا عـن وظائف الفلسفة بصفة عامة .

الأمر الثامن : الاستدلال على وجود الله :

شغلت الفلسفة نفسها بأمور اعتبرت وظائف لها كفلسفة عامة ، أمـا هـهنا فانا نخص الحديث بالفلسفة الاسلامية التي هي عمل المسلمين وحدهم ولا شك أن لها وظائف بجانب ما سبق من هذه الوظائف ، الاستدلال علـى وجود الله تعالى ، واذا كانت الفلسفات السابقة قد ضلت سبيلها حيـن بحثت عن الله ، فهو طريقها الذي جعلنا نبغضها من أجله ، لأن اللـه تعالى لم يغب حتى يبحث عنه ، وهي بهذا فلسفة كافرة .

أما الفلسفة الاسلامية ، فانها تعتقد في وجود الله تعالى ، ثـم تستدل عليه كالشأن في قضايا علم الكلام ، والفرق بينها أن علم الكـلام

تبدأ قضاياه من مقدمات نقلية ، وأن صيغت فى عبارات منطقية ، أما الفلسفة فان قضاياها عقلية سواء صيغت على لغة المنطق ، أو جاءت سافرة على لغتها الفلسفية .

ولعل فكرة اللانهائى التى عاشت فى رحاب الفكر اليونانى ردحا من الزمان ، ثم انتقلت مع تعديل الى الفكر الرياضى وظلت تلازمه ، ثم أخذها المفكرون المسلمون كالكندى (١) واستعملوا فى اثبات نهائية المكان والزمان والحركة ، أو أخذها المتكلمون كأرقام وانتهوا بها الى أنه لانهائى الا الله وحده ، فكرة عقلية ميتافيزيقية انتهى المسلم بها الى اثبات وجود الله وأزليته وأبديته بحيث يمكن القول بأن من وظائف الفلسفة الاسلامية الاستدلال حقا على وجود الله تعالى .

الأمر التاسع : التوفيق بين النصوص الدينية والقضايا العقلية :

وهذا من وظائف الفلسفة الاسلامية وحدها على النحو الذى قام به الكندى ، والفارابى (٢) ، وابن سينا (٣) ، وابن رشد ، وان كان ابن باجة (٤) وابن طفيل قد سبقا ابن رشد زمانا ، وتأثر بكل منهما فى جانب من جوانب فكره رأيا ، أما كيف ؟

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى ينسب الى قبيلة كندة وهى من قبائل العرب العريقة فى الحسب جاهلية واسلاما ١٨٥هـ -٢٥٥هـ .

(٢) أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان بن أوزلغ الفارابى ولد فى ٢٥٩ هـ وتوفى ٣٣٩ هـ وهو المعلم الثانى .

(٣) الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على أبن سينا ٣٧٠ هـ - ٤٢٨ هـ ويطلق عليه الشيخ الرئيس .

(٤) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ولد فى سرقسطة ومات بفاس ٥٣٣هـ

فقد وجد الفيلسوف المسلم نصوص دينه فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وقد تناولت المسائل التى تناولتها الفلسفة ، لكن مع فرق بيِّن فى طريقة التناول ، والنتائج ، ومن ثم رأى الفيلسوف المسلم أن من الواجب عليه هو التوفيق بين ما أتى به النقل المنزل ، وبين ماصرح به العقل كنتائج له وكان هذا من المجهودات القيمة التى قام بها الفلاسفة المسلمون خدمة للنقل والعقل ، مما سنتناوله أثناء عرضنا للمسألة فى حينه، ما مضى كان أبرز وظائف الفلسفة .

(المقدمــة الخامســة)

(فائــدة الفلســـفة)

(المقدمة الخامسة)

(فائدة الفلسفة)

لاشك أن للفلسفة فائدة تتجلى فى حرص المفكرين على ممارستها والانتساب اليها ، ولو لم تكن لها فائدة ما اهتم بها أحد ، ولما ضحوا بأنفسهم فى سبيلها ، واشتغلوا بعلوم أخر تتحقق لهم بها فائدة ، ويعمهم نفع ، لكن لما كانت لها فائدة فقد ارتضوا لأنفسهم تحمل العبء فى مقابل حرية التفكير ، وصدق الانتساب ، ومن ثم يمكن اجمال فوائد الفلسفة فيما يلى :

الفائدة الأولى : كشف الحقيقة ومعرفتها لذاتها :

وكانت هذه الفائدة احدى اتجاهات الفكر اليونانى وبخاصة لدى الطبيعيين الأولين حينما أرادوا التعرف على الكون ، ومعرفة المبدأ الذى عنه صدر ، والمصير الذى اليه ينتهى ، وقد كانت هذه احدى أفكار أرسطو الذى أعتبر فائدة الفلسفة هى اللذة العقلية ، انها المعرفة لذات المعرفة بغض النظر عن تعلق المعرفة بفائدة عملية من غيره ، ومن ثم فقد اعتبرت الفائدة نظرية محضة ، ومع هذا فقد اعتبرها أفضل العلوم حتى قيل : " ان العلوم الأخرى قد تكون أكثر ضرورة من الناحية النفعية ، ولكن لايوجد علم أكثر فضلا من الفلسفة " (١) .

الفائدة الثانية : تحقيق السعادة :

وبرز هذا لدى سقراط الذى حصر الفلسفة فى الأخلاق العملية ، والاتجاه بغاية الفلسفة نحو الحياة العملية ، ولا اهتمام بالجانب النظرى ،

(١) د / محمد غلاب – الفلسفة الأغريقية ص ١٨

الذى تبناه أرسطو من قبل ، وتحقيق السعادة لايكون الا بفعل ما هـو يبعد عن الشقاوة ، ويقرب من السعادة ، ومنه القيم الخلقية ، والزهـد فى اللذات ، وممارسة أنـواع التقشف والحرمان ، وقد كان هذا الـرأى قاسما مشتركا بين الرواقية والأبيقورية ، وان كان الابيقوريون يتصورون فائدة الفلسفة هى السعى الى حياة السعادة باستعمال العقل ، واعتبـروا الأخلاق فائدة الفلسفة وغايتها ، وان كان يوصل اليها كخادم كل من علـم الطبيعة والمنطق ، وربما شاركهم الفارابى الرأى .

الفائدة الثالثة : الدفاع عن العقيدة :

وقد ظهرت هذه الفائدة لدى فلاسفة الاسلام الذين كان ايمانهـم بالله ، والوحى الالهى السماوى ، مع ثقتهم بالعقل ومذاهبه الفكريـة ، وفعـلا استخدم فلاسفة الاسلام المصطلح الفلسفى عند غيرهم ، ثم أفـرغوه من المحتوى ، ووضعوا بداخله مضمونا شرعيا يتفق مع ما هدف اليه الاسلام وبالتالى كانت فائدة الفلسفة تعبئة المصطلحات الفلسفية بنصوص شرعيـة أو تفريغـها من محتواها المخالف ، واستبداله بالأصول الشرعية ، وقد أفـاد علماء الاسلام من هذه الطريقة وكان لهم فيها باع طويل ، كما أنها كشفت عن منطق الضعف فى الفكر الغير اسلامى ، وتركته يعانى الضعف مما حدا بمن يتناولونه الى التفكير فى الانصراف عنه الى غيره ، بجانب أن " الغايـة التى يقصد اليها فى تعلم الفلسفة هى معرفة الخالق سبحانه وتعالى " (١) وهى فائدة عظمى اذا قيست بغيرها .

---

(١) د / عبد اللطيف محمد العبد - دراسات فى الفكر الاسلامى ص ٦٦ ط الأنجلو المصرية ١٩٧٧م .

الفائدة الرابعة : تحقيق السعادة مع ارتباط التفكير النظري بالحياة العملية :

وهذا اتجاه الفكر الفلسفي في العصر الحديث ، وهي نظرة لفائدة عامة وشاملة بحيث تجمع بين الفائدتين الأولى والثانية من ناحية،كما أنها تمثل علاقة قائمة بين تحقيق السعادة في حد ذاتها والعمل الذي يسبقها والنظر العقلي الذي يواكب بين السعادة والعمل ، أو هو الرباط القوي الذي تتلاحم أنسجته داخل خلايا العمل والسعادة معا ٠

ويحسن ههنا أن نذكر القول : " اذن فلتكن غاية الفلسفة المباشرة هي كشف الحقائق ، وغايتها البعيدة هي الافادة من هذه الحقائق في دنيا العمل " (١) مع التأكيد على أن غايتها القصوى لم تكن في يوم من الأيام أعظم من معرفة الخالق العظيم جل علاه ، أما الفوائد الأخرى فانها تتضاءل أمام معرفة الله ، والدفاع عن العقيدة الاسلامية ، وتثبيتها في النفوس والتأكيد عليها ، متى سُلّم أن قضية الألوهية ضمن المباحث الرئيسية الكبرى٠

وهي فعلا منها على ما ذكره الأقدمون والمعاصرون وما بينهما ، وعلى هذا النحو يمكن فهم قول كانت " علم الميتافيزيقا له ثلاث أقطار كبرى هي : الله ، وحرية الارادة ، والخلود " (٢) ٠

مما سبق اتضح أن للفلسفة فائدة ، وأن دراستها أمر ضروري والنفور منها اذا كانت له أسباب في الماضي ، فان الفلسفة في العصر الحديث والمعاصر يجب تعلمها لما لها من فوائد بجانب أنها نمط من التفكير العقلي الحر الذي لايمكن تجاهله أو اهماله أو القاؤه في سلة مهملات الزمان الفكرية وانما يجب الاهتمام والعناية طبقا للمعطيات التي سلف الحديث عنها ٠

---

(١) د / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ١٠٦

(٢) جيمس جننز — الفزياء والفلسفة ص ٤٠ ترجمة جعفر رجب ط دار المعارف ١٩٨١م

(المقدمـــــة الســادســة)

(الفلسفة بين القبـــول والانكــــــار)

(المقدمة السادسة)

(الفلسفة بين القبول والانكار)

لم تسلم الفلسفة من المتجهمين لها ، النافرين منها ، من بداية عصر التفكير ، حتى يومنا هذا ، مرورا بالمصريين القدماء ، واليونان متقدمين ومتأخرين ، والعصور الوسطى ، والفكر الاسلامى سواء أهل الحديث أو الفقهاء أو غيرهم كالحال مع ابن الصلاح ، والنواوى والشافعى وغيرهم حتى الامام الغزالى، الى هذه اللحظة المعاشة تجد من يرفض مجرد ذكر اسمها فضلا عن مباحثها والاشتغال بها ، ولهم فى ذلك الموقف شبه .

كما لم يقف المفكرون ازاء شبه المنكرين حيارى أو مقيدى الرأى ، وانما بسطوا شبه المنكرين ثم فندوها وأثبتوا ضرورة الحاجة الى تعلم الفلسفة وممارستها والاشتغال بها على نحو شرعى وكان ذلك فى البيئة الاسلامية — أمر الحل والحرمة — مما يجعلنا نخص الحديث عن هذه المسألة فى السطور التالية :

أولا : الرافضون لها :

رفض قوم الفلسفة وأنكروا تعلمها واعتبروها من الأمور المنهى عنها عقلا وشرعا ، ولذلك يمكن تقسيم فكرة الرافضين قسمين :

أ — فكرة رفضها عقلا .

ب — فكرة رفضها شرعا .

(أ) أدلة رفضها عقلا :

١ ـ أنها مثار الشك والريبة :

كان علوم اليونان ـ سواء الرياضيات أو الطبيعيات أو الالهيات ـ يطلق عليها فى البيئة الاسلامية أنها علوم الأوائل ، ويعنون بها أوائل من قعدوا للبحث النظرى والعملى قواعده ، ودونوها بحيث يمكن قراءتها ومراجعتها ، كما كانوا يطلقون عليها " علوم القدماء " وهو نفس المعنى السابق .

ثم بدا اتجاه آخر فى اطلاق اصطلاح " العلوم القديمة " عليها ، وهذا الاطلاق معناه أنها علوم دونها الأوائل من كل مذهب ونحلة ، وأدت دورها فى الماضى ، ومن ثم فهى الآن عديمة الفائدة لاقيمة لها ، والعلوم الحديثة أفضل منها ، كما أن مستندها قد فقد مع الزمان صلابته وصحته ، وطبقا لهذا فان هذه العلوم لايمكن النظر فيها على وجه الاجمال ، ومنها الفلسفة لأنها مثار الشكوك والريب" (١) على ناحية الفكر .

والمشهور أن " علوم الأوائل دخلت الى المسلمين فى القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم ، ولكنها لم تكثر فيهم ، ولم تشتهر بينهم ، لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها " (٢) ، وكانت هذه العلوم فى جملتها محل ريب فى أسانيدها وشك فى مضامينها ، وعدم ثقة فى دقتها العلمية ، وبالتالى رفضت الفلسفة لكونها من هذا النوع من العلوم .

---

(١) د / توفيق الطويل ـ قصة النزاع بين الدين والفلسفة ط ٣ ص ١١٦ ، ١٩٧٩م دار النهضة العربية .

(٢) الامام جلال الدين السيوطى ـ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام جـ ١ ص ٤٤ ، ٤٥ تحقيق د / النشار ، سعاد عبد الرازق ـ ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٠ م .

مناقشة الدليل الأول العقلي : أنها مثار الشك والريبة :

البادي في هذا الدليل هو الرفض الاجمالي لمجرد الاحتمال ، وهو أن هذه العلوم مثار الشك والريبة ، وأن صدق هذا الاحتمال فلا شك أنه موقوف على أمر السوفسطائيين وحدهم الذين كانت المعارف الانسانية بالنسبة لهم أمرا غير ممكن ، كما أنهم يمثلون صوتا نشاذا في الفكر اليوناني والشاذ لايقاس عليه ٠

كما أن هذا الدليل يقوم على رفضها لكونها من علوم الأوائل ، أو العلوم القديمة ، وهذا الجانب لاينهض لأن مسألة العلوم القديمة نسبية في لفظ القديم ، بجانب أنه ما من عقل الا وهو وليد ثقافات متعددة ، والقاسم المشترك بين الثقافات أنها تتزاوج ويلقح بعضها بعضا ، كما أن مسألة استقلال عقل ما بمعارفه وحده ، ربما لاتتوافر الا في المرسلين من قبل الله ، الذين هم صفوة خلق الله ، حيث أن معارفهم مصدرها الوحي المعصوم ، أما غيرهم فالثقافة قاسم مشترك بين الجميع ٠

أما اذا كان الرفض لمنع السلف من الخوض فيها فذلك أمر وارد ، اذ ربما لم تكن لدى السلف رغبة في تعاطي هذه العلوم العقلية ، حيث حداثة العهد بالاسلام ، وكثرة دخول غير المسلمين الى دين الاسلام ، ومن ثم كان اتجاه السلف التمسك بها في نصوص الدين الحنيف حتى يتلقاه الناس على ما هو عليه من غير فلسفة تدخل اليه أو ثقافة أخرى تمتزج به ، وهذا أمر محمود عقلا وعرفا ، وان كان له قبول — أيضا — على وجه شرعي ٠

فاذا كان الأمر يتعلق بصحة السند ، وسلامة المتن ، والدقة فـي المضمون والمحتوى العلمي ، فذلك لايعني الباحث في النظريات الفلسفية الذي يهتم بمدى سلامة هذه الباحث عقليا ، لأنه لايعنيه الا أن تتحقق منها الفائدة العلمية وهو المحك الرئيسي ويكفي الفلسفة أن يتوفر هـذا الجانب فيها ، أما تاريخ الفلسفة والباحث في العصور والأزمنة الفلسفية فربما هو الذي يعنيه أمر سلامة السند ، وهذا لايقدح في كون الفلسفة من العلوم العقلية التي تفيد في تقدم العلوم والمعارف ، ومن ثم فهـي لاتثير الشك والريبة ، وانما تؤدي الى الصدق واليقين ، وبالتالي يبـاح تعلمها وتعليمها .

٢ ـ أنها لاتقدم نفعـا :

وهذا الاتهام كان قائما بالنسبة للعلوم التي أتت عن طريق هـؤلاء الأوائل أنفسهم ، اذ كيف تكون محل شك وريبة ، وفي نفس الوقت ينتظـر منها نفع ، أو يرجى من دراستها خير ، ولما كان وقت المؤمن يجب أن لا يشغله الا بالنفع المفيد ، فان دراسة هذه العلوم ، ومنها الفلسفة تكـون استهلاكا لوقت يجب أن يرشد .

مناقشة الدليل الثاني العقلي : أنها لاتقدم نفعا :

أجل تتهم الفلسفة بأنها لاتقدم نفعا ، وأن غيرها من العلوم أكثـر نفعا ، وأعظم فائدة ، وانحصر فقدان فائدتها من كونها محل ريبة وشـك فاذا تبين لنا أنها علوم قائمة في جانب كبير منها على الدقة العلمية كمنطق الاستقراء العلمي مثلا ، وكون العلوم الطبيعية في تطور مستمر ، تؤدي خدمات للمجتمع بشكل لاينقطع ، بدءاً من التقويم الفلكي حتى طبقات سـطح

الأرض ، أمكن القول : بأن الفلسفة فيها نفع كبير ، ولايجحد نفعها الا من لم يطالع تقدمها العلمى .

فاذا قيل : ان الوقت الذى يستهلك فيها يجب ادخاره لعمل نافع كان الجواب : ان الوقت المستهلك فيها ، انما هو وقت مدخر لصالح المجتمع نفسه والفرد المكلف عماد المجتمع وأساسه القويم ، ومن ثم فلا ينظر الى الوقت المبذول فيها على أنه استهلاك ، اللهم الا اذا تحولت دراسة الفلسفة الى نظريات لاقيمة لها ، كما فعل الشكاك قديما أو انحرفت الى الالحاد العلمى أو الدينى كما فعلت الوضعية المنطقية " الماركسية ، والوجودية ، والبراجماتية فى العصرين الحديث والمعاصر ، وحينئذ يمكن القول بأن هذه الفلسفات لاتقدم نفعا ، ويجب هجرها وعدم تعلمها .

٣ — أنها غير مأمونة العواقب :

ذلك أنها علوم وجدت فى بيئات تختلف عن البيئة الاسلامية فى كافة المناحى ومن أهمها امكان تطبيقه على العلوم فى الواقع المعاش ، اذ هى تبحث فى الجوهر والعرض ، والجزء الذى لايتجزأ ، والمادة ، والصورة وهى بهذا تؤدى الى الجدل وتدفع الى الاختلاف ، وتسوق الى العواقب الوخيمة سواء منها فلسفة سقراط أو الهيات أرسطو ، أو مُثُل أفلاطون وماكان من هذا القبيل فلاشك أنه غير مأمون العاقبة ، وعلى حكم العقل يجب هجره .

وهذا الجانب العقلى قاسم مشترك بين الفقهاء (١) والمحدثين (٢) ، ورجال الأصول (٣) ، وبين أصحاب الاتجاه الفكرى ممن يعادون علوم اليونان

---

(١) من الفقهاء مثلا الامام أبو حنيفة النعمان والامام الشافعى .
(٢) من المحدثين على سبيل المثال الامام النواوى والامام ابن الصلاح .
(٣) منهم الامام الغزالى ومن أتجه الى رأيه .

وينفرون من الدراسات الفلسفية ، ويحرمون النظر فيها بناء على حكم العقل وحده ، على ما سلف بيانه .

مناقشة الدليل الثالث : أنها غير مأمونة العواقب :

وهذا الدليل يشبه أن يكون نوعا من الجدل ، اذ أن الفلسفة ليست ميدانا يلجه كل الناس ، وانما هو بحر عميق الغور ، متعدد الشواطىء مضطرب الأمواج ، فتلاطم اللجج ، والمعروف أن قشور العلم تضل ، وكذلك شواطىء الفلسفة لايقف عليها الا من تعينه ملكاته على الغوص فى الأعماق .

فاذا تعاطى الفلسفة من كمل عقله ، واتسعت مداركه ، وأيقن بصحيح عقيدته فى الله ورسوله وكتابه ، وتأكد لديه أن أقوال الفلاسفة غير معصومة ، ولم ينل منه التعصب للرأى ، فلا شك أنه سوف يتخطى الحواجز ، ويقوم على الفلسفة قيامة الناصح الأمين ، الذى يدلف الى بواطن الأمور بتعقل وروية وتأتى نتائجه مأمونة العواقب ، فيها من الروية والأناة ما يجعلها تفوز عند السبق ، وتبقى عند المغالبة .

بل ان تاريخ الفكر ملىء بالشواهد على ما زعمناه ، فمثلا " ذهب بارمنيدس الى أن الوجود لاينقضه شىء فما هو موجود لايتصور عليه الفساد ، فالعالم اذن لايفنى " (١) واذا فهم هذا القول على أن المنفى هو الفناء الذاتى كانت المادة خالقة نفسها وهو الكفر ، واذا فهم على أن المنفى هو النفى الاضافى كان نوعا من الاحالة الى مسبب الاسباب كلها وهو الله سبحانه رب العالمين ، الذى خلق الوجود مقدرا فى علمه ، وجعل العدم مقدرا فى

---

(١) د / عبد المعطى محمد بيومى - جذور الفكر المادى ص ٢٠

علمه ، وجعل كليهما — والوجود والعدم — من المخلوقات التى يعلمها وحده ، والعاقبة فى الثانية مأمونة متى كانت على قواعد الاسلام ونصوصه المحكمة .

على أن فكرة بقاء المادة وعدم فنائها ظلت مضطردة الى العصر الحديث ، وان كان قد دخلها بعض التعديل على ماذهب اليه علماء الفيزياء Physics — لكن هذا الاضطراد كانت له نتائج ايجابية فى أغلب الأحوال ، أتت ثمارها العلمية بتقدم مذهل فى كل مناحى العلم التى تعرضت لها ، وربما قيل لماذا ؟ والجواب : " أن الفيزياء تزودنا بمعرفة دقيقة لأنها مبنية على قياسات دقيقة " (١) .

واذا جئنا الى فلسفة الكندى ومحاولاته الجادة اثبات تناهى الأجساد المادية ، والموجودات المفترضة حتى ينتهى الى ابطال القول بتعدد القدماء ، ثم يبلغ غايته فى القول باثبات وجود واجب الوجود الأول الآخر بما له من صفات الجلال والكمال ، أدركنا أن الفلسفة مأمونة العواقب ، ولأنها الحكمة أو الطريق الى الحكمة ، فهى اذن — لامناص — تطلق على طريق البحث العقلى ، وعلى طريق التصفية " (٢) ، وكلهما مأمونة العواقب على هذه الناحية .

ولعل احتراس الامام الغزالى من ادخال العوام الى حلبة صراع المتكلمين (٣) ، هو الذى حدا به الى اشعال نيران العنف الكامنة ضد

---

(١) جيمس جينز — الفيزياء والفلسفة ص ٢١ .

(٢) د / عبد الحليم محمود — التفكير الفلسفى فى الاسلام ص١٧٣ — دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٨٩م .

(٣) ألف الامام الغزالى كتابه الجام العوام عن علم الكلام والمضنون به على غير أهله ليكشف عن غايته مما هدف اليه .

الفلسفة والفلاسفة ، كدافع ديني قاده الى اعلان النصح القوي المركز ، وفي ذات الوقت تعاطي الفلسفة وسمح بتعاطيها لمن كانت لديه القدرات وأمن جانب العثرات ، ومؤلفات الغزالي ومن تلاه خير شاهد على مازعمناه اذن الفلسفة مأمونة العواقب متى كانت بالتحفظات التي ذكرناها ٠

(ب) أدلة رفضها شرعا :

لئن كان هناك من رفض الفلسفة بناء على حكم العقل ، أو نهى عن تعلمها أو تعليمها كنتيجة لذلك ، فان هذا لم يكن القرار الوحيد ، وانما انطلق الى رفض الفلسفة وتحريمها جمع كبير من سلف الأمة الاسلامية وفقهائها فضلا عن رجال الحديث ، وغيرهم ممن لهم باع فكري طويل في الدفاع عن الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ،وسنلفت النظر الى تلك الأدلة ثم نناقشها حسب خطة البحث ٠

الدليل الأول : أنها لم ترد في النقل المعصوم :

ذلك أن القوم بحثوا الأمر فلم يجدوا علم الكلام ولا الفلسفة في النقل المعصوم قرآنا كريما أو سنة نبوية صحيحة ، كما لم يجدوا أمرا بتعلمها ، فضلا عن اباحة النظر اليهما ، كما أن السلف الصالح رضوان الله عليهم لم يبحثوا المسألة ، ومن ثم اعتبر هذا الدليل بمثابة العلة الداعية الى تحريم النظر في الفلسفة ودراستها ، وسواء كان الأمر متعلقا بالمنطق أو الفلسفة أو علم الكلام ٠

على أن هذه العلوم التى مصدرها اليونان ، وفى نفس الوقت تسمى علوم الأوائل ، ينظر اليها فى البيئة الاسلامية على أنها تسمى الفلسفة بل هى فى نظر الامام الغزالى كذلك حيث يقول : " أما الفلسفة فليست علما برأسها ، بل هى أربعة أجزاء :

أحدهما : الهندسة والحساب .

الثانى : المنطـــق .

الثالث : الالهيـــات .

الرابـــع : الطبيعيـــات . (١)

من ثم ، فان اسم الفلسفة عند الامام الغزالى يشمل الكم المتصل فى الرياضة ، والمنطق والفيزياء من جملة علوم الأوائل ، وبالتالى فان الغزالى لما واجه " الفلسفة : أقر مفاهيم الفلسفات الرياضية والطبيعية ، ولم يعترض الا على الفلسفة الالهية " (٢) ، وغير خاف على الدارسين أمر الدليل الأول ، فى تحريم دراسة الفلسفة وتعليمها أو النظر فيها أو اعتقاد صحتها ، وعدم ورود شئ من ذلك فى النقل المنزل ، كما أن الفلسفة مخالفة فى أسلوبها أساليب القرآن الكريم والسنة المطهرة ، اذن هى مخالفة للنقل فى كل من الأسلوب والطريقة التى تعالج بها موضوعها ، والنتائج وسائر وجوه المخالفة كما أنها افراز عقول من لا دين لهم .

<u>مناقشة الدليل الأول : من أدلة الرافضين شرعا — أنها لم ترد فى النقل المنزل :</u>

الملاحظ أن هذا الدليل وما يعقبه من أدلة لتحريم دراسة الفلسفة

---

(١) الامام السيوطى — صون المنطق والكلام جـ ١ ص ٤٥

(٢) الاستاذ / أنور الجندى — الاسلام والفلسفات القديمة ص ٧٢ .

على الناحية الشرعية ، انما قصد بها أصدار أحكام شرعية تكــون في مواجهة تامة على أصحاب الفكر الحر ، فاما أن يتنازلوا عنه ، ويشغلوا أنفسهم بغيره ، واما أن يواجهوا فيهم الضلال ، والفسق والكفر ، التى تكون عواقبها القتل أو الاعدام ، فى ميدان عام ، ثم الحرق كما فعــل بجاليليو وكوبرنيقوس اللذين خالفا تعاليم الكنيسة الغرقة فى الضــلال ، فقادتهم آراؤهم — رغم أنها حق على جهة العلم — الى النهايات المؤسفة .

ورب قائل تساوره نفسه بأن هذا فى غير الاسلام ، فهل وقع ذلك فــى دياره أو من المنتسبين اليه ؟ والجوابة أن أحرار الفكر فى الاســلام قد نال بعضهم من سوء العاقبة ما نال متى كان السلطان هو الحاكم علــى عقول الناس وأفئدتهم وليس الشرع هو الحاكم .

فمثلا : فتنة الامام أحمد بن حنبل وجلده ، وما أنتهى اليه أمره ، رغــم تمسكه بالتفويض كناحية فكرية رآها تنجو به الى صحيح عقيدة دينية ، بــل ليس ببعيد ما حدث للغزالى نفسه فى المغرب من احراق كتبه ، واصــدار الأحكام القاسية عليه فى المغرب العربى ، بينما هو فى المشرق عالم الأمــة وحجة الاسلام ، وليس الحال مع ابن رشد ومن سبقه من مفكرى الاســلام كالفارابى وابن سينا ببعيد ، اذن صدرت أحكام قاسية باسم الدين علــى المخالفين فى الرأى وليس فى الحكم الشرعى ، فما بالك لو خالفوا فى فهــم أمر شرعى ؟ !!

ونعود الى مناقشة الدليل ، فنقول : ان الحكمة وردت فى القرآن — الكريم كثيرا ، وكذلك جاءت فى السنة النبوية المطهرة ، فاذا انتهينا الــى

أن الفلسفة هى الحكمة ، أو محبة الحكمة كان لنا أن نقول : أن الفلسفة جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . (١)

أما عن مخالفة أسلوب الفلسفة لأسلوب القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسلف الصالح فهذا أمر لاشىء فيه ، للفوارق الضرورية بين طبيعة النقل المنزل المعجز ، وبين طبيعة الفكر الانسانى الذى تتعاور ، أوجه النقص والكمال البشرى ، أما مخالفة أسلوب السلف الصالح ، فذلك راجع لتمسك السلف الصالح بالنقل المنزل ، وتمسك الفلاسفة بالعقل ، وان أسترشد بالنقل عند فلاسفة الاسلام فى محاولات التوفيق التى عرفت بها الفلسفة الاسلامية كجزء من غايتها .

واذا قلنا أنها آتية عن غير المسلمين فهذا تنصب على جانب واحد هو جانب الفكر المتحرر أو المنطق بعيدا عن النقل المنزل . أما الفلسفة الاسلامية فتمثل مرحلة أخرى لأن فلاسفة الاسلام اهتموا بابراز أن النقل الصحيح لايخالف العقل الصريح وجعلوا من قضيتهم الأصلية اثبات مؤخاة النقل للعقل ، وفى هذه الحال لايمكن القول بأن الفلسفة حرام لأنها جاءت عند غير المسلمين ، وانما يمكن القول بأنها مباحة على لغة الشرع كما ذهب اليه ابن رشد (٢) ومن نهج منهجه .

---

(١) للمزيد من البيان يمكن الرجوع الى كتابنا — قيمة الصراع بين الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام — المطبعة الوطنية بالزقازيق ص ٨١ — ١٢٣

(٢) فعل ذلك الامام ابن رشد فى كتابيه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، الكشف عن مناهج الأدلة فى قواعد عقائد أهل الملة .

الدليل الثانى : أنها تقــوم على الجدل :

أما لماذا ؟ فلأنها - الفلسفة وعلوم الأوائل على وجه الاجمال - تقوم على الجدل ، ولاتعتمد فى واقع أمرها على افراز نفع للبشرية فــى أى جانب ، وليستدلون بأن " النبى - صلى الله عليه وسلم - حين سأل ربه أن يحينه من علم لاينفع " انما قصد علوم الأوائل (١) ، ومنها الفلسفة وكل مالاينفع فـهو حرام من حيث هو علم ، وحرام من حيث استهلاك وقت المسلم وماله فى علوم غير نافعة .

مناقشة الدليل الثانى : أنها تقوم على الجدل :

وهذا غير مسلم ، لأن الجدل والمراء قد نهى عنهما شرعا ، فــاذا صح أن غير المسلمين مجادلون فى جانب نظرى من الفلسفة ، ويخص المنطق مثلا فليس معنى هذا أن الفلسفة كلها تقوم على الجدل المنهى عنه ، بــل ربما جاء الجدل فيها من طريق غير منهى عنه ، وهو الجدال بالحسنى ،قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم " وجادلهم بالتى هى أحسن" (٢) وبالتالى فليست داخلة فى العلوم التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منها على ماجاء به الحديث الشريف .

(١) الدكتور / توفيق الطويل - قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١١٧.
(٢) سورة النحــــل الآية رقم ١٢٥ .

بل ربما كان العكس صحيحا وهو أن الفلسفة تقوم على التحقيق متى نظرنا الى تقسيم الفلسفة أو تعريفها عند واحد من فلاسفة المسلمين فمثلا قال ابن سينا : " الحكمة : استكمال النفس الانسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الانسانية ، فالحكمة المتعلقة بالأمور التى لنا أن نعلمها ، وليس لنا أن نعمل بها ، تسمى حكمة نظرية ٠٠٠٠٠ ٠

والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التى لنا أن نعلمها ونعمل بها تسمى حكمة عملية ، وكل واحدة من هاتين الحكمتين تنحصر فى أقسام ثلاثة ، ثم ينتهى الى أن الحكمة العملية مدنية ومنزلية وخلقية مستفاد مبدؤ هذه الثلاث من جهة الشريعة الالهية " (١) اذن الفلسفة لاتقوم على الجدل وانما تقوم على أسس شرعية على ما مال اليه ابن سينا ٠

الدليل الثالث : أنها بدعة :

ويذكر فى هذا الصدد أن رجلا سأل الامام أبا حنيفة رضى الله عنه عن الفلسفة والفلاسفة ، وما يتردد على الألسنة منسوبا اليهم ، فقال له الامام أبو حنيفة أنها بدعة ، على وجه العموم الفلاسفة وعلمهم الفلسفى ، وهاك المسألة والاجابة ٠

قال ابراهيم بن رستم " قلت لأبى حنيفة : ماتقول فيما أحدث الناس من الكلام فى الأعراض والأجسام ؟ فقال : - أبو حنيفة - مقالات الفلاسفة عليك بالأثر ، وطريقة السلف ، واياك وكل محدثة ، فانها بدعة " (٢) وحيث

---

(١) ابن سينا - تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيات ص ٢ ط دار العرب للبستانى بالقاهرة ٠

(٢) الامام السيوطى - صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام ج١ ص٦٦

أنها بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فان تعلم الفلسفة والنظر فى كتب الفلسفة والفلاسفة أو الاشتغال بها حرام لكونه من البدعة الضلالة .

وفى مسألة البدعة كم استطال المنكرون للفلسفة وكم استخدموا من أدلة على انكار الفلسفة أنصبت كلها على أمر البدعة ، وأنها حرام ، حتى وصفت القائمون عليها بالسفه والفسق والجهالة على ما هو مدون فى كتب خصوم الفلسفة من مفكرى المسلمين — فقهاء وأهل أصول ، وعلماء حديث — حتى أن بعضهم ألف كتبا (١) ، ودون مباحث الغرض منها الطعن على الفلاسفة ، وتحريم الفلسفة ، نظرا واشتغالا .

بل ان بعضهم توسع فى الاستخدام حتى اعتبر الموصل الى البدعة هو بعينه البدعة ، من ذلك أن النظر فى علم الكلام يخشى منه " اثارة الفتنة ، والانجرار الى البدع فحرمه الشافعى قياسا على تحريم النظر فى المتشابه (٢) من حيث أن كل منهما يؤدى الى البدعة التى هى فى حد ذاتها ضلالة ، معتمد من الحديث الصحيح " من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، (٣) " قال أبو مروان العثمانى يعنى البدع" (٤) .

(١) ألف الشيخ أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى المعروف بشيخ الاسلام المتوفى سنة ٤٨١ هـ كتابا فى ذم الفلسفة والفلاسفة سماه كتاب ذم الكلام وأهله " ، واستتبعه ذم الفلاسفة ، وفعل ابن تيمية والغزالى وابن الصلاح والسيوطى وغيرهم .

(٢) صون المنطق والكلام جـ ١ ص ٥٢ .

(٣) أخرجه الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

(٤) صون المنطق جـ ١ ص ٦٩ .

مناقشة الدليل الثالث : أنها بدعـــة :

الغريب أن لفظ البدعة صار يطلق من غير ضابط لغوى أو شرعـــى ، فكل من خالف غيره رأيا قيل عليه مبتدع ، ومن خالف غيره موطنا قيل مبتدع بل من خالف غيره لباسا أو ريشا ألصقت به تهمة الابتداع ، حتى أنهـــا لكثرة ما تتردد توشك مقاسمة الناس سلوكهم ومشاكل حياتهم ، بحيث صارت تطلق الى غير هدف ، وعلى غير قاعدة ، وبلا داع يقود اليها ٠

بيد أن لفظ البدعة تشمله الأحكام الشرعية الخمسة ، فقد تكون البدعة واجبة وجوبا شرعيا وهو حلال ككتابة المصحف الشريف ؟ آيات القرآن الكريم على ما قاله المحققون من علماء المسلمين (١) ويكون المقصود منها حينئـــذ المعنى اللغوى ، وهو أن البدعة انشاء على غير مثال (٢) أو بتعبير آخـــر "ماكان مخترعا على غير مثال سابق " ٠

ونظرا لأن البدعة من الأمور التى وقع فيها الجهال والعوام ، وصارت حديث تكفير واتهام لذا فانى ناقل ما فصله أحد الأئمة المالكية الأعــــلام فى كون البدعة تقع فيها الأحكام الشرعية الخمسة ٠

قال رحمه الله — البدعة — من حيث هى منقسمة الى أقسام خمسة :
أحدها واجـب : وهو ما تناولته قواعد الأجوب — وأدلته من الشرع كتدوين القرآن الكريم — والشرائع اذا خيف عليها الضياع ، فان التبليغ لمن بعدنـا من القرون واجب اجماعا ، واهمال ذلك حرام اجماعا ٠٠٠

---

(١) ينظر نور الظلام ص ٦ ومابعدها ٠
(٢) المعجم الوجيز مادة ب د ع ص ٤٠

ثانيها : حرام : وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم ، وأدلته الشرعية كالطكوس ، وتقديم الجهال على العلماء ، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها ..... .

ثالثها : مندوب : وهو ما تناولته قواعد الندب وأدلته كصلاة التراويح جماعة والربط والمدارس وكل احسان لم يعهد في الزمان الأول .... .

رابعها : مكروه : وهو ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها لتخصيص الأيام الفاضلة على غيرها بنوع من العبادة ، وزخرفة المساجد وتزويق المصاحف .

خامسها : مباح : وهو ما تناولته أدلة الاباحة وقواعدها من الشريعة ،كاتخاذ المناخل للدقيق ، ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أتخاذ المناخل الآن لين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة " (١) .

من ثم . فاذا أدركنا أن الفلسفة من العلوم التي لايتأتى تحصيل الواجب الا بها ، فانه لامحالة يكون تعليمها وتعلمها لمن كملت قدراته من البدع الواجبة شرعا ، والواجب المتأتي بالفلسفة هو الاستدلال على خالق للكل . المميز بما يتفق مع جلاله وكماله ، واثبات النبوات ، والايمان بصدق اليوم الآخر وعلى هذا يكون أمر الفلسفة واجبا وليس بدعة على ما ظنه المانعون .

---

(١) الشيخ محمد نووي الشافعي — نور الظلام ص ٦ ط ٢ الحلبي ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦م .

الدليل الرابع : أنها تعتمد على العقل وحده وتهمل النقل :

ذلك أن الفكر الفلسفي لايعتمد الا على العقل في كل مايعترضه من قضايا ، أو يعرض له من مشكلات ، فهم بالعقل يبحثون ، وعنه يتحدثون ، انه السلطان المتوج في دنيا وجودهم ، بينما العقل الذى له هذا السلطان لايملك هذه المقدمات وانما يهبها له الله الخالق ،ومع هذا فالفلاسفة عبدوا العقل ولم يعبدوا خالقه .

بل ان الفلاسفة — من وجهة نظر خصومهم — جعلوا العقل حجة الله على عباده ، ومن ثم فقد " أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول " وهذا حرام " ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحى ، وعن الأنبياء صلوات الله عليهم ، ولبطل معنى الأمر والنهى " . (١)

وليس هذا وحده وانما يأخذ الى دائرة انكار النقل المنزل ، اذ ما معناه اذا لم يكن للاعتقاد فيه والعمل به والعلم ، بل أى فائدة من النقل المنزل ، ان لم يكن لهداية الخلق ، وتعريفهم بالخالق الحق ،وهدايتهم الى طريق الجادة ، والتعريف بما ينفعهم فى دنياهم وآخراهم ، ومن ثم فان اعتماد الفلاسفة العقل واهمال النقل يمثل نوعا من الخروج على قواعد الشرع وهو فى حد ذاته كفر بواح .

---

(١) الشيخ محمد نووى الشافعى — نور الظلام ص ٦ ط ٢ الحلبى ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م .

مناقشة الدليل الرابع : أنها تعتمد على العقل وتهمل النقل :

مبلغ ظنى أن هذه ليست الفلسفة الاسلامية ، والا كنا مدلى بشهادة غير صحيحة ، لأن من أهم قضايا الفلسفة الاسلامية عملية التوفيق بين النقل والعقل ، وليس هذا وحده ، بل ان الفارابى وابن سينا وابن رشـــــد ، الذين قد اتهم الأولان منهما ، ودافع الثالث عنهما ،تراهم يحيلون الـــى الشرع ويثبتون أمر الفلسفة بالشرع ، بل ان قضاياهم يحاولون تلمس الطــرق الشرعية لها فكيف يدعى مخالفة الفلسفة عموما للنقل وانصياعها للعقل ؟ واذا قبل الاتهام فلن ينصب الا على الفلسفة غير الاسلامية وهى مالاندافــع عنه ٠

الدليل الخامس : أنها صنعة يعجز عنها الكثيرون :

ذلك أن الفلسفة صناعة فن يبدأ من المحسوسات حتى ينتهى الـــى المعقولات ، يبدأ من الأمور الفيزيائية ، الى الميتافيزيقية ، وتلك صنعـــة جوفاء فيها من التكلف والعسر مالايجعلها أمرا ممكنا ، ومن ثم فأن التزامها وتكليف الناس بها يمثل لونا من التكليف بما لايطاق ، والتكليف بما لايطـــاق محرم شرع ، اذ المؤمن حين يكلف بما لايطيق تنفذ خواطره ويلعب به عواطفه وتسوقه أحلامه ، ويداعبه طيف خياله ، فتراه يتأمل قول الله تعالى :

" لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنـــــا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته علـــى الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به وأعف عنا وأغفر لنـــا وأرحمنا أنت مولانا فأنصرنا على القوم الكافرين" (١) ولما كان الأمــــر كذلك فان الفلسفة حرام لأنها تكليف بما لايطاق ٠

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٦

مناقشة الدليل الخامس : أنها صنعة يعجز عنها الكثيرون :

وفي تقديري أن هذا لا يصلح للاعتماد عليه في اصدار حكم شرعي بتحريم الفلسفة بغض النظر عن أسماء من حرموها أو منعوا دراستها . اذ أن سمة العلوم التخصص ، والفلسفة كعلم فيه التخصص ، وليس ذلك بعيب قادح فيها ولا منقص منها ، والسيوطي مع علو شأنه ، واتساع مداركه اعترف بأنه لم يحصل علم الحساب لعسره . قال " وأما علم الحساب فهو أعسر شيء علي ، وابعده عن ذهني ، واذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله وقد كملت عندي آلات الجهاد " (١) ولم يقل أحد أو يفتي بأن الحساب حرام النظر فيه أو تعلمه ، لأنه صنعة عزت على السيوطي نفسه ، والا كان ضربا من المستحيل ، وصورة من التخلف العلمي الذي يترفع عن الانتساب اليه عامة المسلمين فضلا عن العلماء ، اذن نقول إن الفلسفة من العلوم التي يجب تعلمها لمن قدر عليها .

الدليل السادس : أنها حرام لكثرة آفاتها :

يرى المحرمون للفلسفة أن بها من الآفات(٢) والعلل (٣) والأمراض الكثير ، وأن هذه الآفات منها ما يصيب العقل مباشرة كالجنون ، وهو ما يعبر عنه بانفصام الشخصية أو ازدواجية الشخصية ، وهي حالة ذات مستويين يعيشان في داخل الانسان ، احداهما وديعة والأخرى شريرة ، احداهما هادئة ، والثانية عنيفة ، احداهما متواضعة والثانية قمة الكبر ، وحالة كهذه تسيطر على صاحبها حتى تلقي به في مجاهل الحياة فلا شك أنها حرام شرعا .

(١) الامام السيوطي - حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٥٣ - ١٥٩

(٢) الآفة : هو مايصيب الانسان في مزاجه أو عقله وعواطفه وتكون في المعنويات غالبا وفي المحسوسات قليلا .

(٣) العلل : جمع علة وهي المرض الشاغل " المعجم الوجيز مادة علل ص ٤٣٢ .

ومنها ما يصيب العقل والاعتقاد معا ، كالأمراض العصابية أو العصبية التى تصيب العقل فتجعل اعتقاد صاحبه يصاب بمثل ما تصاب به أعضاؤه ، العقل والايمان المعتَقِدُ يصابان عند الفلاسفة بآفات كثيرة ولايمكن تلاشيها بل ان كثرة العلل والأمراض التى تلاحق الفلاسفة من جراء الفلسفة لدليل قوى على أن الفلسفة حرام لكثرة ما يرد بسببها من آفات وعلل وأمراض، ومن ثَمّ فان تعلم الفلسفة والنظر فيها حرام ، طبقا لما سلف ذكره على اتجاه الرافضين لها .

= مناقشة الدليل السادس : أنها حرام لكثرة آفاتها :

أجل هناك آفات جمة تنسب كلها الى العلم بينما تنسب واحدة الى الجهل ، فمثلا وسائل الدمار عالية التركيز كالقنابل الهيدروجينية ، والذرية والعنقودية ، والانشطارية ، وقنابل الجراثيم ، وماكان من هذا القبيل الذى يحمل الدمار للبشرية ، والهلاك للحياة والأحياء ، كل الناس ينسبون هذا الى العلم ، لأن بالعلم تحققت كل هذه الوسائل التدميرية ، ولولاه ماكانت.

وفى ذات الوقت يتجاهل الناس التقدم الصناعى الذى حول الصحراء الى زراعات ، واختزن مياه الأمطار والفيضانات حتى حولها الى طاقات من الكهرباء تحول الليل الظليم الى نهار مبين ، ولايذكرون العلم الذى غزا أرجاء المعمورة وجاب فيافيها وحلق فى محيطها حتى نقل الينا مايحدث فى أبعد طرف منها لحظة وقوعه عن طريق احتساب قيمة سرعة الصوت ، وعلى أثرها تم التركيز على الموجات الصوتية وأطوالها .

ولايذكرون العلم فى معاقله التى تتحدث عن استخدام الموجات الاشعاعية ، والتى باتت تعطى مذكرة كاملة عن صحة الانسان من كافة نواحيه فى خلال دقائق معدودة ، أضف الى ذلك مالايمكن حصره فى العلوم الطبية والبيولوجية والكيمائية والفيزيائية وعلوم الفلك التى قدمت للبشرية من المنافع مالايمكن اغفاله فى الأرض والبحر والجو ، علاجا ووقاية ، هندسة ونظام حياة ، بل انه حول باطن الأرض المختمر الى طاقة يعبر عنها بالذهب الأسود ٠

فهل قال عاقل هيا نلغى العلم ، وهل استجاب الناس لمثل هذا الطلب ؟ أوصاغوا السمع لمثل هذا الصياح ؟ حتى ولو كانت دعواه قائمة على أن بالعلم أضرارا وأخطارا وأنها تبدو لكل ذى عين ، حتى لو حمل بين يديه ضحايا حرب بأكملها ؟

اذن فى الفلسفة آفات ، وفى دراستها علل ، وفى النظر الى مباحثها قلق وترقب ، لكن هذا كله لايقلل من شأن الحاجة اليها ، وشدة الاقبال عليها ، طالما كانت فى حدود ما رسمناه سلفا وأشرنا اليه مرارا وهو كونها فلسفة على هدى الشرع تنصب خيامها ، وعلى نوره تحل وترتحل وبنصه المنزل تقيم وتظعن ، وأعنى بها الفلسفة الاسلامية ٠

ويجمل بى أن أنقل الموقف الداخلى للغزالى من الفلسفة مصورا بقلم غيره يقول : " ان الغزالى دخل بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر ٠٠٠٠ اذ أن أباحامد لم يكد يترعرع حتى كشفت له الفلسفة النقاب عن جمالها الفاتن ، وابتسامتها الحلوة ، فهوى فى شباك غرامها القاهرة ثم حاول بعد ذلك — لارهاق العوامل المحدقة به اصداق السوار بالمعصم — أن يسلوا هواها ، أو أن يتخلص من حبائلها فلم يقو

على هذا السلوان" (١) ٠

أما لماذا ؟ فلأنه أحبها بعنف ، فقابلته بصد وعدم ألف ، من ثم حرمها على غيره حتى تظل عذراء تنشده أقترابا ، أو ترجوه احسابا وأنسابا ، ولكنها عليه تأبت ، وقلبت ما بيديها وعن عصامه تخلت ، ثم أمطرته بوابل من الأشواق الدفينة وتولت ، فعاش على أمل اللقاء سنوات ، ويبدو أنه كتم حتى غف ومات ٠

(١) الدكتور / محمد غلاب - المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣٣٦-٣٣٧ الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

ثانيا : القائلون باباحة الفلسفة :

لئن كان البحث قد عالج مسألة الرافضين للفلسفة عقلا وشرعا ، فان هذا لايغنى عن ذكر وجهة نظر المطالبين بالفلسفة المشجعين على التفلسف ، ولايقال : ان فى مناقشة أدلة المانعين والانتهاء الى بطلانها دليلا قويا على اباحتها والتشجيع المستمر لطلابها ، لأن مثل هذا القول فى الواقع العلمى فيه اغفال لشأن المطالبين بها مع أن قضيتهم قامت على أسس عقلية ونقلية معا ٠

فاذا ما سُلِّم بأن الفلسفة نوع من الفكر ، أو ميدان من ميادينه ، وسُلِّمَ بأن فهم النقل المنزل يمثل لونا من ألوان الفكر الانسانى ، فان الأمر الحتمى هو قبول فكرة مساواة الانتاج الذهنى فى العلوم العقلية ، بالانتاج الذهنى فى فهم النقل المنزل ، من حيث ان كلا منهما قد أشتد الفكر اليه ، وان كان فى الأول انتاجا وفى الثانى توفيقا وتأليفا ومؤاخاة ٠

وربما عنّ قول لصاحبه بأن دوافع التفلسف ، والغاية من الفلسفة ، يمثلان حجر الأساس فى المطالبة بالفلسفة ويكفى هذا الأمر ليكون دليلا قويا على أن الفلسفة أمر يجب القيام به وجوبا كفائيا (١) ، ونحن لانخالف صاحبه القول ، ولانخالفه النتائج ، بل ربما عدّلنا فى قوله ، وخالفنا فى نتائجه ، اذ ان البحث ملتزم جانب التحرر من القيود العقلية المسبقة ، وان كان التزامه أمر الشرع من الحقائق المسلمة ، فلنلتزم جانب السلامة ، وهيا نلتمسه فى أمر الشرع ٠ وهو ما سوف نلح عليه ٠ وهؤلاء ينقسمون الى :

---

(١) الواجب الكفائى هو الذى اذا قام به البعض سقط الوجوب عن الباقين اما اذا لم يتم فإن الجميع يأثم ٠ هذا المعنى وارد فى مؤلفات الأصوليين ٠

١ — فريق اباحة الفلسفة مطلقا ٠

٢ — فريق اباحة الفلسفة الاسلامية مطلقا ٠

٣ — فريق اباحة الفكر العقلي بشروط محددة ٠

وسنذكر كل فريق منها بنوع من التفصيل على النحو الآتي :

الفريق الأول : اباحة الفلسفة مطلقا :

وهؤلاء يرون الفكر العقلي مساويا للوحى ان لم يفقه ، حيث ان الوحى محدد بوضع معين ، وظروف مخصوصة ، بينما الفكر العقلي ليس محددا ، بل هو منطلق الى أبعد حد ، انه يصدق بوجود العقل ، ويؤمن — في ذات الوقت — بعدم وجوده ، انه يوافق على الجمع بين المتناقضين ويمكن تسميته في هذه الحال مغالطة فكرية ٠

وهذا الفريق منهم من لايؤمن بالله ، ولايصدق بالنبوات ، ولايقر باليوم الآخر ، انه يؤمن بشيء وحيد هو الفلسفة عقلية كانت أو وجودية ، أو أية تسمية من هذا القبيل ، شرطهم الوحيد أن تتفق روح البحث العلمي مع المعطيات المستجدة ، ولاتخرج عن الثوابت المتفق عليها ، والتي يركن اليها البحث العقلي وربما اتكأ عليها ٠

وهذا الفريق يتجه الى أن الفلسفة أم العلوم ، وأي علم لابد أن يكون تابعا لها ، وهل يستغنى ابن عن أمه ؟ كما أنها أساس كل علم ، فهل يستغنى علم عن أساسه وقواعده الأولى ؟ ولذلك اصطنعوا لها سبيلا طويلا وطريقا شاملا العلوم الطبيعية والرياضية حتى ينتهى بالفلسفة العامة في أعم صورة لها ٠

وتعرّف الفلسفة العامة حينئذ بأنها " مجموعة المعلومات فى عصر من العصور ، والفيلسوف على رأيهم اذ ن هو : من أحاط بمعارف عصره (١) وطبقا لهذا المفهوم العام للفلسفة العامة فانها تشتمل على "الرياضيات" والطبيعيات ، والالهيات ، كما تشتمل على السياسة والأخلاق " (٢) ، وبالتالى فان دراسة الفلسفة والنظر فيها أمر مباح مطلقا ، على أى نحو كانت الفلسفة ، وأى جانب منها استقل بمنهج دراسى ، فلامانع من النظر فيه والاهتمام به ، وربما ادخلوا المنطق اليها باعتباره وسيلة لها ٠

ولسنا مع هذا الفريق الذى يدعو الى اباحة الفلسفة مطلقا ، والى اعتبار أنها أم العلوم على وجه العموم أما لماذا ؟ فلما يلى :

أولا : اباحة الفلسفة على وجه الاطلاق فيه ضغط فكرى على حقوق لم تنط بدراستها ، فضلا الفلسفة اليونانية والطبيعية بل وفلسفة الاباحية والالحاد ، اذا قلنا ان الفلسفة مباحة على وجه العموم ، فحتما ستكون النتيجة استنزاف طاقات فى دراسة موضوعات عفى عليها الزمان ولاتقدم للحياة الحاضرة وجه نفع مقبول ٠

ثانيا : اعتبار أنها أم العلوم فيه انزلاق خطير يقوم على حصر المواد العلمية كلها فى منهج علمى واحد هو الاطار الفلسفى وليس الأمر كذلك لأن هناك علوما لا امكانية للعقل فى انشائها ، وانما هى علوم نقلية جاء بها النقل المعصوم — أتى بها الوحى ، وهذه العلوم

---

(١) الدكتور / عبد الحليم محمود — التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٦٥ ط دار المعارف ٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٥ ٠

الوحيية امكانية العقل فى حصرها أو تصورها محدودة ، وليست الفلسفة . أو التفكير العقلى بأم لها أو أب ، انما هى وحى الله أنزله الى أنبيائه لتصلح للناس أمور حياتهم ، وتستريح نفوسهم القلقة ، وتهدأ جوانحهم المعذبة .

ثالثا : اعتبار الفلسفة أم العلوم ليس محل قبول من كل المفكرين والفلاسفة بدليل أن جمهرة عارضت الفلسفة ، وحاربت كل انتاج فلسفى ، ولو كانت الفلسفة أم العلوم ، أو أساس العلوم لأجمع المفكرون على قبولها والاهتمام بها فضلا عن الاقرار بضرورة الحاجة اليها فى محيط الفكر الانسانى كله ، وهذا لم يحدث ، والا لما سمعنا عن المنكرين لها على ما سلف بيانه .

رابعا : مسألة الاطلاق تعبير لم ينل القبول على وجه اجمالى ، اذ ماتزال المنازعات فيه قائمة من حيث هو لفظ ، ومن حيث هو معنى ، ومن حيث دلالته التى تستخدم حينا بمعنى ، وحينا آخر بمعنى مغاير فضلا الاطلاق يقابل التقييد ، والاطلاق يرادف الأبدية وكل من الأبدية والاستمرار ليس معناهما الاطلاق ، وبالتالى فاباحة الفلسفة على وجه الاطلاق — كما ادعى اصحاب هذا الاتجاه — لاتعضدها أدلة ، أو تنهض لها حجج على وجه يسلم من النقد والضعف .

الفريق الثانى : اباحة الفلسفة الاسلامية مطلقا :

وهذا الفريق ربما كانت اتجاهاته تمثل رد فعل موقفى على من حرموا دراسة الفلسفة فى المحيط الاسلامى ، بل ومن أهل الاسلام أنفسهم ،

فكان هذا الفريق ، ثم جاءت أحكامه باباحة الفلسفة الاسلامية وحدها لأنها — من وجهة نظرهم — مجهود عقلي محكوم بقواعد شرعية ، وعلى نحو نقلي ، ومن ثم فقد جدّ هذا الفريق لا لاثبات أنها على جانب الشرع مباحة ، بل ان نصوص الشرع تدعوا اليها ، وتدفع الى تعلمها وتدريسها .

واذا كان المحرّمون لدراستها من أهل الاسلام قد أقاموا رفضهم لها على أحكام الشرع ، وكان تحريمهم لها مطلقا ، فقد جاء من أهل الاسلام من أباح الفلسفة الاسلامية وحدها ، وعلى وجه شرعى أيضا . فكأن حجة المحرمين ، أنقلبت عند المبيحين من أهل الاسلام أدلة اباحة لا أدلة انكار ، حتى أن بعضهم وضع مؤلفاته للدفاع عن فكرته هذه ،(1) مستخدما كل وسيلة مقبولة بعد أن جعل عناوين كتبه متضمنة ما هدف اليه.(2)

أجل هذا الفريق ركز على ما يلى :

أولا : أن الفلسفات الأخرى منطلقة غير مقيدة بالشرع وبالتالى فأوجه الخلل فيها لايمكن أصلاحها ، يكفى أنها فلسفة تبحث عن الله أو تنكر وجود الله ، وتنكر النبوات ، واليوم الآخر ، وكل مالايمكنها التعرف عليه بالحس .

---

(1) كالحال مع ابن باجة فى كتابه تدبير المتوحد ، وكما فعل برسائل " ابن باجة الالهية " .

(2) فعل ذلك ابن رشد فكتب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ومناهج الأدلة فى الكشف عن قواعد عقائد أهل الملة ، والمثال لايغنى عن الحصر ، وانما يقدم أمثلة للتذكرة .

ثانيا : أن الفلسفة الاسلامية ، رغم أنها انتاج عقلى الا أنها مقيدة بشرع الله المعصوم فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبالتالى فهى مأمونة من الخطأ ، مضمونة النتائج الصحيحة لأنها لن تخرج كثيرا أو قليلا عن حدود الشرع الشريف ، كل مافى الأمر أنها فهم عقلى بجوار النقل المنزل ،وفى حدوده ٠

ثالثا : أن الفلسفة الاسلامية نشأت عنها علوم شرعية تخدم قضية تثبت العقيدة الاسلامية فى نفوس المؤمنين ، وتعمل على تهيئة العقول الأخرى لقبول فكرة وجود نقل منزل معصوم ، كما أنها تدافع عن العقيدة الاسلامية فى مواجهة غير المؤمنين بالله رب العالمين ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٠

وحيث أن الفلسفة الاسلامية تثبت العقيدة الاسلامية عند المؤمنين ، وتدافع عنها امام الملحدين ، وتعمل على تهيئة النفوس بقبول العقيدة الاسلامية عند المترددين ، فان هذه الأمور تجعل دراستها وحدها مباحة مطلقا ، لكن من أى الفلاسفة تقبل الفلسفة الاسلامية ؟ أو بمعنى آخر ٠ متى تقبل الفلسفة على أنها اسلامية ؟ ٠

والجواب : أن الفلسفة الاسلامية تقبل متى كانت فى حدود التزام القواعد الشرعية والأحكام الاسلامية ، حتى ولو كان الناقل لها غير مسلم ، وكذلك تقبل اذا كانت فى اطار النقل المعصوم تسير ، اما إذا قام بها مسلمون وليس فى حدود الشرع فلا يمكن اعتبارها اسلامية كما فعل البعض

حينما وقعوا فى أحضان التفكير الفلسفى ، وانتهوا الى أن الكون بدأ من ستة ملايين سنة ، أو أن عمر الكون كله عشرة ملايين سنة " (١) ، لأنهـــا احتمالات لم ترد فى الشرع الشريف ، بل تعاند نصوصا كثيرة منه ، وكذلك الحال مع من فهموا الأجرام الفلكية على معنى ترمى اليه اتجاهاتهم الفكرية المسبقة ، وليس مما تشير اليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فـــى تكوين السماوات السبع ، وأنها سدم ، وأنها مكونة من أجرام ، الى غيــر ذلك من الأمور التى لاتوجد فى النقل المنزل اشارات اليها ، بل العكس نجد اشارات واضحة ، وآيات صريحة فى نفى ماذهبوا اليه" (٢) .

من ذلك قوله تعالى : " ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا " (٣) من ثم فلا يمكن اعتبار الأفكـــار التى يقول بها مسلمون على أنها فلسفة اسلامية ، انما الحكم والفيصـــل فى خضوع هذه الفلسفة لحكم الشرع وقواعد الاسلام ، ويقاس هذا على كافـة الأمور المطروحة .

فمثلا : الأرحـام المستأجرة (٤)

فكرة فلسفية ، قادت الى استئجار أرحام قادرة على الحمل ، ثم توضـع فى هذه الأرحام بذرة الرجل Y أو X ، كذلك بويضة المرأة بعد أن يتم التعامل معها كيمائيا ، بحيث يتهيأ أمر تلاقيها ثم يوضعان معا فى رحـم امرأة مستأجر هذا الرحم مدة الحمل ، حتى اذا ماوضعت جنينها استرده أصحاب البويضة والحيوان المنوى ، وهذا الباب خطير جدا لأنه حتمـــا

---

(١) هناك العديد من الأساطير فى عمر الكون لم تنل قبولا من علم أو دين ، فليرجع اليها فى كتابنا الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى فى مسألة عمر الكون .

(٢) تناولت هذه المسألة فى كتابنا الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى .

(٣) سورة الكهف الآية رقم ٥١ (٤) راجع كتابنا الايمان بالغيب .

سيوقع فى الاختلاط العرقى ، وله أضرار لسنا فى مجال ذكرها الآن ٠

ومع هذا فقد وجدنا بين جماعة المسلمين من ينادى بتطبيق هذه المسألة ، حتى يحقق لمحرومى الحمل رغبة فى طفل يملأحياتهما بهجة وفرحا ، ويعلن أن هذا فلسفة اسلامية فى فهم واقع معاشى ،والحق خلافه ، ولو رجع الى كتب الأصول لوجد جواب هذه المسألة بوضها مما أهتم به علماء المسلمين فى جانب فكرى لخدمة قضايا الشرع ٠

كذلك الحال مع :

(١) بنوك الأجنة ٠ (١)

(٢) بنوك الأعضاء الآدمية ٠

(٣) الهندسة الوراثية ٠ (٢)

الى غير ذلك من الأبحاث الفيزيائية التى يرجى تطبيقها فى بلاد المسلمين على أنها مما دعا اليه الاسلام ، ونبه اليه الدين ، والعكس صحيح ، لأن مادعا اليه الدين غاية فى الوضوح ، وما أمر به الله بين فى كل من كتابه وسنة رسوله ، أما المتشابه فهذا مما وقع فيه البعض وماله به على غير وجه مقبول ، وربما ظنوا الانحراف فلسفة اسلامية حتى بغضهم الناس ، وكرهوا ما يتمسحون به ٠

---

(١) راجع كتابنا " الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى " ٠

(٢) تقوم الهندسة الوراثية فى جانب منها على اختيار نوع الجنين وعملية التلقيح اللازمة والظروف الملائمة وغيرها مما ذكرته الكتب المتخصصة فى هذا الميدان فليرجع اليها من شاء ٠

الى هنا يمكن القول : بأن اباحة الفلسفة الاسلامية مطلقا لايمكن قبوله الا اذا كان على قواعد الشرع القويم ونصوص الدين الحنيف وما استقر عليه اجماع المسلمين فى أمر تقوم قواعده وأحكامه على شرع الله ، أما خلافه فلا يقبل وتحديد الفلسفة الاسلامية وتخصيصها بالاحتكام الى أمر الشرع ضرورة لابد منها ٠

الثالث : اباحة الفكر العقلى بشروط محددة :

وهذا الفريق يبدو فى الوضعية المنطقية والوضعية الطبيعية والبراجماتية ، على أساس أن كلا منهم لايميل الى الفكر العقلى على أساس الدين أو الشرع ، أو المصدر الذى استقى منه ، وانما همه مركز على المنفعة وحدها ، فالفكر الذى تنشأ عنه منفعة يقبل ، والذى لاتعقبه المنفعة يرد ، اذن الشرط الوحيد هو مقدار المنفعة التى تلى الفكر العقلى ٠

من ثم ٠ فان الوضعية المنطقية نادت بأن كل فكرة لايمكن التأكد من نفعها عن طريق التجربة الذاتية ، أو التحليل والتركيب فانها لاشك فكرة فارغة لاقيمة لها ، وبالتالى فالأفكار التى تقف عند حد اللغة ولايمكن التأكد منها عند طريق التجربة الذاتية والتحليل والتركيب تعتبر عملا غير مقبول ، وأفكارا هشة لاقيمة لها ٠

وطبقا لهذا الفهم المعوج فقد استبعدوا الميتافيزيقا من كافة نواحيها ، كما استبعدوا مسائل عديدة منها :

١ - اللــــه .
٢ - الـــروح .
٣ - خلود النفس.

وبغض النظر عن أفكار هذه الوضعية المنطقية ، فاننا نحسم المسألة على لغتنا ، وهى أن مسألة وجود الله والروح وخلود النفس قضايا بدهية وعقيدة دينية ، ومنكرها لايعتد به(١) .

والوضعية الطبيعية والبراجماتية وأمثالهما لاعبرة بهم فى ميــدان الدراسات العقلية ، لأن انكارهم لمبدأ ميتافيزيقى مع اقرارهم بمبدأ أخــر انما يمثل نوعا من الانحراف الفكرى ، وتسلط رغبة معوجة فى محاربة القيــم النبيلة والأخلاق الفاضلة ، ودعوى اقرارهم من الفلسفة الاباحة بشـــرط المنفعة انما كان من قبيل ذر الرماد فى العيون الآمنة ، وهو ما ســنعول على الرد عليهم فى أوقات أخرى(٢) ، ان أمد الله فى العمر ، وبســط فى الصحة ، ويسر العافية .

---

(١) ناقشت الوضعية المنطقية فى كتابنا " الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى " الباب الثالث فصل أثره فى تناول قضايا الميتافيزيقــا فليرجع اليها من شاء .

(٢) أعددت مشروعا للرد على كل من البراجماتية الوضعية الطبيعية أدعو الله أن يهىء الأسباب لاتمامه .

(المقدمـــــة الســـابعة)

(مفهـــوم الفلســـــــــــفة)

(المقدمة السابعة)

(مفهوم الفلسفة)

ماذا تعنى كلمة مفهوم ؟ الجواب : أن " المفهوم هو مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كلى ، ويقابله الماصدق "(١) بحيث يكون المفهوم هو الصفات والخصائص بينما يكون الماصدق هو الأفراد والجزئيات التى تنطبق عليها الصفات والخصائص الكامنة فى ذات المفهوم كمفهوم لفظ انسان فانه ينطبق على كافة أفراد الانسانية والتى منها محمد خالد ، سعيد ، هانم ، هدى، وباقى أفراد الانسانية .

من هنا فان مفهوم الفلسفة هو الخصائص والصفات التى تجمع فيما بينها كافة أنواع التفكير العقلى الحر ، وتسمى الفلسفة ، هذا عن ناحية المفهوم كلفظ له معنى محدد .

أما تعريف الفلسفة الحدّى فقد اختلف المتناولون له اختلافا لايمكن جمع أطرافه بسهولة ويسر ، أما لماذا ؟ فالجواب : أن المفروض فيمن يبذل تلك المحاولة — تعريف الفلسفة الحدّى — أن يتابع الفكرة الانسانية فى جانبها الفلسفى منذ بدء الخليقة ، أو بدء التفكير العقلى الذى لايعتمد على نور الوحى الالهى .

على أن ملاحقة الفكر الانسانى تمتد من الماضى التليد حتى الوقت الحاضر ، وهذا يهتم بجانب منه مؤرخو الفلسفة ، على حين يهتم بالجانب الآخر علم تاريخ الفلسفة ، وفرق كبير بين علم تاريخ الفلسفة وبين التأريخ للفلسفة على ما هو معروف لدى المتخصصين من الدارسين .

---

(١) المعجم الوجيز مادة ف هـ م ص ٤٨٣ .

وجه صعوبة تقديم تعريف حدّى للفلسفة :

ربما يقال لماذا لايوجد تعريف واحد للفلسفة يجمع أشتاتها والمتفرقات بحيث يلم شملها ويجمع ماشذ من أطرافها بأعتبارها من العلوم التى يجب أن يكون لها تعريف ثابت محدد ؟

والجواب : أن الفلسفة تختلف عن غيرها من العلوم المعرفية التى تختص بموضوع واحد ، هو ميدانها المحدد ، كعلم الحساب الذى يختص موضوعه بالكم المنفصل " الأرقام " وكالهندسة الذى يختص موضوعه بجزء من الكم المتصل - السطوح والأحجام - ولو كان للفلسفة موضوع واحد محدد تخصه بالدراسة والبحث لكان تعريفها تابعا لهذا الموضوع ، غير أن الفلسفة لم تقف عند موضوع واحد تجتره طوال تاريخها الفكرى الطويل ، وانما تقلبت العديد من الموضوعات ذات الطابع المضطرد ، وربما تقلبت الفلسفة موضوعات شتى كان مرجعها الى طبيعة العقلية التى تتعاطى الفلسفة ، والمجتمع الذى تقف على بابه تطرقه على استحياء ، والعصر الذى تمر به تناديه فى خفاء ، من ثم كان تقلب الفلسفة فى تعريفها ، بحيث يمكن القول: بأن تعريف الفلسفة لم يثبت على حال منذ تاريخها الفكرى الأول حتى فلسفة العصر الحديث ، وذلك لأن موضوع الفلسفة ليس واحدا .

ونظرا لاختلاف موضوع الفلسفة باختلاف العصور الفكرية التى شاهدت زحفه المستمر ، وعرفت فيها الفلسفة فلا شك أن الفلسفة قد اصطبغت بسمة العصر الذى كانت تمر به ، وكان للتأثير الفكرى فى كل هذه العصور لون خاص ميزت به الفلسفة .

كما أن الفلاسفة أنفسهم كانت لهم اتجاهات مختلفة ونزعات متنوعة ونزغات غير مستقرة ، وميول فكرية تأثرت بالعوامل المحيطة بها ،وربما أضيف الى ما سبق وجود عوامل خاصة بالفيلسوف نفسه من ظروف معيشية وأحوال اجتماعية وضغوط سياسية وأزمات فكرية ، وتسلط كنسى أو فرض سلطان دينى مزعوم ،كل هذا فرض على الفيلسوف التوجه الى موضوع بعينه مستخدما منهجا معينا .

فاذا دار بنا أن الانسان اجتماعى بطبعه يتأثر بالمجتمع الذى يعيش فيه وتثقل نفسه بنزعاته الفكرية ، ويتأثر بالثقافة المحيطة به ، أدركنا أن ذلك كله ربما كان له تأثير على الفيلسوف فى موضوع البحث الفلسفى أثّر فى طريقة تناول الموضوع وطريقة العرض كما أثر فى النتائج ، من ثَمّ كان للفلسفة أكثر من تعريف .

على أنا نخلص جوابا عن سؤال لماذا لايوجد تعريف محدد للفلسفة من أول أمرها حتى اليوم ؟ نجمل الجواب فيما يلى :

(١) عدم وقوف الفلسفة على موضوع واحد .

ذلك أن موضوع الفلسفة متعدد تتناوله بالبحث والدرس ، وتتعدد مناهج معالجة الفلسفة لكل موضوع على حدة ، حتى ان موضوعات الفلسفة كانت تضيق أحيانا وتتسع أخرى ، اذ أنها عند ضيقها تخص قضايا بعينها كالطبيعة مثلا ، أو الانسان ، أو المبدأ والمصير ، كما أنها عند اتساعها تشمل موضوعات كلية ومعارف اجمالية ، الهية كانت المعارف أو طبيعية أو انسانية .

(٢) اختلاف العصور الفلسفية :

من المشهور لدى الدارسين تقسيم عصور الفلسفة الى خمسة عصور :
أ — عصر الطبيعيين الأولين (وهو بداية عصر الفلسفة اليونانية) ٠
ب — عصر الفلسفة المسيحية (ويشمل آباء الكنيسة والفلسفة المسيحية والمسيحية المفلسفة) ٠
جـ — الفلسفة الاسلامية (ويشمل الفلسفة التى تتعلق بالاسلام من أول أمره حتى الآن كامتداد طبيعى للفلسفة الاسلامية) ٠
د — عصر الفلسفة الحديثة : (وهو يشمل بداية فلسفة روجربيكون والفلسفة التجريبية التى واكبت عصر الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجى ويستمر هذا العصر حتى نهايات القرن التاسع عشر) ٠
هـ — عصر الفلسفة المعاصرة : (وهو الذى يبدأ مع نهايات القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، وكانت البراجماتية هى بواكير هذا العصر الذى يستمر حتى الآن) ٠

- اذا اختلاف العصور الفلسفية يؤكد وجود ميزة فكرية يتميز بها كل عصر عن غيره ، وطابع خاص فى البحث والدرس ومعالجة القضايا الفكرية التى يتعرض لها الفيلسوف فى كل عصر من العصور المختلفة ٠

فاذا أردنا تقديم مثال فانا نجد الفلاسفة اليونانيين قديما والشكاك (السوفسطائيين) ثم سقراط ومن تلاه ، وكل واحد ممن مرّ ذكرهم يمثل مرحلة هامة فى ذات العصر اليونانى ، يختلف عن غيره فى كثير من النواحى ومادامت الفلسفة تصويرا لحالة العصر ، فلايمكن تقديم تعريف واحد يعمها من أول عهدها حتى يومنا هذا ، فضلا نرى الأفكار التى يتبناها العقل

حينا من الزمان يتنازل عنها كليا أو جزئيا متى كان التقدم العلمى هـــو الفيصل ، وبخاصة بعد أن " فرد العلم أجنحته فى العصور الحديثـــة ابتداء من القرن السابع عشر ، وتوالت خطواته التقدمية بسرعة متزايدة فـى ايقاع متعجل يدعو إلى الدهشة " (١) . فكذلك يتغير التعريف الفلسفى طبقا للعصر نفسه .

(٣) النزعـة العقليـــة لدى الفيلسوف :

مادمنا قد انتهينا الى اختلاف موضوع الفلسفة وكذلك اختلاف العصـــور الفلسفية ، فانا حتما سنجد المفكرين أنفسهم لم تكن نزعتهم العقلية واحـدة وانما كانت تمثل اتجاهات مختلفة ، أما لماذا ؟ فلأن كل فيلسوف ومفكـــر انما اتجه بقواعد أصيلة عنده عاشت معه سنوات عمره ، فتكونت منها ثقافتـــه وشبت عن الطوق نزعته العقلية ، فاذا ما اتجه الى تقديم تعريف للفلســـفة فلا شك أن ثقافته ونزعته الفكرية سيكون لها دخل كبير فى التعريف الـــذى ينشده .

وكلما جاء مفكر مغاير بثقافته من سبقه أضطر الى تعريف الفلسفة بشـكـل مغاير للسابقين طبقا للمعطيات التى تعيش بداخله ، وهكذا دواليك كلمـــا جاء فيلسوف بثقافته قدم للفلسفة تعريفا يتفق مع ثقافته ، وهذه الثقافـــات الفكرية المتناثرة تمثل اتجاهات فلسفية غير متوافقة وانما طابعها الاختــلاف من ثَمّ لم يمكن تقديم تعريف محدد للفلسفة .

وآية ذلك أن أرسطو كان يعرّف الفلسفة بأنها العلم الباحث عن الموجود بما هو موجود ، ومعناه أن ذلك العلم يعنى المميزات الكلية للنظام الضرورى ، وهو الذى يكون دائما على ما هو عليه ويمكن معرفته معرفة ثابتة على هـــذا

(١) لويس دى برولييه . الفيزيا والمكروفيزيا ص ١٢٥

المنحى " (١) وهذا يمثل وجهة نظره ، وكان يسميها الفلسفة الأولى باعتبارها باحثة عن الموجود بما هو موجود ، بينما كان يرى الفلسفة الثانية ممثلة فى العلم الطبيعى ، وقد سار خلفه غيره ، بينما كان فيثاغورث يعرِّفها بأنها " البحث عن طبيعة الأشياء " (٢) .

(٤) العوامل المحيطة بالفيلسوف نفسه :

يتأثر كل فيلسوف بالعوامل المحيطة به من النواحى السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، بل ربما والأدبية ، والخلقية ، والدينية ، والفنية ، والفكرية ، وغيرها من العوامل ، وكل هذه وتلك تحيط بالفيلسوف وتؤثر فى فلسفته ، وأقرب دليل على ما ندعيه هو أن الأساطير سادت المجتمع اليونانى بما فيها من قصص الرمزية ، والنرجسية ، وما فيها مما لم يعتمد على الأسس المنطقية ، ولاتوجد له أرضية صلبة تناسبه من الأفكار المقبولة ، من ثَمَّ اتجه التفكير الفلسفى عند اليونان فى بعض مراحله نحو " البحث عن تفسير لسر هذا الكون ومعرفة العناصر المكونة له ، وادراك قواه المختلفة وعلاقتها بالانسان " (٣) .

كما أن العقل الانسانى بطبيعته " كلما مرّ بمعتقدات تسللت اليه خفية أو جهارا ، واستقر الكثير منها فى ذاته اللاواعية ، تدعم كيانها وأضحت كل فكرة جديدة لاتتمشى معها اعلانا بالحاجة الى اعادة النظر فى هذه المعتقدات" (٤) .

---

(١) أ . أ . طيلر — المعلم الأول أرسطو وفلسفته ص ٢٦ .
(٢) د / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ٤٥ .
(٣) د / محمود عبد الرزاق شفشق واخر — تاريخ التربية ص ٣٨ .
(٤) د / توفيق الطويل — قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٣٥ .
دار النهضة العربية ط ٣ سنة ١٩٧٩م .

(٥) عدم امكان تعريف الفلسفة حديا :

الفلسفة ليست من العلوم التى لها جنس وفصل بحيث تعرّف على الحقيقة تعريفا حديا جامعا مانعا ، ذلك لأنه لا جنس لها يعمها الا لفظ العلم ، وهى عند المنكرين لها ليست علما حتى تكون أحد أفراد ، وهذه الصعوبة تبدو بوضوح حينما ينظر الى الفلسفة من هذا الجانب باعتبار أنها علم انسانى أو طبيعى أو ميثولوجى ، وعدم تحديد الموضوع اذا أنضم اليه عدم وجود الجنس والفصل بالنسبة للفلسفة فلا شك أن هذا يشكل تراكمات من الصعوبة فى تعريف الفلسفة تضاف الى الموانع التى سبق ذكرها كعوائق لعدم تقديم تعريف حدّى للفلسفة ،

فاذا اعتبرنا أن الفلسفة فى تعريفها من المهايا الاعتبارية فان هذا الاعتبار لن يسلم من وجوه الطعن عليه من ثَمَّ كان التفلسف والفلسفة فى هذا الشوط سواء وعلى كافة النواحى ، مما يؤكد ماسبق أن ذهبنا اليه من أن تعريف الفلسفة فى كل عصر لم يخرج عن كونه طلبا للمعرفة ومحبة للحكمة " ورغبة فى التماس الحقيقة لذاتها "[1] على ما هو معروف عند الدارسين للفلسفة وبخاصة ممن يهتمون بتعريفها على النحو السالف ذكره .

تعريفات الفلسفة فى عصورها المختلفة :

من العسير أن يلتقط الباحث كل تعريفات الفلسفة لدى مراحلها كلها فضلا عن الفلاسفة أنفسهم لذلك سألتقط بعض التعريفات من العصور الفلسفية حتى يشاركنى القارئ الرأى بأن هناك صعوبات لايمكن تجاوزها

---

(١) د / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ٤٨ .

اذا أردنا تقديم تعريف للفلسفة على وجه يفيد اليقين أو الاضطراد العلمي وستكون هذه اللقطة على النحو التالي :

أولا : عند فلاسفة اليونان القدامى[(١)] :

ما فتىء العلم يذكر فلاسفة اليونان القدامى وأنهم جعلوا بحثهم الفلسفي مرتبطا بالمادة في صورها المتعددة ، وخواصها التي أتيح للعقل أن يفهمها حينئذ من كونها مادة محسوسة ، ولذلك دارت تعريفات للفلسفة حول هذا المعنى المادى المحسوس ، فمثلا :

١ ـ كريسبس :

كان مؤرخو اليونان من أمثال هيرودوت يذكرون أن كريسيبس قال : لسولون يوما ما " لقد سمعت أنك جبت كثيرا من البلدان متفلسفا[(٢)] يعني طالبا للمعرفة ، كأنه في كل رحلاته لم يكن له من غرض الا المعرفة وطلبها ، وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد ،

وهناك رواية أخرى تنسب الى أن " قارون قال : لسولون المشرع سمعت أن رغبتك في المعرفة قد حملتك على أن تطوف بكثير من البلاد متفلسفا ، فالتفلسف عنده يراد به طلب العلم ، أو التماس المعرفة في غير ما عرض " (٣) . اذاً تعريف الفلسفة عند كريسيبس هو طلب المعرفة ومحبة الحكمة .

---

(١) يقصد بهم ههنا الذين ابتدأت بهم الفلسفة اليونانية تقعيدا حوالى القرن السابع ق٠م وكان بحثهم في العالم الطبيعي المادى المحسوس، وحده ٠

(٢) أزفلد ٠ كولبه ـ مدخل الى الفلسفة ص ٨ ٠ ترجمة د / أبو العلا عفيفي

(٣) د / توفيق الطويل ـ أسس الفلسفة ط ٧ ص ٤٦ ٠

٢ — فيثاغورث :

كان يميل الى تعريف الفلسفة بأنها طلب المعرفة ومحبة الحكمة حيث نسب اليه القول : " الحكمة لله وحده ، وانما للانسان أن يجدّ ليعرف وفى استطاعته أن يكون محبا للحكمة تواقا الى المعرفة ، باحثا عن الحقيقة ، أى فيلسوفا " (١) ٠

ويبدو أن طلب المعرفة ومحبة الحكمة كان التعريف السائد للفلسفة فى القرن السابع قبل الميلاد عند الفلاسفة اليونانيين القدماء بدأ من طاليس(٢) حتى سقراط (٣) الذى عاش نهاية القرن الخامس ومطالع الرابع قبل الميلاد ، وان رمت تعريفا اجماليا للفلسفة عندهم فى هذه الفترة فيمكن أن يقال فيه " تعرف الفلسفة عندهم بأنها البحث النظرى فى العالم ، وتعليل ظواهر الكون "(٤) فى حدود طلب المعرفة ومحبة الحكمة ٠

= لكن أى الظواهر الكونية كانت محل بحث الفلاسفة اليونان ؟

الجواب : أن هناك فارقا بين الظاهرة الكونية والظاهرة الجوية ، وغير ذلك من الظواهر الفلكية والعلمية والفنية والاقتصادية ٠٠ الخ ٠

وهذا التوسع فى استخدام الظاهرة لم يكن معروفا عند القدماء بهذا المعنى الذى نعرفه نحن ، وانما كان مفهوم الظاهرة ما يتعلق بالوجود المادى وحده ، ويمثل فى ذات الوقت ظاهرة كونية ، وكانت الأسئلة السائدة

---

(١) أزفلد كوليه — مدخل الى الفلسفة ص ٨ ترجمة د / أبو العلا عفيفى ٠

(٢) عاش طاليس المليطى فيما بين أعوام ٦٤٠ — ٥٤٦ ق ٠م ٠

(٣) عاش ما بين أعوام ٤٦٩ — ٣٩٩ ق ٠م ٠

(٤) د / عوض الله حجازى وآخر — فى تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٢ ص ١٢ دار الطباعة المحمدية ٠

فى تفسير هذه الظواهر الكونية لدى اليونانيين القدماء تقوم على ما يلى :

أ — من أين نشأ الكون ؟

ب — ما أسباب الظواهر البادية فيه ، كالصلابة والليونة ، والتخلخل والتكاثف ، والنعومة ، والخشونة ٠

جـ — ما أسباب البرق والرعد والمطر وغيرهما من الظواهر الجوية ؟

د — لماذا تشتد الحرارة والبرودة بينما تتلاشى كل منهما حينا آخر ولاتدوم واحدة منهما ؟

هـ — ما مصير الكون بظواهره المنبثة فيه ؟

و — ما هى الغاية من وجود الكون والى أين يسير ؟

ز — هل خلف هذا الكون أكوان أخرى ، وهل توجد عوالم غير هذا العالم ، ما مصير كل هذه العوالم فرادى ومجتمعه ؟

وأمثال هذه الأسئلة التى يقصد بها فهم الكون وأسراره ، ومحاولة تفهم ظواهره هى التى صبغت تعريف الفلسفة لدى اليونانيين القدماء وعلى مدى فترة زمنية ممتدة بأنها — الفلسفة — البحث النظرى فى العالم ومحاولة تعليل ظواهر الكون من الناحية النظرية أيضا ، ولايخلو هذا العمل من كونه طلبا للمعرفة ومحبة للحكمة على ما مال اليه تعريف الفلسفة فى هذا العصر اليونانى وبخاصة لدى الأولين من اليونان ٠

٣ ـ أفلاطون : ٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق٠م

عرف أفلاطون الفلسفة بأنها " كسب أو تحصيل المعرفة ، أو " هي معرفة الأمور الأزلية ، أو معرفة حقائق الأشياء (١) ، وطبقا لهذا التعريف فقد اشتملت الفلسفة علوما ثلاثة هي الجدل ، والعلم الطبيعي وعلم الأخلاق ، وجعل علم الجدل شاملا النظر في العلم الانساني ، ومسائل ماوراء الطبيعة التي تتعلق بالوجود ككل ، والمعقولات الأولى على حين يشمل العلم الطبيعي علوم الطبيعة ، والفلسفة الطبيعية وعلم النفس ، أما علم الأخلاق : فهو العلم الذي يبحث في السلوك الانساني " (٢) ٠

والملاحظ على هذا التعريف أنه خلط بين ماهية الفلسفة أي تعريفها وبين المهمة الفلسفية التي تناط بها ، وهي البحث عن طبيعة الموجودات على ماهي عليه ، ويبدو أن هذا الخلط كان سمة بارزة تعلو هام هذا العصر الفكرية ، وتسيطر على سائر الأفكار التي تخدم هذا النوع من البحث العقلي ، بجانب أن أفلاطون كان ينظر الى تعريف الفلسفة من ناحية موضوعها ، أي من ناحية العناصر التي تتألف منها " (٣) ٠

٤ ـ أرسطو : ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق ٠م

مال أرسطو الى تعريف الفلسفة بأنها : " البحث عن الوجود بما هو وجود ، وسماها بالفلسفة الأولى تمييزا لها عن الفلسفة الثانية ، وهي

---

(١) د / صلاح عبد العليم ابراهيم ـ دراسات في الفلسفة ص ٢٢ ط المدني ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م ٠

(٢) د / يحيى هويدي ـ مقدمة في الفلسفة العامة ص ٣٣ بتصرف ٠

(٣) أزفلد كوليه : المدخل الى الفلسفة ص ٩ ط لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٥٥م ترجمة د / ابوالعلا عفيفي ٠

عند ه العلم الطبيعى ، وسماها كذلك بالحكمة لأنها تبحث فى العلل الأولى اطلاقا (١) ، على أن تسمية أرسطو للفلسفة تكررت كثيرا فى مؤلفاته ، والدليل أنه تارة يسميها الحكمة ، وأخرى يسميها العلم الالهى ، الى غير ذلك من التسميات ، أجل لكل تسمية مدلول عنده لكن كثرة أساميها لاتعطى انطباعا أكثر من التردد فى الحكم الفنى الدقيق على موضوعاتها ، وكذلك الأسماء التى تعبر عنها والتعريفات التى تخصها ٠

ويذكر مؤرخو الفلسفة أن أرسطو حين أطلق على الفلسفة اسم العلم الالهى ، كان يعنى أهم مباحثها حينئذ وهو الموجود الأول ، أو العلة الأولى للوجود ، وحين أطلق عليها اسم الحكمة فقد كان همه حصرها فى دائرة ما بعد الطبيعة ، بحيث تكون مقابلة للفظ العلم ، على معنى أن الفلسفة عند أرسطو كانت مساوية للعلم وتقف معه على قدم واحدة وهى الفلسفة العامة ٠

ومن ثم فقد جعلها أرسطو مقسمة نوعين كما يقسم العلم الى هذين النوعين ، وأعنى بهما :

(١) العلم النظرى : وهو يشمل الطبيعيات والرياضيات والالهيات ٠

(٢) العلم العملى : وهو يشمل الأخلاق ، والسياسة ، والاقتصاد ٠

لكن من أى المباحث العلمية تأتى الميتافيزيقا عند أرسطو ؟

---

(١) دكتور / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ٤٧ ٠

الجواب : أن أرسطو كان لولبيا فى تعريفه للفلسفة ، فتارة يجعلـــه تعريفا عاما بحيث يشمل كافة العلوم العملية والنظرية ، وتارة يجعلـه ضيقا بحيث يقتصر على ما بعد الطبيعة ويقصد بها الميتافيزيقا ٠

ويبدو أن هذا التعريف الأرسطى قد كتب له البقاء فترة زمانيـــة أمتدت حتى نهاية العصر الأغريقى ، ولا يعرف بالضبط السبب القـــوى الذى كان يقف خلف هذه التعريفات الأرسطية حتى نالت لونا مــــن العصمة بين اليونان فلم يفكر أحد فى اعلان خروجه عليها ، أو رفضـــه لها ، بل العكس كنت تجد كثرة من المرددين لها المترددين عليهـــا الذين يفاخرون بالانتساب اليها ٠

بل أكثر من هذا وهو أن " الكنيسة ــ المسيحية فيما بعد ــ قـــد اعتنقت أرسطو ــ الذى بدا بعد مسيحيا ــ مذهبا رسميا لها وأقامـــت على هذا منذ ذلك العصر ــ المدرس ــ حتى يومنا الراهن ، وترتب على هذا آثار لها خطرها الملحوظ فى تاريخ النزاع بين الدين والفلسفة " (١) وهو ما سنلفت اليه فى حينه ٠

ثانيا : تعريف الفلسفة فى العصور الوسطى (٢)

ربما ملامح هذه الفترة لم تكن واضحة المعالم ، بحيث يمكن القـــول بأن العصور الوسطى فكرة ليست لها موضوعات محددة ، ولكن هـــــذا

(١) د / توفيق الطويل ــ قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١٠١ ط ٣ دار النهضة العربية ١٩٧٩م ٠

(٢) يقصد بالعصور الوسطى : الفترة الفاصلة بين العصر اليونانى والعصور الاسلامية ويطلق عليها العصور الوسطى كما يطلق عليها العصور المظلمة وعصر أباء الكنيسة وله ملامح عديدة برزت فى شكل واضح على العقيـــدة والفلسفة والأخلاق ٠

القول غير صواب ، أما لماذا ؟ فلأن العصور الوسطى مصطلح يطلق على ما بين الانتاج الذهنى العقلى وهو الفلسفة اليونانية والوحـــى والالهام الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحى وأبرز اتجاهات هذه العصور ظهور العديد من المدارس والتيارات ، الفكرية والفلسفية والدينية على السواء ٠

فمن المدارس ظهرت مدرسة الأسكندرية التى لم تكد " تظهر الـى الوجود حتى كسفت بنورها مدارس أثينا ، وانتزعت منها راية العلـم والفلسفة ، واستمرت تتزعم الحركة الفكرية زهاء ثمانية قرون ، من القـرن الثالث قبل الميلاد عند انشائها الى القرن الخامس بعد الميلاد " (١)٠

كما ظهر فى هذا العصر العديد من التيارات الفكرية ، والتيـارات الدينية ، فمثلا ظهرت الفيثاغورية الجديدة كمذهب رياضى عقلى حاول التوفيق بين الأديان ، كما ظهرت الأفلاطونية المحدثة والتى أسسهـا أفلوطين المصرى (٢) ، ودارت تعريفاتهم للفلسفة حول الموضوع مـــرة ، وحول الغاية من الفلسفة تارة أخرى ، وسواء كان ذلك فى عصر أبـــاء الكنيسة ، والآباء الرسوليين ، أو فى عصر الفلسفة المسيحية ، ان هذا كله يوحى بأن فلسفة العصر الوسيط تمثل امتدادا فكريا لفلسفة الأغريـق مع تعديل خفيف ، ولذلك اعتبرت تعريفات أرسطو قاعدة دينية استمرت ترسل أضواءها فترات طوال ٠

---

(١) د / أحمد فؤاد الأهوانى — المدارس الفلسفية ص ٨٤

(٢) حيث ولد أفلوطين فى أسيوط بصعيد مصر الوسطى ٢٠٥ — ٢٧٠ بعد الميلاد ٠

ثالثا : تعريف الفلسفة فى العصر الاسلامى :

لسنا نقصد ههنا تقديم احصاء لتعريف الفلاسفة الاسلاميين للفلسفة ولكنا سنذكر بعض هذه التعريفات :

أ — تعريف الكندى ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م

حاول الكندى فيلسوف العرب تعريف الفلسفة ، ولكنه كان قريب الشبه فى جزئياته من التعريف الذى تردد فى ثنايا الفلسفة اليونانية ، ومن ثم نراه يطلق على " الميتافيزيقا ، الفلسفة الأولى وعلم الربوبية وطبقا لهذا فقد جمع الكندى عددا من التعريفات بعضها راجع الى الغاية من الفلسفة ، وبعض آخر مستقى من موضوعها ، وبعض آخر راجع الى نوعية ممارسها فمثلا عرفت الفلسفة عنده بأنها :

" التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان .... وكذلك عرفت بأنها " علم الأشياء الأبدية الكلية ، انياتها ومائيتها وعللها بقدر طاقة الانسان " (١) وقد مال الكندى الى كثرة التعريفات نظرا لتعدد جهات التعريف التى نظر للفلسفة من خلالها .

ب — الفارابى : ٣٣٩ هـ — ٩٥٠ م

أبو نصر الفارابى عرف الفلسفة بأنها " العلم بالموجودات بما هى موجودة " (٢) ويبدو أن هذا التعريف قد تردد كثيرا مما أوحى لبعض المفكرين أتهام فلاسفة الاسلام بأنهم مجرد نقلة للفكر اليونانى بلغة عربية

---

(١) د / عبد الحليم محمود — التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ٢٢٣

(٢) د / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ٤٩ .

وهذا الاتهام غير صحيح ، حتى ولو كانت المشابهة بينه وبين تعريف أرسطو على ما يظن ، أما لماذا ؟ فلما يلى :

أولا : أن العلم الذى عناه أرسطو وفلاسفة اليونان هو العلم العقلى المتجرد من هداية الدين المتمثل فى نور الوحى وليس الحال كذلك مع الفارابى ، بدليل أن العلم عند الفارابى هو الذى يعطى الموجودات معقولة ببراهين يقينية " (١) وهذا ثابت فى الشرع الاسلامى الذى تمثله الفارابى فى أعماقه ، ولم يعرفه أرسطو ومن سبقه أو تابعه ، والمعروف أن يقينية أى علم ترجع الى :

أ — صحة مصدره وصدقه .

ب — سلامة قضاياه وعدم تناقضها .

جـ — اضطرادها وعدم تسلل وجوه الضعف اليها .

د — موافقتها للفطر السليمة ، والطباع النقية ، والعقول الصافية

فاذا حاولنا تطبيق هذا على مفهوم العلم عند الفارابى ، ومفهومه عند أرسطو بأن لنا أن الاشتراك فى مجرد التسمية لايعطى معنى التطابق فى المفاهيم ، ومن ثم فلا يتصور أن الفارابى والكندى وابن سينا وابن رشد وفلاسفة الاسلام مجرد نقلة للتراث اليونانى، وانما لديهم من الجدة وعناصر الابتكار ما يجعلهم فلاسفة على الاستقلال على ما سنشير اليه فى موضعه .

---

(١) الشيخ الامام / مصطفى عبد الرازق — تمهيد الفلسفة ص ٥١

ثانيا : أن معرفة الموجودات بما هى موجودة ، تمثل قفزا فكريا ، لأن حقائقها أمور غيبية ، ومن ثم فقد كان بحث اليونان لها منصبا على الجانب التى يطاق بالعقل ، بينما الفلاسفة المسلمون كان بحثهم لها باعتبارها أمورا غيبية جاءت فى نصوص الشرع مجملة ، وحاول العقل تقديم اجابات لأسئلتها الحائرة ، وهو ما يعرف بالتوفيق بين الوحى والعقل ، أو بين الشرع والفكر وليس الحال كذلك عند فلاسفة اليونان ٠

ثالثا : أن " فلسفة أى عصر تخضع للعلم الذى يسود ذلك العصر ، فأى تغيير جذرى فى العلم يتبعه رد فعل فى الفلسفة " (١) ، والمعلوم أن العصر الذى نشأت فيه الفلسفة اليونانية ليس هو العصر الذى نشأت فيه الفلسفة الاسلامية ، كما أن اتجاهات الفلسفة اليونانية ليست هى اتجاهات الفلسفة الاسلامية ، من ثم بان لنا أن فلاسفة الاسلام ليسوا مقلدين لفلاسفة اليونان ، ولا مجرد نقلة لفكرهم ٠

ج — الشيخ الرئيس ابن سينا : ٣٧٠ هـ — ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) :

عرف الفلسفة بأنها الحكمة ، وأنها " استكمال النفس الانسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الانسانية " (٢) ومعنى هذا أن الشيخ الرئيس اعتبر تعريف الفلسفة نوعا من " التماس العلم بطبيعة الموجودات بما هى كذلك عن طريق النظر

(١) جيمس جينز — الفيزياء والفلسفة ص ١٤
(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا — تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيات ص ٢ ، ط ٢ دار العرب ٠

العقلي " (١) . وطبقا لهذا التعريف انقسمت الفلسفة عند ابن سينا الى :

أ — الحكمة النظرية .

ب — الحكمة العملية .

ثم جعل النظرية أقساما تضم :

١ — العلم الطبيعي " وهو الذى يبحث فى الأمور التى يتعلق وجودها وحدودها بالمادة الجسمانية والحركة ، كالأجرام السماوية والعناصر الأربعة ، وما يتكون منها " (٢) وهو العلم الأسفل من علوم الفلسفة النظرية .

٢ — العلم الرياضي : " وهو العلم الذى يبحث فى الأمور التى يتعلق وجودها — دون حدودها — بالمادة والحركة ، مثل العدد وخواصه ومثل التربيع ، والتدوير والكروية " وهو العلم الأوسط من علوم الفلسفة النظرية .

٣ — العلم الالهى : " وهو الذى يبحث فى الأمور التى لاتفتقر الى المادة والحركة لافى وجودها ولا فى حدودها وهذه الأمور — أما من الذوات مثل ذات الأحد الحق رب العالمين ، وأما من الصفات مثل الوحدة والكثرة والعلة (٣) ... الخ .

---

(١) د / توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص ٤٩

(٢) د / صلاح عبد العليم — دراسات فى الفلسفة ص ٢٨

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨ .

أما أقسام الفلسفة العملية فثلاثة هى :

(١) الحكمة المدنية : وهى التى تقود الانسان الى التماس طرق التعاون بين الناس فى مصالح أبدانهم ومعاشهم واستمرار حياتهم ·

(٢) الحكمة المنزلية : وهى التى تنظم المصالح المشتركة بين الأسرة الواحدة فى المنزل الواحد ، الأولاد والآباء ·

(٣) الحكمة الخلقية : وهى التى تقود الى تعلم الفضائل ، واجتناب الرزائل ، فيقف للأخرى متعلما منفذا ، بينما يقف من الثانية - الرزائل - موقف المناهض لها الرافض لأحكامها ، حتى أنه يعمل على تجنبها فتزكو نفسه ·

من ثم ، فان تعريف الفلاسفة الأوائل - الكندى ، الفارابى ، ابن سينا - للفلسفة ربما انصب على جانب واحد هو الفلسفة الاسلامية ثم انسحب كتعريف عام الى الفلسفة ككل ، ومادمنا فى معرض ذكر التعريفات فقط فلن نلتفت الى غيرها ، نظرا لضيق الوقت ·

رابعا : العصر الحديث (١)

عرفت الفلسفة العامة فى العصر الحديث كانت تلاحق التطورات العلمية ، وبخاصة تلك التى نادت بفصل الفلسفة عن العلوم الأخرى

---

(١) يقصد بالعصر الحديث أحيانا الفترة من بواكير الثورة الصناعية حتى نهايات القرن التاسع عشر ، ويقصد به أحيانا أخرى الفترة التى من القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ويقصد به أحيانا ثالثة القرن السابع عشر حتى مطالع القرن العشرين ولكل وجهة هو موليها ·

وكان لهذا التلاحق السريع والتطور فى التعريف العديد من الأسباب منها :

الأول : ضيق المفكرين بسلطان الكنيسة :

أجل ضاقت آفاق المفكرين الأحرار عن قبول السلطان الذى زعمته الكنيسة لأصحابها ، حتى صارت أحكام القسس تمثل سيفا مسلطاً على رقاب المفكرين ، بل ان من حاول الخروج على قواعد هم أنهالت عليه قضايا الايمان المسيحى التى لاتقبل نظر العقل اليها ، ولاتدعمها أدلة مقبولة ، كما لاتخضع الى نقل صحيح النسبة ولا الى واقع يمكن للعقل أن يستريح فى رحابه ٠

كما أن السلطان الكنسى تحول الى أحكام واجبة النفاذ ، صدر فيها حكم القضاء ، ولاتخضع للمناقشة كما لاتقبل الاستئناف ، وكان هذا السلطان ممتدا حتى شغل كافة جوانب الحياة ، قسوة وعنفا ، ومحاكم تفتيش على الضمائر ، مما جعل المفكر الحر يعمل على ارضاء هذا السلطان الجائر ، أو يتوارى خلق عبارات شفافة من احترام مزيف لرجال الدين الذين اعتصموا بالجهل ، والتحفوا أنواع الضلال ، وافترشوا طيف خيال لم ينل من أرض الواقع شيئا ٠

أمام كل هذه راح المفكر الذى يريد التفلسف فى لف عباراته الفلسفية ومباحثه الميتافيزيقية فى ثوب زائف من عبارات لم يقصد لها ما تحتويه مباشرة من معان ، وآية ذلك أن ديكارت خشى هذا السلطان الكنسى فأهدى مقدمة كتابه التأملات لعلماء دينه الذين كان بغضه لهم من أبرز عوامل ثورته عليهم ، حتى أنه باح بها — ثورته — فى ثنايا التأملات ولم

يكتشفها الكهنة اللاهوتيون فى المسيحية ٠

الثانى : الرغبة فى التخلص من الموروث :

سلف القول بأن ما انتهى اليه أرسطو اعتبر لدى اليونان تراثـــا فكريا يحسن النهوض به ، محافظة عليه واصلاحا له ، بينما نال فـــى المسيحية حظوة أكبر ، ومنزلة أعلى حتى أن الكنيسة اعتبرته جزءا مـــن تراثها الدينى بغض النظر عن صحيحه من فاسده ، المهم أن أرســطو قال به ، ونال القول عصمة الكنيسة له بحيث لم يعد لأرسطو الا مجـرد الفكر ، أما الكنيسة فلها دور التقنين ٠

ونتيجـة لهذا فقد ثار المفكرون الأحرار على هذه الأوضاع المتردية ، وباتت نيران الثورة تظهر فى شكل نقد خفيف لهذه الأفكار الأرسطية ، ثم اشتد النقد عنفا وضراوة ، وبخاصة بعد أن بدأت بواكير المنهج التجريبى على يد بيكون تعطى ثمارا ماكانت الا حلما ، فصار واقعا حتى أن بيكون بمنهجه التجريبى الذى وصل به الى درجة من اليقين النسبى فى العلـوم الطبيعية ، قد مهد أرضية النقد ، وعبد طريق المهاجمة لزميل له هـو ديكارت الذى امتثل المنهج العقلى عنده ، فراح يبحث به من رقـــاء الأموات ، الى قمم الأحياء حتى اذا بلغ به غايته كان الأمر قد وقف عنـد استخراج المنهج الرياضى الذى يصلح للبحث فى الفلسفة العامـــة ، والميتافيزيقا على وجه سواء ٠

الثالث : بروز أفكار كانت بذورا فى الأوهـام :

حقيقة انتشرت موجة من الأفكار الفلسفية مادية وتجريبية ونقدية وعقليـة بعضها أخلى مجال فكره من المسائل الغيبية ، ولم يصدق الا بما تمليـه

عليه حواسه ، فأنكر الواقع غير المحسوس ، ولم تحفل ذاكرته الا بالماديات فقط ، كما فعلت الوضعية الطبيعية ، والوضعية المنطقية ، والمادية الديالكتيكية ، والماركسية والوجودية الملحدة فى الأدب والفن والفلسفة .

وطبقا لهذه المعطيات فقد تحولت هذه البذور الفكرية الى نباتات نمت فى حقل خصب ، وتمت تغذيتها بمقومات قوية وأساليب حديثة حتى شبت فى أرض الواقع تعانى فقدان نسب ، وقلق فكر ، وثورة عواطف ، مع شدة حرمان ، وكان لهذه الأمور من الآثار ما غطى تعريف الفلسفة ونال منها بالقدر الذى يعرفه الدارسون فى تاريخ الفلسفة (١) ، فى العصر الحديث .

مما سبق أستطيع القول : بأن تعريف الفلسفة فى العصر الحديث غير ممكن الا اذا تناولنا الفلاسفة واحدا واحدا ، سواء منهم العقليون ، أو المثاليون ، أو التجريبيون ، أو غيرهم ، وهذا مما لاسبيل لنا به على الأقل فى هذه العجالة التى نأمل لها أن تقع من الناس موقع الرضا ومن الله موقع القبول .

خامسا : الوقت المعاصر (٢)

ظهرت فلسفات توسم بأنها معاصرة ، واختلف تعريف الفلسفة بين كل فلسفة وأخرى بل انه داخل الفلسفة الواحدة نجد تعريفات لرجالها

---

(١) يمكن الرجوع الى : المدخل الى الفلسفة أزفلد كولبه ، مباهج الفلسفة ول ديوارانت ، مبادىء الفلسفة ل رابوبورت ، وأسس الفلسفة دكتور توفيق الطويل ، وكثير غيرهم ممن عنى بتاريخ الفلسفة .

(٢) يقصد به الفترة من نهايات القرن التاسع عشر ومطالع العشرين حتى الآن

متباينة ، وهذا يستدعى القول بأن هذه الأفكار لم تكن معصومة ولانالت القبول ، ومن ثم سنذكر أبرز هذه الفلسفات على سبيل الذكر فقط ٠

أ ـ البراجماتية :

وتسمى الفلسفة العملية ، كما يطلق على المذهب الذى تنسب اليه الذرائع ، أو المذهب العملى ، وقد نشأت فى أمريكا مع مطالع القرن العشرين ، وكان لها فرسان ثلاثة مثلوا أفكارها أصدق تمثيل صدروها الى العالم فى شكل مقبول بعض الشىء ٠

والفرسان الثلاثة هم :

الفارس الأول : تشارلز ساندرز بيرس ت ١٩١٤م الذى نشر له بحث عنوانه " كيف نوضح أفكارنا لأنفسنا "

How to make our ideas clear to our selves.

وقد كان لهذا الفارس دور هائل فى البراجماتية من ناحية تأسيسها ، ووضع القواعد التى يمكن أن تكون فيما بعد ركائز فلسفية لمذهب البراجماتية ٠

الفارس الثانى : وليم جيمس ١٩١٠م

الذى يعتبر بحق أكبر أعلام هذا المذهب ، الذى مال الى أن مدار الخطأ والصواب فى أفكارنا لايمكن الحكم عليه الا من خلال القيمة التى تعقبه وأى عمل لاقيمة له لايمكن قبوله ، وأى حق لايمكن اعتباره حقا الا اذا كانت له قيمة ، اذن الصواب والحق ماكان له قيمة فى واقعنا ، أما ماليس له قيمة فى واقعنا فلاحاجة لنا به ، بل لسنا فى حاجة لمجرد تأمله فضلا عن انفاق وقتنا فيه ٠

الفارس الثالث : هو جون ديوى ١٩٥٢ :

ولا شك أن ديوى هو المدافع عن البراجماتية ، والمحامى الذى أبقى هذه الدعوى تدار فى المحافل الدولية قرابة نصف قرن من الزمان ، اذ أنه نقل المسألة الفلسفية من الناحية التجريبية ، أو النقدية الى منحى آخر ، انه اتجه الى الفكر نفسه ، فما انتهى الى أن الفكر ما هو الا وسيلة للتعبير عن شىء ما ، انه مجرد ذريعة لخدمة الحياة فى أبسط صورها ، وأغورها على السواء .

بل ان ديوى يتصور أفكاراً كأوراق البنكنوت ، فان أدت خدمة عملية كانت أوراقا صحيحة قابلة للتعامل الصرفى والا فهى أفكار فاسدة وعملة مزيفة متى ذهب بها صاحبها الى البنك رد خاوى الوفاض ، ومن ثم . فان هذه الفلسفة البراجماتية صبغت نفسها بنزعة واقعية من وجهة نظر أصحابها على الأقل (١) .

ب — الماركسية :

الماركسية نظرة فلسفية تمتد الى الفلسفة الهيجيلية ، وقد امتصت دماء المادية الجدلية ، بعد أن ارتضعت ألبان الديالكتيك فى الفلسفات السابقة عليها ، وكان لهذه الفلسفة رجال أقاموها نذكر منهم :

١ — كارل ماركس ١٨٨٣م

٢ — فردريك انجلز ١٨٩٥م

---

(١) لمن يريد المزيد الرجوع الى البراجماتية فى أسس الفلسفة ، وغيرها .

٣ — لينين ٠

٤ — بخارين ٠

٥ — ستالين ٠

وقد استمر هذا الاتجاه فى التدفق والحيوية حتى بدأت نتائجه العملية بارزة فى دمار البشرية والخراب الذى لحق بها ، حتى صار الناس عليها لأنهم رأوا فيها هلاكا للقيم والأخلاق والدين والحياة وسائر الأمور والقضايا العقدية والشرعية والفكرية ، بل والسياسية والعسكرية ، والفنية مما حدا بالشيوعيين أنفسهم لاعلان أفلاسها والثورة عليها فى المجتمع الذى نشأت فيه وترعرعت على أرضه وحمل لواءها أبناؤه ، حتى كانت نهايتها الرسمية فى روسيا الشيوعية على يد جورباتشوف ٠

جـ — الوضعية التقليدية ٠

د — الوجودية التقليدية ٠

هـ — المثالية الكلاسيكية ٠

و — المادية التاريخية ٠

الى غير ذلك من الفلسفات التى لاتحمل من الفلسفة الا الاسم ، وان باينتها فى الحقيقة والرسم ، وهو ما سوف نعرج عليه فى وقت آخر ان شاء الله ، ونكتفى ههنا بذكر التعريفات التى سلفت ففيها كفاية ولطالب المزيد الرجوع الى المصادر المدونة بأسفل الصفحات ٠

(المقدمـــــة الثامنـــــة)

(علاقـــة الفلسـفة بالميتافيزيقـــــــا)

(المقدمـة الثامنـة)

(علاقـة الفلسـفة بالميتافيزيقا)

كان الفهم السائد للفلسفة فى العصور الكلاسيكية (١) هو عمومهـا واشتمالها " كل النظم الثقافية والعلمية فى داخل الاطار الأرسطـى ، وكذلك الى ما وصفه الأدب العربى بأنه علوم أجنبية أو أغريقية (٢) وبالتالى فإن الفلسفة على هذا المنحى تعتبر العلم الشامل الجامع لغيره من العلوم وظل الحال على ذلك فترات طوال ، حتى كان قاعدة شبه مضطردة .

بيد أن الفهم لعموم الفلسفة وخصوص العلوم الأخرى ، جعـل الفلسفة تقف بين العلوم سيدة تحمل تاج العز فوق رأسها ، حتى جاءت أفهام أخرى عالجت الموقف بنوع من الاطلاق والتقييد حملت الفلسفة الـى طريقين هما :

أ - طريق الاطلاق والعمـوم .

ب - طريق التقييد والتخصيص .

أما الأول : وهو الاطلاق فان معناه اشتمال الفلسفة كل العلوم بحيث تقع بين جنباتها كل من الطب والهندسة والعلوم المعملية ، بجانب العلوم الانسانية ، حتى اللسانية منها والمعرفية .

---

(١) تطلق الكلاسيكية على معنى التقليدى ، وعلى معنى القديم ، يقال فكرة كلاسيكية . أى قديمة أو تقليدية .

(٢) فرانتز روزنتال - التراث القديم فى الحضارة الاسلامية ص ١٣٨ تقديـم وتحليل د / عبد الله حسن المسلمى - مكتبة سعيد رأفت ١٩٩٣م .

وأما الثانى : وهو التقييد والتخصيص ، فمعناه اطلاق الفلسفة على معنى ضيق بحيث لايشمل الا المنطق والأخلاق والميتافيزيقا ، وهـذا الطريق انقسم الى رأيين :

١ — ما يدخل فى صميم الفلسفة : وهو الأخلاق والميتافيزيقا على وجه العموم .

٢ — ما يتخذ وسيلة للأبحاث الفلسفية : وهو المنطق ، اذ أنه عند الأوائل وسيلة البحث المأمونة ، ومن ثم عرفوه بأنه " آلة قانونية تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ فى التفكير" (١) بينما هو عند المسلمين كأبى حامد الغزالى (٢) ، معيار العلم(٣) ، وعند بعض المسلمين أنه يقوم بدور الوسيلة ORGANON للوصول الى الفلسفة (٤) .

فاذا بلغنا العلاقة بين الفلسفة والميتافيزيقا ، وجدنا تيارين متعارضين :

= التيار الأول : انفصال الميتافيزيقا عن الفلسفة :

وذلك الأمر يبدو عند بعض مفكرى المسلمين فقط ، والسبب راجع الى أن الميتافيزيقا لدى المسلمين هى المعبر الوحيد عن الاهتمامات العقدية

---

(١) د / عوض الله حجازى — المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ص
(٢) هو حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ٤٥٠هـ — ٥٠٥ هـ
(٣) كتاب ألفه الامام الغزالى تحدث فيه عن المنطق ، واعتبر من ليس عنده شىء من المنطق فليس أهلا للنظر فى العلوم .
(٤) فرانتز روزنتال — التراث القديم فى الحضارة الاسلامية ص ١٣٨ .

المتمثلة فى الأبحاث اللاهوتية ، أو بمعنى آخر فانهم يرون الميتافيزيقا تتعلق بعلم الألهيات فقط ، أو بعلم التوحيد أو علم الكلام على العموم - الالهيات ، والنبوات والسمعيات - باعتبار هذه المباحث الكلامية تتعلق بأمر عقيدى يقع كله فى الغيبيات ، ومن ثم . فقد أعتبروا الميتافيزيقا منفصلة عن الفلسفة ، بل وأعلى من الفلسفة درجة (١) .

ويبدو أن رحلة هذا التيار قد استمرت فترة طويلة ، وربما استغرقت الوقت الحاضر فى أغلب مراحله اللهم الا عند الاعتماد على النقل الشرعى واعتبار الفلسفة هى الحكمة ، والنظر اليها باعتبار أن المراد من لفظ الحكمة هو الفلسفة بمعناها العام ، ومعناها الخاص .

كما أن مستند تيار الانفصال ربما كان بعض المنقولات من أمثال قول ابن تيمية " والله لقد سبق الى جنات عدن أقوام ماكانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياما ولاحجا ولااعتمارا ، ولكنهم عقلوا عن الله تعالى مواعظه فوجلت منه قلوبهم ، واطمأنت اليه النفوس ، وخشعت منه الجوارح ففاقوا الخليقة بطيب المنزلة ، وحسن الدرجة عند الناس فى الدنيا وعند الله فى الآخرة " (٢) .

على كل فان هذا التيار له جذور عميقة وفروع باسقة ، وبخاصة اذا وضع فى الاعتبار تلك القوى الفكرية المناهضة لجعل الفلسفة علما ، أو ادخالها ميدان الدراسات الفكرية أخلاقا أو منطقا أو خلافه كالحال مع موقف شيخ الاسلام ابن تيمية ، ومن نسج على منواله ، أو سبقه الى اعلان الفصل ومهاجمة الفلسفة ، وان كان يتعاطاها فى الخفاء كالحال مع الامام

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٣٨ .

(٢) الامام احمد بن تيمية - بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦٠ .

الغـــزالى (١) . كما أن هذا الفصل ربما قام على ما يلى :

١ — الموضوع :

ذلك أن موضوع الفلسفة التقليدية الكون بما هو عليه ، وعلى النحـو الذى هو عليه ، أما موضوع الميتافيزيقا فكان ماوراء الحس ، انه الأمــــر الغيبى على نحو ما ، سواء كان هذا الأمر الغيبى معرفة الله وطـــــرق الاستدلال عليه ، أم كان السبيل الموصل الى هذه المعرفة .

٢ — المنهـــج :

منهج الفلسفة العامة مرن ، فاذا تناول جانبا اجتماعيا اســـتخدم اليه طريقا موصلة بحيث تتعامل معه وتؤدى فيه الى نتائج مهمة ، واذا تناول جانبا معرفيا فى أى ناحية من نواحيه فانه يصطنع ما يوصل اليهـــا أما المنهج فى الميتافيزيقا فقائم على ناحية واحدة هى اثبات ذات اللــــه وتجريدها مع التنزيه ، وكذلك سائر كمالاتها ومايستتبع هذه الكمالات الالهية .

من ثم فانه فى الفلسفة أقتصر فى معظم الأحيان على الدراسة النظريـــة[٢] بينما فى الميتافيزيقا استخدم الأدلة العقلية ، والتأمل الفكرى فى الجوانب المتبثة فى الكون .

---

(١) المشهور أن الامام الغزالى حارب الفلسفة وهاجم الفلاسفة ونال منهما فى وقت ما ، وان كان هو فى الحقيقة قد مال الى كثير من تلك الأقوال ، ورشح لها فى كثير من مؤلفاته .

(٢) دكتور / الطبلاوى — محمود سعد — موقف ابن تيمية من فلسفة بن رشد ص ٢٣٠ مطبعة الأمانة .

غير أن بعض الباحثين يرون للفلسفة وظيفة بجانب علم اللاهوت — رغم انفصالهما — وهذه الوظيفة ليست ثانوية بل هامة جدا تتلخص في " دراسة جميع المعانى الأساسية التى يستخدمها رجال اللاهوت دراسة نقدية تحليلية ، مثل مفهوم الله والوحى " ويطلقون على هذه الدراسة المتعلقة بالدين اسم " فلسفة الدين ، ويرون أن فلسفة الدين مهمتها — بجانب ما ذكر — ربط المعانى المتصلة — باللاهوت — بالعلوم الأخرى كالفلسفة العامة والأخلاق"(١) ، ومع هذا فهم كغيرهم ممن يميلون الى هذا الاتجاه واعتبار الفلسفة — أم العلوم — ومهمتها خدمة الانسانية فى كافة مجالات الحياة .

على أنا نقول : تقسيم الفلسفة الى فلسفة دين ، وفلسفة تاريخ وفلسفة أخلاق ، وفلسفة علوم ليس معناه تقسيم الفلسفة بمعناها عند الأغريق ، وانما الاحتمال القائم هو تقسيم الفلسفة باعتبار المعنى المنقول اليها ، وأعنى به محبة الحكمة وممارستها ، فان قبل هذا الاحتمال فلاشك أن فيه فتحا جديدا لفكرة ظلت مغلقة بل استعصت على الحل أمادا بعيدة .

ومن البدهى القول : بأن محبة الحكمة ، أو الحكمة ، أو حب الحكمة انما يمثل وصفا لحالة معينة ، هى محور وضع الشىء موضعه ، بينما محب الحكمة ، أو صديق الحكمة ، انما تمثل موصوفا بها وليس وصفا ، أو بمعنى آخر تمثل الباحث — الفيلسوف — وليس المبحوث — الفلسفة ، ومن ثم يصح القول بأنها محبة الحكمة ، وان متعاطيها القائم على أمورها محب الحكمة ولامشاحة فى هذا الفهم طالما أن الظواهر الفكرية تؤيده ولاتعانده .

---

(١) دكتور / عزت قرنى — مدخل الى الفلسفة ص ١٣٨ / ١٣٩ مكتبة سعيد رأفت .

بل ان الامام الترمذى مال الى هذا المعنى وأكده فى عبارة وجيزة حين قال : " الحكمة حكمتان حكمة من العلم به ، وهى الحكمة العليا وحكمة من العلم بأموره وتدبيره وصنعته " ولم يقف عند هذا الحد وانما أكد أن المقبولين من الله تعالى ، الذين ساروا على طريقه ، واحتذوا طريق الأنبياء " نالوا منه الحكمة العليا " والسائرون اليه على طريق الأولياء نالوا منه الحكمة الدنيا " (١) ٠

والترمذى يذهب الى أبعد من هذا حين يصرح بأن " الحكمة : الصدق والصفاء " (٢) وأن مسألة الفصل بينهما — الميتافيزيقا والفلسفة أمر ضرورى لامحيد عنه ٠

= التيار الثانى : امتزاج الفلسفة والميتافيزيقا :

وهذا التيار يميل الى أن الفلسفة والميتافيزقا شىء واحد ، والاختلاف والتمايز فى الاسم فقط ، انما المدلول واحد ، واذا كانت الفلسفة بالمفهوم العام تشمل كافة العلوم النظرية فان الميتافيزيقا كذلك تشمل كافة العلوم بالمعنى الواسع لها ، أما اذا قلنا بتحديد الميتافيزيقا وانحصار معناها فى مباحث اللاهوت فقد جعلنا العام خاصا بلا مبرر ، وهؤلاء يمثلون جمهرة من مفكرى المسلمين ، مفكرين وفلاسفة بل وزعماء فرق اسلامية وغيرهم ٠

---

(١) الامام ابو عبد الله محمد بن على الترمزى — الكلام على معنى لااله الاالله أو شفاء العلل ص ٣٣ تحقيق د / محمد ابراهيم الجيوشى — مطبعة حسان والترمذى الحكيم هذا غير الترمذى المحدث هناك وقد توفى الأول ٣٢٠ هـ ٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٤ ٠

وهذا التيار الذى يرى وجود امتزاج بين الفلسفة والميتافيزيقا لايقف عند مجرد التعريف لكل منهما ، وانما يحيل الى ضغط الفلسفة وادماجها فى علوم كثيرة ، ومنها الميتافيزيقا ، وطبقا لهذا يمكن القول ميتافيزيقا الفلسفة ، كما يقال كذلك على غيرها من العلوم حتى ولو كانت علم الموسيقى الذى يعرف بأنه " مجموعة المعارف والنسق الفلسفية والعلمية والتاريخية والفولكلورية المتعلقة بالصوت وفن النغم " (١) .

على أن هذا الخلط ربما صور على أساس أن الفلسفة تفسير شامل للكون " ككل قد يكون لها علاقة بالدين الذى يبحث هو الآخر فى الكون والأشياء ، ولكن من حيث أنها مخلوقات صادرة من خالق اله " (٢) فظن البعض أن أمرهما واحد ، وأن كليهما يخدم الآخر فى الغاية التى يأملها .... .

لكن هناك فرق بين الدين والميتافيزيقا ، وهذا الفرق لايجعل المسألة على هذا النحو سارية أما لماذا ؟ فلأن الدين نصوص موثقة تنزيل من حكيم حميد ، بجانب أن الدين يحمل البحث النظرى فى أمور العقيدة ، والتطبيق العملى فى أمور الشريعة ، بينما الميتافيزيقا بحث نظرى فى جانب الألوهية فقط .

اذن الدين أعم من الميتافيزيقا ، لأنه يشمل الجانبين ، العملى والنظرى ، والعقدى والشرعى ، بينما الميتافيزيقا لاتمثل الا جزءا محددا

---

(١) الفرد أينشتين — الموسيقى فى العصر الرومانتيكى ص ٧ ترجمة د /احمد حمدى محمود .

(٢) الدكتور — الطبلاوى محمود سعد — موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد ص ٢٠١ .

هو مسألة الألوهية ، ولاتعبير النبوات والسمعيات أذنا تسمع ، ولهذا ذكرت أن الدين أعم من الميتافيزيقا .

وربما توهم أن مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة التى أحاطها البحث النظرى بكثير من الاهتمام والعناية — تعطى مدلولا بأن كلا منهما فى ناحية والمطلوب جمع شمل الأمرين ، وليس الأمر كذلك ، لأن مسألة التوفيق عنت بجانب واحد من الدين ، مع الفلسفة ، ولسنا نسلم بأن الفلسفة هى الميتافيزيقا ، وانما نميل الى أن هناك فرقا بين الفلسفة والميتافيزيقا على ما سلفت الاشارة اليه .

كما أن مفكرى المسلمين الذين عنوا بالتوفيق لم يذكروا اسم الفلسفة وانما ذكروا الحكمة ، فمثلا ابن رشد كتب " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال " واستخدم لفظ الحكمة ولم يذكر أبدا الفلسفة من هنا صحّ القول : بأن المراد من الحكمة عنده ، الميتافيزيقا وليس الفلسفة ، وبالتالى يكون العمل الأصلى لهم هو التوفيق بين المباحث الميتافيزيقية التى عنت بمباحث الألوهية وليس الفلسفة التى عنيت بمباحث الوجود والمعرفة والقيم .

* تحديد أطراف الفلسفة العامة :

تأبت الفلسفة العامة على كثير من الدارسين ، واعتصمت بالخفاء والتستر ، وما رامت تلملم شملها وتجمع أطرافها الا بعد أن ترى فـــى منازلها قوة الضغط عليها ، وتجد لديه الرغبة الطموح فى كسر عنفهـــا واستقطاب شواردها وتقييد ماشذ عنها ، وأمركهذا ربما استعصى علـــى الكثيرين حتى أنهم لتوسس لهم جوانحهم الفرار من الفلسفة أو القـــدح فيها .

بل ربما التزم آخرون جانب السكينة والدعة ، أو جانب الخوف والقلق من ثم ادعوا محبتهم لها وفوزهم بها ، بل وربما ظفرهم بأولها وآخرهـاء فاذا نظر الى دعواهم وجدت خاوية الوفاض ، طاوية على فراغ لاتخبـــو تحته نار ، ولايرقد فيه جمر ، ولايعتصم فى حناياه خير .

لذا رأيت من واجبى تقديم أطراف هذه الفلسفة العامة أولهـــا وآخرها وما بينهما حتى اذا ما تعرض لها دارس ووقع على جزء منها عرف على أرض منها يقف ، وأى فكرة منها يتناول ، وأى مورد من موارد هـــا يشرب ، وأى معضلة من معضلاتها يتوجه ، لذا سأجعلها على النحـــو التالى :

أولا : تاريخ الفلسفة :

ربما لايعرف الدارس العادى أن هناك مدارس فلسفية وعصـــورا فلسفية ، ومن ثم سأقسم تاريخ الفلسفة الى عصور فلسفية ، كل عصـــر توجد فيه العديد من المدارس والكثير من التيارات الفكرية ونبدأ بالعصر الأول :

(١) الفلسفة اليونانيـــــة
(٢) الفلسفة المسيحيـــــة
(٣) الفلسفة الاسلاميـــــة
(٤) الفلسفة الحديثـــــة
(٥) الفلسفة المعاصـــــرة

من ثم بان للدارس أن تاريخ الفلسفة يتسلل فى هذه العصـــور التى سلف اجمالها بحيث اذا وجه اليه سؤال ، أو عرض له أمر عـــن تاريخ الفلسفة أدرك النقطة التى تجرى فيها الأسئلة راجية بلوغ اجابة شافية ٠

ثانيا : نظريات الفلســـفة :

انحصرت نظريات الفلسفة فى ثلاثة هى :

(١) الوجود — الأنطلوجيـــا ٠
(٢) المعرفة — الأكسيمولوجيا ٠
(٣) القيــم — الأبستمولوجيـا ٠

وهذه النظريات لاتخرج عنها الفلسفة العامة بوجه ما ، وانما تجرى فى رحابها ، وتنطـلق انطلاق الصارخ الى الفضاء محلقة فى سماء هـذه النظريات ، مفصلة ومقسمة ومجزئة مما هو معروف فى نظريات الفلســـــفة الثلاث ٠

ثالثا : موضوعات الفلسفة العامة :

توشك الآراء المنطلقة لدى جمهرة الدارسين فى حصر موضوعات الفلسفة العامة حصرا يوشك أن يكون دقيقا ، وهذه الموضوعات المحصورة هى :

(١) اللــــه ٠
(٢) العالــم ٠
(٣) الانســان ٠

وهذه الموضوعات لاتخرج عنها مشكلة فلسفية ، وانما تعود اليها كموضوع ثابت يجرى البحث فى حدوده ، وبالتالى لايجد الدارس صعوبة فى التعرف على هذه الموضوعات الثلاثة ٠

رابعا : قضايا ومشكلات الفلسفة :

من العسير جدا أن تنحصر قضايا الفلسفة ومشكلاتها التى تعالج بها موضوعاتها أما لماذا ؟ فلما يلى :

أن كل موضوع من موضوعاتها تتعلق به مشكلات وقضايا فلسفية كثيرة ، فمثلا :

— موضوع العالم :

تتعلق به القضايا الآتية على سبيل المثال :

بقاء العالم ، فناء العالم ، أبدية العالم ، أزلية العالــم ، بقاء الطاقة ، كمية المادة ، من أين ابتدأ ، الى أين يسير ، ما الغاية

فيه ، بجانب قدمه وحدوثه ، وكل من هذه تمثل قضايا ومشكلات فلسفية تحتاج حلولا واجابات محددة ، تسعى اليها الفلسفة العامة سعيا حثيثا .

- موضوع الانسان :

ماهو : هل هو مسير أم مخير ، عقله ، نفسه ، روحه ، جسده ، حياته ، موته ، بعثه ، الى غير ذلك من القضايا والمشكلات الفلسفية المتعلقة به باعتباره موضوعا فلسفيا تتعلق به قضايا ومشكلات فلسفية .

- موضوع الألوهية :

وهو صمام الأمان فى المسألة ، بل أصلها الذى تتفرع عنه فتأتى اليه القضايا الكثيرة منها :

ذات الله ، صفات الله ، علاقته بالكون ، الى آخر هذه القضايا التى هى فى المسائل الفلسفية أعمق وأدق ، من ثم قلت أن مشكلات الفلسفة وقضاياها تختلف عن موضوعاتها ونظرياتها ، من حيث أن الأولى - القضايا والمشكلات الفلسفية - لاتنحصر ، وانما هى مع مستجدات الزمان تسير وتضطرد .

أما تعريفات الفلسفة ونشأتها ، فهذا مما لانزاع فى أنه محل نزاع قائم لن يهدأ ، ولن يزول ، فاذا كنا فى التعريف للفلسفة قد لمسنا جانبا منه ، فانا فى النشأة لانستطيع جمع الأطراف فى المسألة على نحو واحد . أما لماذا ؟

فالجواب : أنا نجد آراء متعارضة فى نشأة الفلسفة يمكن اجمالها فيما يلى :

الفريق الأول :

يرى أن الفلسفة نشأت أغريقية ، وقد نقلت الى سائر البلدان فيما بعد كحركة فكرية ، أما عن طريق التجارة ، أو الرحالة ، أو الراغبين فى نقل ثقافاتهم الى الأمم الأخرى ، ومن ثم اعتبر هذا الفريق أن الفلسفة نشأت فى بلاد اليونان أولا ، وبالتالى فهى يونانية المنشأ ٠

الفريق الثانى :

يميل الى أن حكمة الشرق أسبق وجودا من فلسفة اليونان ، وأن الحضارة المصرية القديمة دليل قوى على أن حضارة الشرق الأدنى هى أصل الفلسفة ، وأنها كانت المرتع الخصب الذى نمت فيه الفلسفة ثم انتقلت الى اليونان عن طريق المدارس الفكرية التى لم تكن قد قعدت وصارت مقننة ، وكذلك عن طريق مفكرى اليونان الذين تعلموا فى الشرق من انتقلوا الى بلاد هم حاملين ثقافات الشرق اليهم ، وبالتالى فهم يرون أن الفلسفة نشأت حكمة شرقية ثم انتقلت الى اليونان ٠

الفريق الثالث :

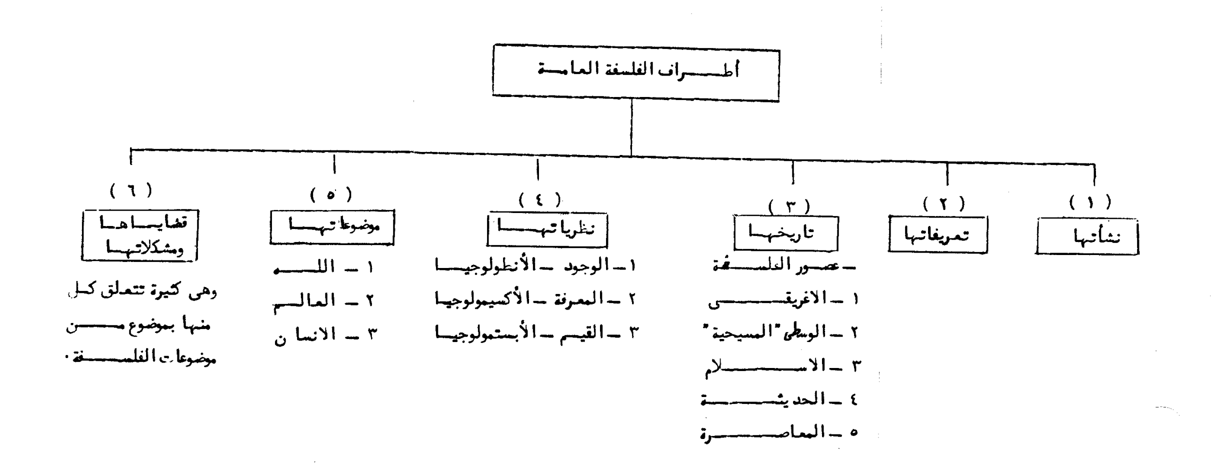
يرى أن الفلسفة حركة فكرية ، والفكر الانسانى قاسم مشترك فى الجنس الانسانى كله ، ومن ثم فهى نشأت فى بلاد الاغريق ، وفى نفس الوقت نشأت فى بلاد الشرق ، وكل منهما كان يتعاطاها مع الاختلاف فى الموضوع والغاية ، وأنها كانت عند الأغريق بحثا نظريا ، بينما كانت

عند الشرق حكمة عملية تمثلت فى بناء القناطر ، وأقامة السدود ، وتشييد المعابد ، والاهرامات ، وظهرت فى كافة المستويات الفكرية على هذا النحو ٠

وبعيدا عن ترجيح جانب على آخر ، فان الذى نعنيه ههنا هو أن مسألة نشأة الفلسفة كتعريفاتها لم تسلم من توجيه المناقشات عليها ، وتوجيه الاعتراضات ، مما حدا بنا الى القول : بأنها - النشأة - متقلبة على النحو الذى أوردنا طرفا منه ٠

وهاك رسما كروكيا لكافة أطراف الفلسفة العامة ، لعل الرسم يطابق الاسم ، والموضوع فى ذهن طالب العلم ٠

وبعـــــد ، فها أنت عزيزى القارىء لهذا العمل المتواضـــع قد طفت معى موان كثيرة ، ربما استوقفتك بعض شواطئها ووعدتك - على أمل اللقاء - بعض مراسيها ، وقبل أن أنتقل بك الى الحديث عـــــن مجالات الفلسفة وعلاقتها بالدين ، سأعرض عليك نموذجا من هـــــذه الفلسفة العامة يخص العصر اليونانى ، جامعا بين آراء فيلسوفين همـا : " بارمنيدس وأفلاطون " ، فيما يتعلق بنظريات الفلسفة وموضوعاتهـا ، بغرض ابراز كيف ضمت فيما بينها قضايا فلسفية ومشكلات ميتافيزيقية .



أطراف الفلسفة العامة
(١) نشأتها
(٢) تعريفاتها
(٣) تاريخها
ـ عصور الفلسفة
١ ـ الاغريقى
٢ ـ الوسطى "المسيحية"
٣ ـ الاسلام
٤ ـ الحديثة
٥ ـ المعاصرة
(٤) نظرياتها
١ ـ الوجود ـ الأنطولوجيا
٢ ـ المعرفة ـ الأكسيمولوجيا
٣ ـ القيم ـ الأبستمولوجيا
(٥) موضوعاتها
١ ـ الله
٢ ـ العالم
٣ ـ الانسان
(٦) قضاياها ومشكلاتها
وهى كثيرة تتعلق كل
منها بموضوع من
موضوعات الفلسفة ·

تمهيـــــد :

عاشت العقلية الانسانية ــ وما زالت ــ تكافح من أجل البقاء ، وتبذل في سبيل تلك الغاية أعظم ما تتمكن منه ، حتى صار من الحق القـــول : بأن الفكر الانساني يلقح بعضه بعضا ، ومن خلال ذلك الطريق الطويل نلاحظ أنه ما تخلت أمة عن ذلك الجهاد أو نامت عن هذا الكفــــاح ، الشرق والغرب في ذلك سواء .

بل صار من المؤكد أن هذه الأمم تؤثر في بعضها بطريق أو آخـــر بحيث يصير انفصال أمة منه ضربا من العمل غير المفيد ، أو صرفا للوقـت والعمر فيما لا فائدة فيه ولا طائل تحته ، كما أن تميز أية جماعة عـــن الأخرى في ذات الفكرة يحتاج الى مجهود كبير ، ووقت طويل ، والأكبر منه أن تبحث العلاقة بين مفكر وآخر وأن باعدت بينهما سنوات العمـــر أو فرقت بينهما ظروف المكان بيد أن بحث تلك العلاقة ليس بالأمـــر الهيّن ، لأنه يقتضي بالضرورة أن يبحث المرء في كل جوانب من يريـد بحث العلاقة بينهما ، وذلك يتطلب وقوفا محددا على كل ما يمكـــن معرفته ويقبل البحث فيهما كل على حدة .

ولما كان هذا البحث يقتضي معرفة العلاقة بين فيلسوفيـــــن

فقط سنقصر دراستنا على فلسفة كل منهما ، ولن نتدخل في غيـــــر الفلسفة اختصارا للزمن وتوفيرا للوقت واحتراما لرغبة البحث في هـــذا التخصص ، وبالتالي سنتعرف على فلسفة كل منهما في النواحي الآتية :

١ ــ الوجـــود

٢ ــ المعرفــة

٣ ــ القيــــم

٤ ــ فكرة التأثر والتأثير .

(نماذج من الفلسفة اليونانية)

العلاقة بين :

بارمنيدس : ٥١٤ ـ ٤٢٤ ق ٠م

أفلاطون : ٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق ٠م

نبذة عن المدينة الايلية

مدينة ايليا تقع على الشاطئ الغربى فى جنوب ايطاليا ، واليها تنسب المدرسة الايلية التى من أبرز رجالها " بارمنيدس " وهى مدينة بناها الايونيون الذين فروا من مقاطعة أيونيا على ساحل آسيا الصغرى بسبب غزو الفرس لبلادهم (١) ، تميز أهلها بالعلم وتزينوا بالحكمة حتى صارت موئلا لطلاب المعرفة يأتى اليها أبناء المدن الأخرى .

بلد فيه العلماء المهاجرون من غزو الفرس ، بنوها بكد اليمين وعرق الجبين ، وكانت لديهم فكرة الهامية تقوم على أن هناك منقذا يتخطى الجميع بقوته ، ويلتحم مع العقل الفعال بامكانياته ، ذلكم هو ايلياء أو كما يفهمون القوة العليا ، فلما شادوا مدينتهم أختاروا لها اسما يشعر الجميع بالاحترام لها ويجبرهم على الاعتراف بفضلها ، ويحفزهم على الا يمسوها بسوء ، فسميت مدينة إيليا أو بيت الرب المنقذ لتنال المدينة احتراما وتحوز اجلالا ، ويحظى أهلوها بمزيد الرعاية .

وقد عاشت الفلسفة قبل المدرسة الايلية تنعم فى أحضان الطبيعة ولا ترفع رأسها بعيدا عن ظلال المادة أو الرياضة والفلاسفة فى هذا الأمر كلهم سواء ، بداية من أول مظاهر التفكير العقلى الى بدايات

التفكير الفلسفى المنظم مرورا بالطبيعيين الاولين والفيثاغوريين حتى بارمنيدس أو المدرسة الايلية — العقلية ٠

وعلى حين هجع الجميع فى هدوء الا أن الافكار الفلسفية بدأت تجوس خلال ديار ثلاثة منهم فأجمعوا أمرهم على أن يقوم كل منهم بدور وأن يشارك كل واحد منهم بنصيب ، فكانت المدرسة الايلية بزعامتهم الثلاثة :

١ — اكزينوفان ٥٧٠ — ٤٨٠ ق م

٢ — بارمنيدس ٥٤٠ ق م — ٤٦٥ ق م

٣ — زينون ٤٩٠ ق م — ٤٢٠ ق م ٠

وحقا بذل كل منهم مجهودا ، بل وأثبت كل واحد من الثلاثة كفاءة فيما آل اليه من أمر المدرسة ، حيث قام اكزينوفان بتأسيس المذهب الايلى القائم على أن العالم موجود واحد ، وأنه ذو طبيعة ثابتة لاحركة فيها ولا تغير ، بجانب أنها طبيعة واحدة لا كثرة فيها ولا تعدد ، ساكن تماما ، ثم جاء بارمنيدس فأكمل بنيان المذهب وأقام الأدلة على صحته مستخدما كافة امكانياته العقلية ، ليأتى دور زينون الذى جعل من نفسه مدافعا ، ليصول ويجول فى المذهب ليقيم عليه ألف حجة ومائة دليل ، وليعمل على مقاومة أعداء المذهب الايلى بكل ما تمكن منه حتى يتسلم المذهب جيل ترعرع فى أحضان زعماء المذهب فيكون نبتا

قويا يقاوم ويلات الدهر ويغالب لجات الموج ، وهكذا نشأت المدرسة الايلية وترعرعت على أيدى رجالها الأشداء الذين لم يدخروا جهدا في سبيل انعاشها واشاعة مبادئها ونشرها بين العامة والخاصة حتى اندست فى رحاب الايام فاذا هى ترسو بسفنها عند شاطئ أثينا فتبهر بجمالها عقل الشاب الاثينى الارستقراطى افلاطون فيكون لبعض مبادئها شأن آخر على يديه ، وقد تحدث عن زعماء المدرسة الايلية أرسطو على سبيل التذكرة فقال " اكزينوفان هو الأول من أصحاب هذه المدرسة الذى قال بالوحدة ذاكرا حال كونه ناظرا الى السماء - أنها الله ، وبارمنيدس تمم هذا المذهب وتوسع فيه بنفى موجود آخر بجانب الله (١) .

---

(١) الدكتور / صلاح عبدالعليم - دراسات فى الفلسفة ص ١٦٩ مطبعة المدنى بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م .

بارمنيدس

أ - مولده :

يختلف الباحثون فى تاريخ ميلاده على التحديد الى قولين :

الأول : يرى أنه حوالى عام ٥١٤ ق م (١)

الثانى : يرى أنه قد ولد هذا الفيلسوف فى ايليا حوالى ٥٤٠ ق٠م ونشأ بها، وتتلمذ لأكزينوفان، وتأثر بمذهبه فى القول بوحدة الوجود " (٢)

ولا ريب أن الاختلاف فى تحديد مولده بدقة يرجع لأسباب منها :

١ - عدم توقع أسرته أن يكون هذا الشبل أسدا يحرصون على تاريخ ميلاده ويذكرون كل دقائق أحواله ٠

٢ - عدم اهتمام الدوائر الحكومية بوجود سجلات للمواليد آنها كالتى توجد فى هذه الأيام ٠

٣ - انتشار تلك الظاهرة الخلافية فى تحديد ميلاد الفيلسوف بل ربط وتاريخ وفاته ٠

ويبدو أنه عاش عمرا طويلا ، ولم يمت فى شبابه لأن زينون الرأس الثالث للمذهب تتلمذ على يديه ، مع أن زينون ولد عام ٤٩٠ ق ٠ م ، -

(١) وولتر ستيس - تاريخ الفلسفة اليونانية ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد ص ٤٧ سنة ١٩٨٤ دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة٠

(٢) د / عوض الله جاد حجازى ، د / محمد السيد فى تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٢ ص ٦٨

ولا يعقل أن يَبْنِيَ مذهبا فلسفيا قبل سن العشرين على أقل تقدير فيكون في الفترة من : ٤٦٥ ق ٠م الى ٥٤٠ ق٠م وهى فترة تزيد على السبعين عاما بقليل ، وهو فيما يبدو أقل من عمر سابقه اكزينوفان الذى عمّر قرابة التسعين عاما ، واكثر من عمر لاحقه زينون الذى عاش قرابة السبعين ٠

ب ــ حياتــه :

كشأن غيره من الفلاسفة يغيب عن بعضهم الجزء الأول من حياتهم والذى يمثل نشأتهم والظروف التى أحاطت بهم من حيث البنيــة الاجتماعية والتركيب الانثربولوجى ، ومن حيث الظروف والملابســات الثقافية التى كانت المنبع الاول لتكوين فلسفاتهم وأفكارهم الجوهريــة ، بداية من نعومة أظافرهم حتى بلغوا حد الشهرة ونازعوا الافلاك فــى الذيوع والانتشار .

واقرب ما يمكن تصوره فى حياة بارمنيدس " أنها حياة متوسطة فــى كل شىء ، ولو كانت غير ذلك ربما حازت من الفيلسوف نفسه قدرا مــن الحديث عنها ، خاصة اذا تعلق بها ما يرفع الشأن أو يعلى القــدر كما فعل أفلاطون مثلا ، وطالما أن الفيلسوف بارمنيدس " لم يتحــدث عنها ، ولم يذكرها أحد من المعاصرين له فالأولى أعتبارها حياة عاديــة تحفظها ظروف متواضعة ، وتحيط بها رغبة ملحة فى التفكير الفلسفى الجاد وأخرى طموحة فى البحث عن خبايا هذا الكون الرحيب .

وأمثل برهان لذلك هو وجود زمرة من العلماء النابهين فى شــتى فروع المعرفة الانسانية يعيشون تحت سقف مدينة ايليا ينعمون بوارف ظلها ، ويمعنون النظر فى أمر عيشها ، بقلوب واثقة وعيون مفتوحــة

وعقول ناضجة ، ترسم للمستقبل أبهى صورة ، وللفكر أجمل معانيه ، وللعقل الانسانى أروع ما يهدف اليه .

ووسط كهذا يدعو الخامل الى التفكير ، فما بالنا اذا كان أهلها جميعا من العقلاء النابهين ، لذا لانستغرب اذا وجدنا بارمنيدس من أول أمره يطالع كتب الاولين ، ويجالس العلماء ويتخلف للمفكرين ، وبخاصة اكزينوفان الذى حظى بالقدر الأكبر من حياة بارمنيدس الأولى الحافلة بالثورة والشباب والنضج والذى ترك بصماته الفكرية على أفكار بارمنيدس وبخاصة فى القول بوحدة الوجود ، ويبدو أن شمس اليونان الهادئة ، أطلت على بارمنيدس حين كان فكرة فى ضمير الغيب ، وطفلا فى رحم الزمان فهدته الى اصطناع الحيلة والسير خلف الفكر اليونانى الذى تجمع على أعتاب مدرسة فيثاغورث قبله وساقته حيله الى مهادنة هذا الفكر الفيثاغورثى أول الأمر حتى ارتضع منه ما كان فى حاجة اليه ، فلما يفع واستغنى عنه هاجمه بعنف وقاتله بضراوة ، " ولقد كان فى مطلع شبابه فيثاغوريا لكنه تمرد على تلك الفلسفة وصاغ فلسفة خاصة به " (١)

جـ - ثقافته :

عاش بارمنيدس فى أحضان جو علمى فكرى متعدد الأطراف ، كما أنه متعدد الاتجاهات والمشارب فراح منذ طفولته يرقب هذا ويقرأ

---

(١) وولتر سيس - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٧

لذلك ويستمع لهؤلاء ، ويبدو أن الاسيويين الذين هاجروا الى ايليا قد حملوا معهم لبنات الفكر اليونانى كله الفلسفى والرياضى والفلكى كما حملوا القانونى واللغوى لأن تلك كانت تجارتهم الوحيدة وصفاتهم الحميدة ، سواء تلك التى تأثروا فيها بالفكر الشرقى الذى قاد سفينة الحياة بعيدا عن النبوة من مدرسة الاسكندرية على يد المصريين وقرنائهم من البابليين أو من خلال التفكير اليونانى ، لأنه من المعروف أن الفلسفة المصرية والشرقية أقدم من الفلسفة اليونانية ،و " ان الفلسفة الاغريقية ليست الا تراثا شرقيا متغلغلا فى القدم " (١)

وعلى متن تلك الأفكار الفلسفية عاش بارمنيدس وكوّن فكره الخاص الذى دفعه الى احترام نفسه وعلو ذاته ومحاولة التكمل بالأخلاق النبيلة والخصال الحميدة ، وشأنه أن يحوز اعجاب الناس قديما وحديثا ، لأنه لم يتتلمذ على يد نبى — لعدم وجودهم فى عصره وفى مكانه ، ولم يأت اليه هدى سماء " ولقد كان يحظى فى القديم بنقد كبير بسبب عمق تفكيره وسمو خلقه ونبالته " (٢) .

بيد أن ثقافته لم تنحصر فى المعارف الرياضية وقد كان أول أمره فيثاغوريا — كما لم تنحصر فى المعارف الانسانية بل تعدتها الى

---

(١) الاستاذ / احمد عبده خير الدين — تاريخ الفلسفة ص ٧٣

(٢) وولتر ستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٧ .

المباحث اللاهوتية التى كانت سائدة فى عصره والتى كان مصدرها الفكر المصرى فى عقيدة البعث واليوم الآخر " فقد كان المصريون والبابليون ، قد بلغوا شأوا بعيدا فى فن الحساب والمساحة فأقدم رسالة رياضية بارزة هى ورقة بردى مصرية قد نسخت حوالى ١٦٠٠ ق ٠ م من الأصل الذى هو أقدم من ذلك بكثير " (١) وكذلك عقيدة الجزاء الى آخر تلك الأفكار الغيبية التى هى فى مجال الموجودات المعقولة أدخل والى الأفكار الدينية أقرب ٠

من ثم كان بارمنيدس مسلحا بكل ثقافات عصره لذا لم يكن من الغريب عليه أن يكون لبنات مذهب فكرى خاص به تعينه تلك اللبنات على اتمام المذهب الايلى الفلسفى الذى حفر فى سطور التاريخ وعمّر فيها الى أمد طويل ، ويكون بارمنيدس بحق قد كوّن ثقافته فى صورة مذهب خاص به نتج عن محاولاته كلها فى التكمل بالثقافة والتجمل بالعلم مع الوضع فى الاعتبار بأن بارمنيدس صار بحق فيلسوفا بالمعنى الدقيق لفلاسفة عصره بجانب أنه شاعر متمكن من رسم أفكاره فى قصائد شعرية تحمل الدقة وتشير للجمال ٠

---

(١) وولف — عرض تاريخى للفلسفة والعلم ترجمة محمد عبدالواحد خلاف ص ٣٥ ٠

د — أراؤه الفلسفية :

هل حقا ما يقال من " أن الفلسفة هى الحركة من الفكر الحسى الى الفكر غير الحسى " (١)

طالما انتهينا الى أن بارمنيدس صار فيلسوفا ، فإنه يلزمنا البحث فى فلسفته لنتعرف فيها جوانب الجدة والابتكار كما نتعرف منها على شتى مباحث الفلسفة الرئيسية التى تقودنا الى طبيعة ذلك المذهب الفلسفى الايلى وتبرز مكانه من الفريق المتفلسف ، ولا شك أن أى مذهب فلسفى يتكون من ثلاثة مباحث رئيسية هى : نظرياته التى يقوم عليها :

١ — مبحث الوجود .

٢ — مبحث المعرفة .

٣ — مبحث القيم .

والباحث فى فلسفة بارمنيدس يواجه جدلا لا يتوقف ويقابل صراعا لا يلين وهذا الجدل وذلك الصراع ميدانهما معا فلسفة الرجل ، وهل كانت مثالية عقلية تجعله أبا من آباء الفلسفة العقلية ، كما صوره أفلاطون وأكد عليه ، أم أنها مادية محسوسة تمخر عباب المادة ، وتقبع فى خلايا المحسوس وتستريح على أحضان العالم الطبيعى ، وهذا الخلاف فى

(١) وولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٣

فلسفة الرجل يجعله منطقة خطرة الاقتراب منها يستدعى المزيد من الحذر والكثير من الحيطة ، ولكن ماذا يفعل المرء ، ولا حيلة له فى الابتعاد عنها، سوف نقدم عليها ، ولنبدأ ببحث الوجود لأنه الذى يقودنا الى فلسفة الرجل .

مبحث الوجـــــود :

حتى يضمن بارمنيدس لفلسفته البقاء والزيوع ضمنها قصيدة شعريـــة تعليمية فلسفية سماها (الطبيعة) وقسمها الى قسمين : وهى بمثابـــة كتاب ، حتى أن بعض الكتاب يسميها كتاب الطبيعة (١) ·

القسم الأول : بيان لفلسفة بارمنيدس من حيث العالم الذى يعتقده ، والوجود الذى يؤمن به ، وهو :

عالم الحقيقة والوجود والحق والعقل المثالى وسماه الوجود الحق·

القسم الثانى : بيان للآراء الزائفة وعالم الفناء والوهم والحس المادى ، وسماه الوجود الوهمى الزائف ·

لذا نراه اختص مبحث الوجود ببيان ماهية الوجود، وصفاته، وأهم ملامحـــه التى اعتبرها ضرورية له وأصلا فيه ·

= ماهية الوجود :

عرف بارمنيدس الوجود بأنه الحقيقـــة الوحيدة الثابتة التى لاتتغير ولا تفنى وليست لها بداية ولا نهاية ويكشف عنها العقل ، ويســـــمى بالوجود العقلى ، وهو الذى يعترف به بارمنيدس ويؤكد عليه بصـــفاتـــه

---

(١) د / عوض الله جاد حجازى فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٨ ط ٢

التى خلعها عليه ، ولهذا الوجود الحقيقى المطلق صفات عدة عند بارمنيدس هى :

١ — أنه وجود واحد مطلق ٠

٢ — انه وجود ثابت ٠

٣ — انه وجود قديم أزلى ٠

٤ — أنه وجود مستمر أبدى ٠

٥ — أنه وجود حقيقى كامل ٠

وبالتالى فان هذا الوجود الحقيقى العقلى وهو الذى يستخلص من فلسفة بارمنيدس قد ساق بعض الكتاب الى اعتبار بارمنيدس فيلسوفا عقليا مثاليا، لأنه أعتد بالأشياء المعقولة ولم يجعل للحس المكانة السامية كالشأن مع غيره من فلاسفة اليونان الذين سبقوه فى البحث عن أصل الكون كطاليس مثلا وهيراقليطس٠

بيد أن تصويره للعالم المحصوس بأنه عالم وهمى متغير متكثر كُرّى الشكل كما ينبوئ عن ذلك الجزء الثانى من قصيدته المسماه الطبيعة جعل بعض الكتاب يظنونه فيلسوفا ماديا لا يؤمن الا بالحس ولا يعرف قيمة للأفكار العقلية التجريدية شأنه كغيره من فلاسفة اليونان انكسمندر وانكسيانس وغيرهما ، وجماع هذين الرأيين ما قاله المرحوم احمد أمين فى هذا الشأن حول ما اذا كان بارمنيدس مثاليا أم ماديا ٠

قال " ففريق يضعه فى طليعة القائلين بالمذهب العقلى ، لأنه أنكـــر الأشياء ـ المحسوسة ، ولم يحسب لها حسابا باعتبارها صورا زائفة باطـلة توهمنا بها الحواس الخادعة ... ولا يركن الا للعقل وحده يستوحيـــه ويستهديه فى سبيله الى الحق الخالد .

وفريق آخر يصر على حشره فى زمرة الطائفة المادية الطبيعية الحسية التـى ترى الكون مادة تدرك بالحس .. الم يصور لنفسه الكون كريا تحده الحدود ويشغل المكان ؟ وهل يكون ذلك الا مادة ؟ (١)

ويبدو أن فلسفة بارمنيدس كانت من الثراء فى المضامين بمكان ، لأن اختلافا كهذا فى فلسفة كهذه لا يكون الا من ثرائها واتساع مراميها وتعدد مباحثها بل وتشعبها أحيانا ، ولكن اذا وضعت فكرة الوجود عند بارمنيدس بعيدة عن استدلالاته فانه من الممكن أن تقرب الى العامة والخاصة على حد سواء ، بحيث اذا قيل بارمنيدس فهم القارىء أنه أمام فيلسوف عقلى مثالـى وذلك للأسباب الآتيـــة :

أولا : أنه أقام فلسفة على التفكير العقلى الصرف مع اعترافه بالحواس كمصـدر للمعرفة وان لم تكن يقينية .

ثانيا : أنه فرّق بين الوجود والعدم ، وانتهى الى نتائج بدهية من وجهة نظره وهى أن الوجود لا يسبقه عدم وبالتالى لا يلحقه ، لأن الوجود لـم

---

(١) الاستاذين / احمد أمين ، زكى نجيب محمود ـ قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٠

يسبق بعدم يكون لا أول له،وما لا أول له لا تكون له نهاية وبالتالى فهو وجود لا أول له ولا نهاية ٠

ثالثا : أنه فرق بين الوجود الحقيقى المعقول الذى يحوى عالم الأجناس الدائمة الكاملة وبين الوجود والمحسوس المتغير الفردى الوهمى الذى يمثل الظل للأول ، وبالتالى تتضح الأمور الآتية :

١ — أن الوجود مفهوم عقلى له صورة محسوسة متغيرة متكثرة غير دائمة توجد وتنعدم ٠

٢ — أن الوجود الحقيقى ثابت دائم كامل واحد أبدى وتلك صفات تجعل الوجود أصلا للأشياء جميعها ، بل أن الوجود الحقيقى نفسه هو المنظم لتلك الاشياء المحسوسة التى يسميها "وجود الوهم والظن"٠

٣ — أن بارمنيدس حين اتجه الى مبحث الوجود ولم ينظر فى المادة كأصل للأشياء كما فعل الطبيعيون الأولون ، وانما نظر اليه نظرة فوق ما انتهى اليه الرياضيون من الفيثاغوريين الذين فاقهم بعد أن تمرد عليهم،ذلك مجمل رأيه فى مبحث الوجود ، وهو كما نرى يؤكد أنه فيلسوف مبدع قاد سفينة المذهب الايلى الى شاطىء الفلسفة المضطرب فهدأت وعلى جبين لجتها الزرقاء استراح،فاستحق بجدارة أن يكون رأسا فى ذلك المذهب الفلسفى الكبير الذى ترك أثره على أفكار أفلاطون يلتقطها فيكوّن منها بناء جديدا يصبغه بأفكاره وينسب فيما

بعد اليه باسم عالم المُثُل ٠

ثم ان تفرقة بارمنيدس بين الوجودين — الحقيقى وغير الحقيقى — أو الوجود واللاوجود، توحى بأن بارمنيدس قد خلع عليه طابعا ايجابيا، هو وجود، بدل عدمه ، كما أن تفرقته بين الحس والعقل من حيث اثبات احدهما للوجود — العقل — ، والآخر للعدم ، واللاوجود تجعل انتهاءه الى الوجود العقلى واحترامه، نتيجة منطاقية ذات تسلسل طبيعى " لأن القول بأن الحقيقة تكمن فى العقل وليس فى عالم الحواس " هو الموقف الأساسى فى المثالية " (١)

من كل ما سبق يمكن اعتبار فلسفة بارمنيدس ، فى جانب الوجود فلسفة مثالية فهمت عن طريق الخطأ أنها مادية حسية ، وهذا الخطأ وقع بسبب الفهم المتعجل لتقسيم بارمنيدس الوجود الى الحقيقى والظن وظنهم أنه قصد بالظن الوجود المطلق ٠

أما ما تركته هذه الفلسفة البارمنيدسية على ما بعدها من الفلسفات هو ما انتهى اليه أفلاطون من استنباط نظريته المُثُل من فكرة الوجود الحق عند بارمنيدس ، وما من ريب فى أن بارمنيدس هو أول من استخدم مفهوم الفصل بين عالم الحقيقة الموجود فى العقل ، وهو الفكرة ذاتها ، وبين عالم الحس ، عالم الوهم والمظهر ، وأكد على أن " الحقيقة هى شىء قائم وراء هذا وهى غير مرئية من الحواس " (٢)

(١) وولترستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٩
(٢) " " " " " ص ٥١

واذا كان أفلاطون قد اختار للوجود الحقيقى عند بارمنيدس اسم المثال فان هذا لايعنى تجاهل بارمنيدس أو جهوده الفلسفية ، لأن تسمية الوجود الحقيقى بالمثال ، أو وجود المفهوم ، تسمية متأخرة عن بارمنيدس وربما لو أطلقها على مفهوم الوجود عنده بنفسه لأختار أفلاطون له أسما آخر وليكن الوجود الحقيقى الذى اطلقه بارمنيدس نفسه ، كما أن عبارة : بارمنيدس يفهم منها اسم الوجود المثالى أو وجود المفهوم أو الفكرة أو ماشئت من التسميات التى تؤدى الى نفس ذلك المعنى ، وأن أفلاطون قد طور هذا الوجود البارمنيدي وسماه وجود الفكرة ، وأنها عالم الماهيات عالم العقل عالم المُثُل (١) .

ويبدو لى أن بارمنيدس كان على صواب فيما مال اليه ، وأن له مجهودا فلسفيا فى جانب الوجود يؤكد عمقه وأصالته الفلسفية بما لا يجحده الا مكابر ولا ينكره الا مغامر ، ويمكن باعتبار بارمنيدس من أنصار وحدة الوجود الفلسفية اليونانية .

- مبحث المعرفة :

المعرفة أنواع ، ولكل نوع منها مراحله كما أن لكل منها مصدره وموضوعاته ومناهجه وأهدافه ولما كانت الفلسفة أو الحكمة هى أرقى المعارف الانسانية فان لها مراحل متعددة هى :

---

(١) د / طلعت غنام - الاسلام وتيارات الفكر المعاصر ص ٣٠ عالم الكتب الطبعة الثانية .

١ ـ المعرفة الحسية :

وهى التى تدرك الاشياء كما ترد على الحواس بما لها من حجم وشكل ولون ووضع على حسب ورودها أولا فأول .

٢ ـ المعرفة التجريبية :

وهى التى تأتى عن ادراك العلاقة بين الشىء وعلته وهى التى يدرك فيها العالم المجرب أن للتشابه والتلازم علة ثابتة .

٣ ـ المعرفة العقليـة :

وهى التى تعالج بالعقل وحده ، وهى المسائل العامة والمطالب الكلية ، كمعرفة ما هو الانسان ؟ وما هو المكان ؟ وما هو الزمان وما علة العالم ، وما النفس الانسانية ؟ وهل هى باقية أو فانية ؟ (١)

٤ ـ المعرفة القلبية أو الالهامية :

وهى التى تأتى بغير حس ولا تجربة ولا تحتاج الى العقل ، وانما هى صادرة مباشرة عن طريق القلب أو الالهام الالهى وتسمى العلم اللدنى عند المسلمين وتسمى الحدس عند الفلاسفة فمن أى الأنواع جاءت فلسفة بارمنيدس ؟ وأيها يعتقده ويؤكد عليه ؟ ثم ما هى الغاية من المعرفة عنده ؟ ذلك ما نحاول الاجابة عليه فى السطور التالية .

أولا : ما هى المعرفة :

لفظ أشمل من مجرد العلم ، وهى تمثل قمة العلم اليقينى المطابق للواقع

---

(١) الدكتورين / عوض الله جاد حجازى ، ومحمد السيد نعيم فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٠ – ١١ الطبعة الثانية .

القائم على الدليل ، كما أنها تمثل الواجهة الحية الجميلة لأية أفكار أو معارف انسانية ، وهى تأتى بالفتح معرَفة كما تأتى بالكسر معرِفة ، وهو الغالب الأعم الذى نبحث عنه لدى أفكار الفلاسفة .

قال الزمخشرى :

" المعرَفة بالفتح الهامة عن سعيد بن جبير " قال : ما أكلت لحما أطيب من معرَفة البرذون " (١) وهى بالفتح تعنى المودة والمشاعر الداخلية ومنه قولهم : " هاجت معارَف فلان أى موادته التى كنت أعرفها كما يهيج الزرع "

وتطلق أيضا على تغطية الرأس خوفا من شر قادم ، أو بعد موت صاحبها أو خشية أن تصله آثام الناس ومنه يقال : للقوم اذا تلثموا غطوا معارفهم " .

ومنه قول ذى الرمة فى وصف ريح عاتية لا يتمكنون من دفع شرها ، رغم أنها تعتدى عليهم وتلوث فيهم من كل ناحية سواء من الرأس أو العين والمحاجر والآماق فيقول :

" تلوث على معارفنا وترمى محاجرنا شآمية سموم " (٢)

وقال الشاعر المعروف الملقب بالراعى يصف أنواء من شدتها استرق منهم السمع فلم يعد لأحدهم بُدّ من الخضوع لها مع رعشة تصيبه خوف الهلاك ، فتنثنى لها الأمعاء والأوتار فيقول :

---

(١) الامام الزمخشرى أساس البلاغة جـ٣ ص ٢٩٩ ط بيروت دار المعرفة .
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٨ جـ ٣ .

متخمين على معارفنا   تثنى لهن حواشى العصب (١)

وقال الفيروزابادى

عرفه يعرفه معرفة .. علمه " وبالتالى فالمعرفة عنده العلم " (٢)

وتطلق المعرفة على الشىء المحدد ومنه قولهم " أمرأة حسنة المعارف أى الوجه وما يظهر منها " (٣) .

ثانيا : ما هى موضوعات المعرفة عند بارمنيدس ؟

تكاد موضوعات المعرفة تنحصر لدى بارمنيدس فى ثلاثة أنواع ، بحيث اذا تصورناها بوجه ، وضح لنا ما حدده بارمنيدس من موضوعات المعرفة وهى على النحو التالى :

النوع الأول : الوجود الحقيقى

ونعنى بالوجود هنا الوجود الحقيقى الذى يعتد به بارمنيدس الوجود الكلى للأجناس والأشخاص وهو الموضوع الوحيد الأكيد فى الفلسفة البارمنية والذى يطلق عليه اسم الوجود المطلق ، وعن هذا الوجود تأتى معرفة عقلية يقينية لأن هذا الوجود هو أيضا عقلى حقيقى ولا بد من تتطابق الصفة والموصوف ، ولما كان موضوعها هو الوجود الدائم الأبدى الكامل الثابت

---

(١) أساس البلاغة ص ٢٩٨ جـ ٣ تحقيق عبدالرحمن محمود

(٢) القاموس المحيط جـ ٣ ص ١٧٨

(٣) المرجع السابق ص ١٨٠ دار الجيل بيروت .

الواحد كانت المعرفة بالنسبة له كذلك كاملة ثابتة واحدة دائمة وهى التى دائما يلجأ اليها الفلاسفة وينشدها العارفون ، ولأنها عقلية فهى أرقى درجة من الحسية لرقى موضوعها عن موضوع الحسية وبالتالى فالتعديل عليها وحدها أمر مسلم لا يختلف عليه فى الفلسفة الايلية .

النوع الثانى : الوجود الظنى أو الوجود الوهمى :

ونعنى به وجود أفراد الاشياء المتكثرة المتعددة الفانية الناقصة المتغيرة فى شكل واحد هو الفلسفة الظنية والمعرفة الظنية التى لا ترقى الى مجال البحث الدقيق ، وهذا الوجود الظنى تنشأ عنه أيضا معرفة ظنية لا تقوم على العقل بل على مجرد الحواس التى تتغير دائما فى كل ناحية من مناحيها ، ثم انها معرفة فردية لا تمثل حكما عاما ولا تعتبر قانونا كليا ، لهذا ، كانت الموجودات المحسوسة وهمية عند بارمنيدس وتعتبر كموضوع للمعرفة موضوعا يقبل الخطأ ويمثل مجموعة زائفة من الآراء السلبية التى لا يعتد بها بارمنيدس فى تكوين موضوع معرفى يقود التفكير الفلسفى الى غاية ينشدها .

من ثمّ فإن هذا الوجود الحقيقى الذى لا أول له ولا نهاية بالنسبة لبارمنيدس هو الذى يمثل الموضوع الرئيسى من فلسفته فى جانبها المعرفى ولأن هذا الجانب قابل للفكرة وهى صادرة عنه فانه ولاشك قد منح مُثُل افلاطون دفعة قوية فى جانبها المعرفى أيضا الذى استمد موضوعات معرفته من الوجود الأصلى للأجناس فى الأفهام وتركزه فى عالم المثل وان كانت أفراده

تتمثل فى عالم الحس وتمثل نوعا من المعرفة الدانية غير المستقرة ، أو الخالدة ، وبهذا نرى أن بارمنيدس قد ألهم أفلاطون فكرة ايجاد موضوع محدد للمعرفة هو الوجود الكلى القائم على عالم المُثُل وان اختلفت عبارات الرجلين واتفقت فى المعنى المقصود .

النوع الثالث : الوجود الذهنى :

وهو الوجود المنتزع من أفراده الحقيقيين، وتتمثل فيه صور العدم أيضا أو اللاوجود بحيث يكون الوجود الذهنى هو وجود خاص بالكليات المفترضة وفيها الأفكار التالية للوجود سواء تحققت فى عالم الحس الظنى أو عالم العقل بالوجود الحقيقى ، بالتالى فان بارمنيدس قد وجه أفلاطون الى وجود عالم ثالث هو موضوع من موضوعات المعرفة ، كما يمثل بعدًا وجوديا ، وبقدر ما تكون الفكرة يكون وجودها فى عالم الذهن ، ولا يجد الباحث فرقا كبيرا بين ما انتهى اليه بارمنيدس الايلى وبين أفلاطون اليونانى .

ثالثا : مناهج المعرفة عنده :

من المعروف أن لكل علم من العلوم أو فن من الفنون منهجا يحدد السير فيه بغرض الوصول الى النتائج المأمولة فيه " فان الانسان اذا لم يكن له منهج فلن يصل للحق الا مصادفة ، وخير للانسان أن يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير منهج (١) وبالتالى فالمنهج

---

(١) أ.د / عثمان أمين — ديكارت — مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٩

ضرورة بحثية فى كل فن من الفنون وقد حدد ديكارت المنهج بقوله " أننا أعنى بالمنهج قواعد مؤكدة وبسيطة اذا راعاها الانسان مراعاة دقيقة كان فى مأمن أن يحسب صوابا ما هو خطأ " ثم تكون النهاية " أن يصل الانسان بذهنه الى التعبير فى جميع ما يستطيع معرفته " (١) .

ثم أليس المنهج هو " الطريق الواضح الذى يمكن التوصل بصحيح النظر فيه وباستخدامه الى غاية معينة " (٢) سواء كان ذلك المنهج علميا قائما على الملاحظة ويخضع للتجربة أو كان رياضيا قائما على الاستنباط لأن النتيجة الحتمية التى يعترف بها الجميع فى وضوح هى أن لكل علم ما يناسبه من المناهج " (٣) التى هى الآلة الدقيقة القادرة على توجيه الباحث الوجهة الصواب بل وتأمين طريقه البحثى وصولا للكشف عن المجهول وبالتالى فان المنهج الفلسفى فى المعرفة يقوم كذلك على الاستقراء أو الاستنباط ، أو الاستدلال بصرف النظر عن وضع مقدماته أو عرض قضاياه " كونها الزامية أو اقناعية أو مسلمة أو بديهية ، فما هو منهج المعرفة عند بارمنيدس ؟

الجواب :

ان بارمنيدس يحير الناظر الى فلسفته فى جوانبها المتعددة فكما أوقع الباحثين فى أمر الوجود عنده واعتباره فيلسوفا عقليا مثاليا أم حسيا ماديا فانه فى المعرفة يفعل بنا كذلك ، الا أنه نصوصه تؤكد أنه منهج

---

(١) المصدر السابق ص ٦٠

(٢) د / مصطفى لبيب دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ٩٥ دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة .

(٣) د / محمد سامى مهنا ـ المنطق ص ١١٥

استدلالى فيه معنى الاستقراء أو بمعنى آخر انه منهج استدلالى يقوم على قضايا ومقدمات استقرائية ، ودليلنا ما يلى :

١ — أنه نظر الى الوجود فاذا هو مجموعة من القيم المهدمة تحوم حولها أشباح تريد أن تلوح ، الوجود المتكثر والمتغير والوجود المفتتح والمنتهى لكل الأنواع والأفراد ، ثم انتهى به المطاف الى وجوب الوجود لوجود حقيقى ذى صفات متعددة هى القدم والوحدة ، والدوام والكمال والثبوت ، ولولا المنهج الاستدلالى الذى اصطنعه بارمنيدس ما توصل الى مجموع تلك الصفات التى أهداها للوجود الحقيقى ورسمه بها ، ثم ان استخدامه البديل الشرطى فى قوله : " لو لم يكن الوجود واحدا لكان متعددا فيكون هناك شىء آخر غير الوجود ية يكون التعدد ولا يوجد شىء سوى الوجود " (١) دليل قوى يؤكد ما ذهبنا اليه من استخدام بارمنيدس للمنهج الاستدلالى المنطقى الذى لم تكن قواعده قد وضعت مقعدة وان كانت تستخدم قبل أرسطو بزمن طويل .

رابعا : مصادر المعرفة :

كما أن المعرفة أنواع ، ولها موضوعات ومناهج فان لها كذلك مصادر تعتبر الوسائل الى ذلك كله ، ومن ثم فان الباحث يرى وجود عدد من المصادر للمعرفة ، تسمى كل مرة باسم واحدة منها .

---

(١) الدكتور / صلاح عبدالعليم — دراسات فى الفلسفة ص ١٧٣

فمرة تسمى المعرفة الحسية ، لأن مصدرها الحسى سواء كانت الحواس الظاهرة كلها أو بعضها ٠

وتارة تسمى المعرفة العقلية ، لأن مصدرها العقل سواء كانت كسبية أو بدهية ٠ وأخرى تسمى المعرفة القلبية ، لأن مصدرها القلب وحده وربما يترجم بها الحواس الخمس الباطنة ، ورابعة تسمى المعرفة الالهامية لأن المرء يدركها فى نفسه دون تدخل منه أصلا وقد تسمى المعرفة اللدنية لأنها هبة من الله تعالى ، ومنه قوله تعالى " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " (١) ٠

وهناك المعرفة الروحية التى تقوم على تعلقات الروح وتعيش فى أحضان الشعراء ، وأصحاب الاتجاهات الروحية الذين يستحضرون الارواح ويتوقعونها ويكتبون عنها بالاشادة والاستفاضة ٠ (٢)

ومرة أخيرة المعرفة الحدسية ، وهى القائمة على مجرد التوقع وهى تشبه الى حد ما الحدس الملاحظة الفجة فى العلم التجريبى ومصدرها غالبا خاطر الانسان الذى تهاجمه بعنف وتتعامل معه بسرعة سواء كانت معرفة صحيحة حين يصدقها الواقع ، أو تكون مجرد حركة خاطر لا تثبت ولا تستقر كأحلام النائمين وهى مع هذا فردية وادخالها فى المعرفة الحسية أفضل

---

(١) سورة الكهف الاية ٦٥ ٠

(٢) من ذلك الجمعيات الروحية وابرز مثال لذلك بمصر فى الوقت الحاضر الدكتور رؤوف عبيد وكتابه الضخم مطول الانسان روح لا جسد ٠

من تركها قسطا مستقلا لا يجد من يهجع اليه أو يؤكد نتائجه وبانحصار مصادر المعرفة فى تلك التى مرت فان سؤالا يتبادر الينا ماهى مصادر المعرفة عند بارمنيدس أو بشكل آخر ما هى المعرفة عند بارمنيدس من خلال مصادرها ؟

والجواب :

ان الجزء الثانى من القصيدة الشعرية الذى تحدث فيه بارمنيدس عن عالم الظن والوهم يشير الى أن المعرفة عند بارمنيدس حسية من خلال مصدرها الحسى ، ولكن طالما أنه شكك فيها واعتبر هذا العالم الحسى وهما وخيالا فأجدر بنا أن نتصور المعرفة الحسية عنده كذلك طارئة غير قويمة تمثل حالات فردية ثم انها لا ضمان لها ولا ثبات وبالتالى فان بارمنيدس يحث عن مصادر أخرى للمعرفة ، ويبدو أن ذاكرته القوية اعانته على ذلك فى وقت قصير ، فأكد على أن المصدر الحق للمعرفة عنده هو العقل ، لأنه نعمة من الله وبه يتمايز الناس جميعا وبالتالى فهو مصدر أكيد للمعرفة وثابت ولعل تلك الفكرة عند بارمنيدس هى التى أوحت لديكارت بعبارته المشهورة ان العقل اعدل الاشياء قسمة بين الناس (١) ، من هنا فان المصدر الصادق عند بارمنيدس هو المعرفة العقلية لأنها :

---

(١) ديكارت — التأملات .

١ ـ يقينيـــة ٢ ـ حقيقيـــة ٠

٣ ـ ثابتـــة ٤ ـ مطـــردة

٥ ـ مشتركة بين كل العقلاء ٦ ـ يمكن استرجاعها بيســر ٠

٧ ـ أنه لا يختلف عليها العقلاء مهما اختلفت أفكارهم خاصة اذا وضعت في شكل قضايا بدهية ، كالتي منها قوله ، ان الوجود موجود ولا يمكن أن لا يكون موجودا ، وأن اللاوجود ـ أى العدم ـ يستحيل وجوده ولا يتحقق أبدا ، بل انه لا يدرك ولا يعقل ولا يمكن التعبير عنـــه بالقول (١) ونحن لا نتفق معه فى أن العدم لا يعقل ولا يمكن التعبير عنه بالقول لاننا نجد أن التعبير عن اللاوجود بالعدم هو تعبيـــر أيضا،بل حكم عليه بأنه معدوم ومن المعلوم أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره ولو بوجه من الوجوه ، وما دام العدم يمكن وصفه بالعدم أو اللاوجود وتسميته به فلا شك أننا تصورناه ، وبالتالى فان قـــول بارمنيدس بأن اللاوجود يستحيل وجوده فيه نوع من العموم وذلـــك للأسباب التالية :

أولا : أن العدم ضد للوجود ، فاذا وجد احدهما أمتنع وجود الأخـــر فى الواقـــع وان كان له وجود فى الذهن وبالتالى فالعدم له وجود ذهنى فكيف يدعى بارمنيدس استحالة وجود العدم رغم وجوده فى الذهن ، كان عليه أن يشرح ولو بايجاز عبارته وما المقصود باستحالة وجود العدم هـــل

(١) الدكتور / صلاح عبدالعليم ـ دراسات فى الفلسفة ص ١٧٣

استحالة وجوده في الواقع مع الوجود أم استحالة وجوده في الذهن والواقع معا ٠

ثانيا : اعتبر بارمنيدس العالم العقلي هو الوجود الحقيقي مع العلم أن العقل يوجد فيه العدم والوجود بقدر واحد لا يرجح أحدهما فيه على الآخر كوجود في العقل - الا بالواقع الخارجي ، فكيف ساغ لبارمنيدس أن يتصور العدم بغير وجود أبدا ، ولو في العقل ؟ ٠

ثالثا : ان الوجود الظني أو العالم الطبيعي المحسوس ، الذي ميدانه الابحاث الفيزيقية يؤكد وجود العدم في كل موجود سواء كان العدم كليا أو جزئيا ، ثم ان الحركة التي تستكن في الوجود المقارنة للزمان والمكان والتي دلت عليها الابحاث الميكانيكية وقامت عليها العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية يؤكد وجود عدم مستمر في داخل الوجود ذاته وهو فناء بعض الذرات ، وقوانين الطاقة في كل كشف علمي تشير الى ذلك الفناء الجزئي للموجود حتى ما كان من قبيل الذرات الاشعاعية كالرديوم ، واليورانيوم ، فاعتقاد بارمنيدس بوجود عالم حقيقي بسيط عقلي يجعل فاصلا كبيرا بينه وبين العالم الحسي ، مما يفقد المعرفة الانسانية مصدرا اساسيا من مصادرها الجوهرية وهو العلم التجريبي والمنهج الاستقرائي ٠

رابعا : اعتراف بارمنيدس بوجود ذهني يجعل الوجودات عنده ثلاثة هي :

١ - الوجود الحسي - الوهمي الظني ٠

٢ ــ الوجود العقلى ــ الحقيقى •

٣ ــ الوجود الذهنى ــ وهو مرحلة وسط بين الوجود العقلى والوجود الحسى ، وتتجمع فيه كافة الوجودات الوسط بين الحسى والعقلى وبالتالى فانه قد اعترف بوجود ثالث يجمع الاسماء الكلية فيه ومنها العدم ، ومن هنا فان أغلب الصفات التى خلعها على الوجود الحقيقى قد انهارت أمام النقد العلمى الحديث ولكن عذره أنه عاش فى عصر لم يعرف الاكتشافات العلمية الهائلة التى تدور نتائجها فى العالم المعاصر باشكال متعددة •

ورغم هذا فانه لاشك من أن پارمنيدس بتصورة لثلاثة وجودات قد أهدى لأفلاطون قمة من قممه الفكرية التى شار عليها افلاطون فلسفته فى عالم المثل وان كانت أساليب أفلاطون تختلف عن پارمنيدس فى طرق المعالجة شأن كل لاحق مع سابقه ، ومع هذا فلا شك فيه أن پارمنيدس قد أضاف جديدا للمعرفة من حيث المصدر وجعلها مصدرية الحس والعقل ولكل منها درجته من الصحة والثبات واليقين والدوام فى وقت كان السائد فيه وجود مصدر واحد للمعرفة هو الحس حيث كان البحث فى أصل الكون والمادة التى تكون منها سواء كانت الماء ، أو الهواء ، أو النار ، أو التراب على ما هو مذكور فى تاريخ الفلسفة اليونانية •

الهدف من المعرفة البارمنيديسية :

اذا كان الهدف من كل فلسفة هو وجود نوع ما من المعرفة فان الهدف من وجود المعرفة ذاتها قد اختلف الفلاسفة فيه وكل أدلى بدلوه من وجهة نظر خاصة به :

١ — فمن قائل بأن المعرفة — العلم — فضيلة والجهل رذيلة .

٢ — ومن قائل بأن المعرفة بالشيء والعمل به فضيلة وأن الجهل به أو العمل بضده رذيلة .

٣ — ومن قائل بأن الهدف من المعرفة استخلاص حكم شرعي تقاس عليه غيره من الأحكام الشرعية كالفلاسفة المسلمين وعلماء الأصول .

٤ — ومن قائل بأن الهدف استخراج قانون يجمع الجزئيات ويشملها سواء كان القانون علميا استقرائيا ، أو استدلاليا رياضيا ، أو قياسا منطقيا

٥ — ومن قائل بأن الهدف من المعرفة وضع الشيء في الموضع الذى يكون حسنا فيه وقبيحا لو وضع في غيره .. الخ ولكل وجهة هو موليها .

أما بارمنيدس فان الهدف من المعرفة عنده ينحصر في :

١ — التكمل العقلي والخروج من دائرة الحس الى امكانيات العقل ، كما هو اتجاهه في الفلسفة بصفة خاصة .

٢ — محاولة قيادة الناس الى فلسفة من نوع متميز تجعلهم يفرغون ما في عقولهم من أوهام تتعلق بالأساطير وبخاصة في مسألة الألوهية —

كما رسم ذلك كل من هيزيود وهو ميروس فى الالياذه والاوديسا والتأكيد على أن المعرفة تدفع الى رفض تلك الأفكار السيئة التى نقلت دون عرضها على العقل وحاول أصحابها فرضها على الناس تحت اسم من الاسماء .

والذى يقودنا الى ذلك هو أن اكزينوفان رأس المدرسة الايلية وأستاذ بارمنيدس حارب الفساد الدينى لدى اليونان ، حتى اعتبر بحق صورة من صور الاصلاح الدينى فى الفكر اليونانى ، وقال عنه الباحثون أنه " أول من حارب الشرك والتصورات اليونانية السابقة للآلهة أو الاله (١) وسواء كان فهمه — اكزينوفان — للاله على نحو عقدى كالذى أتت به الرسالات ، أو على نحو الهامى كالذى أعتنقه الحنفاء ، أو كان على نحو ايجابى فطرى ، فلا شك أن هذا الجانب من اكزينوفان — تغلغل فى أعماق بارمنيدس حتى أن الصفات التى وصفها للوجود الحقيقى المثالى هى نفس الصفات التى وضعها اكزينوفان كوصف للاله الذى يعتقده ، ومن ثم فان بارمنيدس قد تقدم خطوات واثقة فى مجال وضع المعرفة كهدف لاهوتى وان لم يصرح به مباشرة ، ولكن محاولة الفصل بين الوجود الحقيقى بصفاته العديدة التى وضعها ، والوجود الظنى بصفاته الكريه والمتغيره الى آخره تؤكد ما ذهبنا اليه من تقدم بارمنيدس على غيره فى هذه الناحية العقلية اللاهوتية المتميزة .

---

(١) الدكتور / صلاح عبدالعليم — دراسات فى الفلسفة ص ١٧٠

(القســم الثانـــــى)

أفلاطـــــــــــــــون

المفكر الأغريقى الذى يذكر أصحاب الفضل عليه فيقول : " أشكر الله الذى خلقنى يونانيا لابربريا ، حرا لا عبدا ، لاجلا لأمرأة ولكن فوق الجميــع أننى ولدت فى عصـــــر سقراط ".

(الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها)

هو شخصية وائم الله فيها بين نبل الخلق ، وجمال الخلق ، كما وافق فيها بين كرم الأصل وعراقة المحتد ، وفوق ذلك كله فهو شخصية مركبة من قوى عقلية ممتازة كفلت له أن يعيد الهدوء السليب الى ساحات أثينا ، والأمن الناشز الى رحابها الممزقة بسبب الحروب العدوانية التى كان يشنها من آن لآخر الغزاة والتى عرفت باسم الحرب البلوبونزية ، والتى انتهت " بالانهيار الكامل لأثينا كقوة سياسية " (١) وكان على فيلسوف كأفلاطون أن يعمل على تثبيت الاقدام الواجفة ، وتهدئة الوجدانات القلقة .

١ — مولده :

لا يكاد يتفق الباحثون على تاريخ محدد لميلاد أفلاطون ، وأعنى به شهادة الميلاد ، وان كانوا يتفقون غالبا فى تاريخ الوفاة ، ومصدر ذلك الاختلاف عدم توفر الرغبة فى تحديد تاريخ الميلاد لجميع طبقات الشعب ولعدم توفر الأجهزة اللازمة للقيام بهذا الغرض ، لذا نجد الاختلاف فى مولده من حيث الزمان يرجع الى الأقوال التالية :

١ — وولتر ستيس يعترف بصعوبة تحديد مولد أفلاطون بدقة فيقول " تعد مسألة التاريخ الدقيق لمولد أفلاطون مسألة يعتروها الشك ، ولكن التاريخ الذى يطرح عادة هو ٤٢٩ — ٤٢٧ ق م وهو تاريخ لا يبعد

---

(١) وولتر ستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٤٤

كثيرا عن الحقيقة (١) وهو بهذا لا يجزم بالسنة التى ولد فيها فضلا عن تحديد الشهر أو اليوم ، وهذا يدل على أن التخمين كان له دخل كبير فى هذا التحديد لذلك التاريخ .

٢ - هنرى توماس ، أنالى توماس :

فقد اتفقت كلمتاهما على أن أفلاطون قد ولد سنة ٤٢٧ ق . م (٢) ويبدو أن المؤلفين قد تمكنا من تحديد تاريخ ميلاده ، وإن لم يخبرا عن المصدر الذى جمعت فيه المعلومات أو وثقت به .

٣ - الدكتور / عوض الله جاد حجازى وآخر :

يريان أن أفلاطون قد ولد فى أثينا حوالى عام ٤٢٧ ق م من أسرة كبيرة كان لها عظيم فى السياسة وفى الحزب الارستقراطى (٣) كما أنه كان تليد عراقة ، وسليل ملوك ومشترعة ، وكثيرا ما كان يذكر ذلك أثناء حديثه عن نفسه وسيرته الذاتية .

٤ - الدكتور / محمد غلاب : يرى أن أفلاطون قد ولد بالتحديد فى عام ٤٢٨ ق م وأنه مات سنة ٣٤٧ " (٤) ومعنى ذلك أن أفلاطون قد عاش قرابة ٨١ واحد وثمانين عاما وهو عمر طويل نسبيا اذا قورن بغيره

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٣

(٢) هنرى توماس ، وانالى توماس أعلام الفكر الاوروبى من سقراط الى سارتر جـ١ ص ١١ مطبعة كتاب الهلال المصرى ترجمة عثمان نوية العدد ٣٦٣

(٣) د / عوض الله جاد حجازى فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٠٩ الطبعة الثانية دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٤) د / محمد غلاب مشكلة الألوهية ص ٣٤ دار احياء الكتب العربية لسنة ٤٧

من فلاسفة اليونان السابقين عليه أو اللاحقين له .

ما مضى كان مجمل الآراء فى تاريخ ميلاد أفلاطون ، والناظر اليها يدرك أنها لا تعرف من معين واحد يحدد بوضوح تاريخ ميلاد أفلاطون حكيم اليونان ، ويبدو أن ذلك هو الغالب على تاريخ ميلاد فلاسفة اليونان على الخصوص ، ومن البدهى أن الاختلاف فى تحديد تاريخ ميلاد الفيلسوف ربما يكون فرصة لاهماله أو لمحاولة الزج به فى غياهب التاريخ الطويل ، بيد أن هذا الأمر غير وارد لدى الباحث المنصف وذلك للأسباب التى سبق ذكرها أثناء الحديث عن ميلاد بارمنيدس .

من ثمّ فان الاختلاف فى تاريخ ميلاده الى هذا الحد يؤكد أن القوم جدوا فى سبيل تحقيق تلك الغاية وأنّى لهم أن يمدهم التاريخ بوثائق مؤكدة ، وقد ابتلعها فى أحشائه ، وغيبها فى أغواره ، ولم يعد لها منه الا الذكرى والاعتبار .

أما ما يطمئن اليه الباحث هو أن تاريخ ميلاد أفلاطون فى كل ما مضى كان تقريبيا وليس تحديدا قاطعا ، وما دام الأمر فى مرحلة التقريب والتخمين فأقرب ما يمكن قبوله من الآراء هو أنه ولد فى عام ٤٢٨ ق.م للأسباب الآتية :

أولا : ما امتاز به الدكتور / محمد غلاب عند تحقيقه لأى تاريخ أو حدث وتأكده من أية نازلة وواقعة وقد أكد على أنه ولد فى ٤٢٨ ق . م .

ثانيا : تسليم كل من وولتر ستيس والدكتور / عوض الله حجازى بأنه ولد حوالى ٤٢٧ أو ٤٢٩ يؤكد على أنهما لا يجزمان وان كانا يريان أن هذا التاريخ تقريبى على عكس ما مال اليه الدكتور غلاب حين اعتبر ٤٢٨ ق • م هى بالتحديد تاريخ ميلاده •

ثالثا : ميل المؤرخين غير د / غلاب للحديث عن ميلاد أفلاطون بصورة التمريض وصيغ التضعيف • والأمور العلمية لا يكتب فيها بالظن ولا تؤخذ بالتخمين •

٢ ـ حياتـه :

ما من شك فى أن القدر يصبغ على الناس ما أراد ، وأنه يطبعهم على ما يشاء ، ثم هو مع ذلك يكلفهم فاما أن يشكروا ، واما أن يصبروا ، واما أن يكفروا ، وأفلاطون من أولئك الذين شاء الله لهم أن يرفلوا فى النعيم منذ نعومة أظافرهم فهو من عائلة ارستقراطية ، تهيأ لها من أسباب الحياة المادية ما جعلها تفوق أقرانها من الأسر اليونانية فهم أصحاب :

ـ ثراء عريض

ـ ونفوذ واسع

ـ ومشترعة قوانين

ـ وفيهم رجاحة العقل ورزانة الفكر •

ـ ثم انهم أهل السلطة وحب الحكام •

وأسرة كهذه يشعر جميع أفرادها بتميزهم على غيرهم ، وتفوقهم على أقرانهم ، فى كل مناحى الحياة فيشب الصغير فيهم وقد نما فيه عدد من الخلال الحميدة وربما يغالى فيها فتصل به الى حد الكبرياء أو الرعونة والغرور .

بيد أن أفلاطون لم يكن كذلك لأن ملكاته العقلية كانت من الثبات والرزانة بمكان لا يسمح لتلك العلل أن تنال منها أو تضعف من شأنها أو تقلل من امكانياتها فهو سليل عراقة مدروسة ، وحفيد عقول منظمة لذا فقد عرف مواطن العلم والجد أكثر من معرفته لمراتع اللهو والمجون واجتذبته القيم النبيلة اكثر من اغراء السذاجة والسوفسطائية ، ثم هو فوق ذلك بدأ حياة منظمة تستوعب ظروف عصره وتعمل على تنمية ملكاته فربما يكون فى المستقبل القريب هو الحاكم المنتظر، أو الفارس الذى يعيد الى أمة اليونان مجدها الذى سلبه منها الغزاة خلال حروبهم الطويلة .

ومن كان هذا شأوه ، فلاشك أنه تربى على موائد العلم السائدة فى عصره ، وارتضع ألبان الفلاسفة ، وتخلف كثيرا الى المعلمين ، وجالس تلاميذ المدارس التى كانت قائمة فى عصره الذهبى ، حيث كانت الفيثاغورية ترسل من أن لآن بقايا فكر رياضى يصاغ فى قضايا منطقية تقبل البرهنة أو أحكام علمية برهانية وكان الفيثاغوريون ينمون ذلك ويعملون على أثراء الامة اليونانية بهذا الفكر الذى يقود الى التفكير المنظم ويهدف الى

الحياة الآمنة ، والذى يُعد بداية طبيعية لأفكارهم الميتافيزيقية كما أن السوفسطائيين كانت مدارسهم منتشرة وجد لهم لم يكن سقراط قد اجتزء كله وان كان قد نبه الى خطورتهم وحول الأنظار عنهم ، لكن كانت لهم على عقول الشباب سطوة ، كما كان لهم على أفكارهم سلطان، ونظرا لتعدد مذاهبهم ، وكثرة أتباعهم كان انتشارهم على طول بلاد الاغريق وعرضها. وذلك شأن الأفكار الهابطة عندما تجد الرواج لها فى ظل ظروف الضغط الاقتصادى، وانخفاض ثقافة أبناء العامة التى تصل الى حد مقارنتهم بالدهماء، وكانت أفكارهم تجد لها صدى ، كما كانت المدرسة الايلية ذات الاتجاه الالهى مرة ، ومحاولة البحث عن الحقيقة المطلقة أخرى ، تجد لها افكارا منظمة تصل الى حد المذهب الفكرى ، والذى كان من حظه ظهور ثلاثة زعماء له كلهم أخلصوا لمبادئه ، ودافعوا عنه وصاغوا المذهب فى صورة كانت أقرب الى القبول، وأسرع الى الاعتناق، وان كان لكل منهم نصيب محدد، فإنهم على العموم قد اجتازوا العقبة الاولى، وكونوا المذهب ودافعوا عنه وصار لهم أنصار كما كان لهم خصوم ، ولا شك أن هذا كله كان يراقبه أفلاطون ويسمع به كما يقرأ عنه ، حتى ترك فى صدره أثرا قويا. وذكرى لا تذوب ، بل إن أفلاطون نفسه صرح بحبه لأحد زعماء المدرسة الايلية وأبان عن عشقه وهو بارمنيدس وكان " يشير اليه دائما بكل تبجيل " (١) .

---

(١) وولتر ستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٧

نشأ أفلاطون يحيط به الكثير من الأفكار ، والمذاهب والمدارس ، والاتجاهات ، وكان عليه أن يختار طريقا يتفق مع امكانياته العلمية ووضعه الاجتماعي واسرته التي تنظر اليه ليكون في يوم ما صوتا لها يدافع عن وجودها ويحمي عرينها ، وكان والده يعينه على كل هذا بل ويدعمه لديه ويعمل على تنمية مواهب ولده ما وجد الى ذلك سبيلا .

ومما لاشك فيه أن السماء قد أفاضت " على أفلاطون نعيمها ، فهو قد اصاب من النعيم كل ما يسع الالهة — على مفهومه — أن تسبغه على انسان ، منبت عريق ، وأب واسع الثراء ، وطلعة مشرقة ، وعقل سليم في جسم رياضي سليم ، وميل جارف إلى الحكمة . (١)

٣ — ثقافتــــه :

لا يجد الباحث عن ثقافة أفلاطون عسرا إذا أراد أن يحددها ، أو يبرز أهم معالمها ، أو الروافد التي أمدته بتلك المعلومات التي تكونت منها ثقافته ، ذلك لأن أفلاطون مفكر انفتح على ثقافات عصره ، وقد مكنت له ظروفه من ذلك كله ، ثم ان سيولة المال بين يديه ، أعطته ثقة مضافة

---

(١) هنري توماس ، واناللي توماس أعلام الفكر الاوروبي من سقراط الى سارتر ترجمة د / عثمان نوية ص ١٤ كتاب الهلال العدد ٣١٣ يناير ١٩٧٧

فدفعته الى الترحال المستمر ، فتمكن فى ترحاله من الاختلاط بمعارف كثيرة ، والتعامل المستمر مع فلسفات متعددة كلها ساهمت فى تكوين ثقافة أفلاطون ، ثم فلسفته فيما بعد ٠

ومن البدهى أن استعداده الذهنى ، وتكوينه الفطرى ، وظروفه الاجتماعية ، ثم وجود سقراط فى عهد متزامن معه ، هذه الأمور جميعا قد ساهمت بنصيب وافر فى تكوين ثقافة أفلاطون ، ولذا يتراءى للفرد أن أفلاطون مادى ويترائى لغيرهم أنه مثالى ، ويتوقف البعض أمام جمهوريته الفاضلة فيصاب بمرض البحر ، من هنا لزم لمن يبحث عن فلسفة أفلاطون أن يتعرف أولا على ثقافته ، لأنها مفتاح فلسفته ٠

(آراؤه الفلسفية)

تمهيد :

شغلت الفلسفة بمباحثها الرئيسية فكر أفلاطون جميعه حتى صار أفلاطون بحق فيلسوفا يعد بآرائه ويحتكم العقلاء لأفكاره ، بل ويحاول الحكماء تقليد فلسفته واشباع جوانحهم بها حتى صاروا أفلاطونيين كأفلاطون بل أشد ، ومهما يكن من أمر الفلاسفة فان الذى يعنينا هو رأى أفلاطون الفلسفى فى الوجود ٠

والحقيقة أنه ما يكاد الباحث فى فلسفة أفلاطون يقترب من الوجود حتى يجد أفلاطون واضحا لأبعد الحدود فى تعريفه للوجود ، وتوضيح كل قسم من أقسامه ، مع رسم الحدود المثلى للعالم كله بكافة أقسامه وأنواعه ، وان شئت فقل للوجود بكل ما تعنيه كلمة الوجود ، وقد اتخذ افلاطون لبلوغ تلك الغاية العديد من الوسائل ، كما رسم الكثير من الأفكار ٠

فكما عرفت عنه الجمهورية المثالية ، كذلك صرخ بأعلى صوته بعالم المُثُل ، وكمال القيم ، ولئن كان قد فشل حقا فى تطبيق جمهوريته المثالية فى عالم الواقع ، لمخالفتها طبيعة البشر ، ومصادمتها للغرائز الأساسية فى الانسان ، ومقاومة الفلاسفة للأفكار التى قامت عليها ونادى بها ، فانه

فانه قد نجح الى حد ما فى تطبيق عالم المثل على أفكاره ، واستطاع من خلال الكهف الافلاطونى أن يحرز تقدما ملموسا فى ميدان التطبيق العملى والعلمى لتلك الفكرة التى اعتبرها البعض مثالية ، واتهمها الآخرون بالسطحية وأنها محاولة للهروب من شبح المادية ، وهذا كله أفاد ، حتما فى تكوين فكرة جلية عن الوجود وابراز دور افلاطون كفيلسوف عميق — صاحب فكر دقيق ، فما هو تعريفه للوجود ، وأنواعه ، وأقسامه ؟

(١) مبحث الوجــــــود

أ — وجود اللـــــه :

يفرق أفلاطون بين وجود الله ، ووجود غيره فوجود الله عنده هـــو الحل الأمثل الذى يجعل المادة تتشكل مع الصورة ، ثم ان وجود اللــه مستقل تماما عن الوجود الذى يتناوله افلاطون بالدراسة ، ان وجود اللــه هو البديل الحقيقى الذى يستطيع أن يقوم بعمل المُثُل بدلا منها عنـــد عجزها لذا قال " الله يتناول المادة ويشكلها فى هيئة نسخ للمثل " (١) وليست تلك مهمة الاله فقط لأن وجود الله " أمر لا سبيل الى انكاره ، أو الارتياب منه " (٢) وبالتالى فان وجود الله رغم أنه ضرورة ، فانه كذلك يتمتع بعدد من الصفات إنه " نفس عاقلة مدبرة تدبر العالم على خير ما يمكن ، وهذه النفس المدبرة هى التى أدخلت النسب والنظام والانسجام فى كـــل جزئيات الكون " الاله هو نموذج كل شىء " ومعتمد هذا كله أن الــــه أفلاطون هو " جميل ، حكيم ، خير ، جامع لكل المحامد " (٣) ومادام الأمر كذلك فان افلاطون قد جعل له وجودا مستقلا ، غير الوجود الــذى تحدث عنه أفلاطون ونعنى به الوجود الفيزيقى ، لذا سنذكره ونعنـــون له " بوجود غير الله " .

---

(١) وولتر ستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٠١

(٢) د / محمد غلاب — مشكلة الألوهية ص ٣٣ ، ٣٤

(٣) المرجع السابق ص ٣٥ ، وقد بذل المؤلف مجهودا مطولا فى بيـــان الاله عند أفلاطون وصفاته ومجهودات أفلاطون فى اثبات تلك الصفات له والبراهين التى استخدمها للتعرف على الاله واثبات وجوده وسائر كمالاته وعلاقته بالعالم من ص ٣٣ — ٤٢ فليرجع اليها من شاء ففيهـــا الكفاية .

ب — وجود غير الله :

يكاد الدارسون أن يجمعوا على أن أفلاطون نفسه لا يتمكن من اعطائنا تعريفا محددا لفكرة الوجود عنده ، وذلك لكثرة ايراده للفظ الوجود ، وكثرة أنواعه ، وتكرارها وترددها بين المُثُل مرة والمفاهيم العقلية مرة أخرى والحس الكاذب كذلك ، ولذا سنبدأ بالأنواع وتحدد كل نوع منها :

أنواع الوجود :

يقسم أفلاطون الوجود الى أقسام ثلاثة ، وكل قسم منها يتميز عن الآخر بصفاته ، وهاك الأقسام الثلاثة :

١ — العالم العقلي — الوجود العقلي :

وهو عالم ثابت عام مطلق " أنه النموذج الذى ينتج الكائنات المحسوسة انه العالم المطلق فى عموميته ويسميه أفلاطون عالم المُثُل (١) إنه عالم يمدنا بالنور ويزودنا ببسائر المفاهيم الكلية الحقيقية التى لا تقبل الشك بحال ، كما أنه عالم وسط بين العالم الحسى أو الموجود الحسى ، الذى ندركه بالحواس ويمثل الجانب الثالث من جوانب العالم عند أفلاطون " وبين العالم النفسى الذى يمثل ذاتية النفس الكلية أو العالمية ورغم ذلك فان العالم المثالى عقيم لا يتمكن من انتاج شىء بحال من الأحوال ، وأن كانت الاشياء فى ذاتها تقبل الحركة والانتاج، بل وكلما عرض لها التطوير تطورت، ثم ان هذا الوجود العقلى المثالى القائم على عالم المثل ينقسم الى

د / طلعت غنام — الاسلام وتيارات الفكر المعاصر ص ٣٠

أقســـام هى :

١ ـ المُثُل الدنيا: التى لا تحتوى " الا على ما هو مشترك بين أشـــياء فئة من الفئات واستبعاد اختلافاتها" (١) .

٢ ـ المُثُل العليا: وهى التى تضم ما هو مشترك مع المثل التى تندرج تحتها (٢)

٣ ـ مثال الخير الأقصى: وهو الذى يعتبر أساسا قويا لكل المثل الأخرى ، وبخاصة المثل الدنيا التى يجب أن تجد لها مكانا فى المثال لأنهـا ليس فيها طابع الضرورة لأنها وقائع .

٤ ـ المثال الواحد : الذى يمثل ضرورة واحدة ، لحالة واحدة ، دون اشتراك مُثُلٍ أخرى معه ، ولاتندرج تحته مُثُلٌ وان كان هو يندرج مع غيره تحتها عند اجتماعهم فى المُثُل الأعلى .

وذلك العالم المثالى عند أفلاطون لا يتمكن من فهمه والتعامل مـــع أسراره الا الحكماء والفلاسفة والنابهون ، ومن يحاول أن يجتازه دون تلك الصفات فلن يكون له منه النصيب الأوفى، اللهم الا شذرات لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وكانت أسطورة الكهف هى العمل الفنى والخيال الخصب الذى أودع فيه أفلاطون حلمه لتكوين أفكاره الخيالية عن العالم العقلى الـــذى يمثل صورة لاحقة لذات العالم عند بارمنيدس فيلسوف المدرسة الايلية والذى استفاد منه أفلاطون بكل ما تمكن .

---

(١) وولتر ستيس ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٠٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

٢ ـ الوجود الحســـى :

وهو الوجود الظاهر المنبث فى جميع الكائنات التى تدرك بالحواس على اختلاف أنواعها ، وهذا الوجود الحسى هو الذى يمثل بحق الوجود العقلى بحيث يصير صوابا القول بأن الوجود الحسى صورة للوجود العقلى لكنها صورة تدرك بالحواس ، وبالتالى فموضوعات العالم الحسى هى ذاتها موضوعات الحواس ، انه عالم يحوى من الأشياء الكثرة والعكس ، ويجمعهـا جميعا لتمثل صورة شاملة كلية توجد فى عالم المُثل وبالتالى فإن الوجـــود الحسى يشغل حيزا من الفراغ على قوانين الطبيعة ويدرك بالحس ولذا فهو وجود حسى .

ورغم أنه الوجود الذى يجمع الجزئيات المشخصة وغير المشخصة ، كما يجمع الأنواع والأفراد فإنه عند افلاطون وجود وهمى، زائل، متغير، غير حقيقى، وغير مطلق ، انه تتحرك فيه الأفراد وتوجد، ثم تنعدم وان تكررت عدة مـرات واستمرت من الوقت الزمن الطويل، فإنها لا تعدو أن تكون موجودات صوريـة تمثل جانبا من الوجود العقلى الكائن فى عالم المثل .

ولعله من القريب للصواب أن يقال ان أفلاطون قد تأثر باللقاء الأخير مع سقراط حين تجرع السم راضيا ، وقال " ان الموت نسيان خالد ، حـلو لا يفسده أضطهاد أو ظلم أو خيبة أو ألم أو حزن ، انه باب نلجه فنمـضى من الأرض الى السماء، أنه المدخل الى قصر الله ، وهناك أيها الصحاب

لا يقتل انسان من أجل عقائده ، فابتهجوا اذن واستبشروا ولا تأسوا على فراقى ، وقولوا حين تودعوننى القبر ، انكم انما دفنتم جسدى لا روحى[١] وأن تلك العبارات قد بلغت من أفلاطون مبلغا جعلها ترسم جزءا من أفكاره فألهمته فكرة الوجود الحسى بالأوصاف التى خلعها عليه ٠

بيد أن هذا الزعم قد يرقى الى مرحلة الشك أو يجاوزها الى اليقين النسبى اذا ضممنا الى ذلك الجزء الأول من حياة أفلاطون وتسلط الأفكار الوجدانية عليه ، والتى راحت تنزل به الى الأعماق فيتوقع عالما مثاليا لا وجود له فى الجمهورية ، أو تصعد به الى أعلى فيتوقع عالما خاليا من كل شىء الا القيم والمفاهيم والأجناس العقلية ، التى ما ان يطالعها مطالع حتى يراجع نفسه فيها مرات ، ومهما يكن من أمر الوجود الحسى عند أفلاطون فكيف أنه قاد الفكر اليونانى الى التأمل فى العالم ، ومحاولة التعرف على أسرار الله فى الكون حتى سمى أفلاطون الالهى ٠

وبرغم ذلك فان افلاطون قد جعل ثنائية فى العالم تقوم على المثل والمادة وتلك الثنائية بين المثل والمادة تؤكد أنهما حقيقتان مطلقتان تواجه إحداهما الأخرى ، وان كانت المثل أقوى الا أن البحث أثبت وجودا ثالثا هو الوجود النفسى ٠

---

(١) هنرى توماس ، ودانالى توماس — أعلام الفكر الاوربى من سقراط الى سارتر ص ١٨٠ دار الهلال بمصر ٠

٣ ـ الوجود النفسي أو الروحي :

ويعني به الوجود الذي يربط بين الوجود المادي ووجود المثل إن الوجود النفسي في مذهب افلاطون " يتوسط بين عالم المثل وعالم الحس، والنفس تشبه عالم المثل في أنها غير مادية وخالدة ، وهي تشبه عالم الحس في أنها تشغل حيزا " (١) من هنا لزم التنويه بأن القائلين بوجود ثنائية للوجود عند أفلاطون قد فاتهم أن يركزوا على وجود النفس عنده الذي يعتبر بمثابة وجود حقيقي روحي لازم وضروري للعالم لأن الكون كائن حي في كل نواحيه ، بجانب أنه وجود يحمل وجودات أخرى .

وبغض النظر عن الأقسام التي جعلها أفلاطون للوجود النفسي فان الذي لا جدال فيه هو أن أفلاطون قد استفاد كثيرا من أفكار بارمنيدس ، بحيث تعتبر هي الأصل الذي قامت عليه أفكار أفلاطون في الوجود ، وان أختلفت في التسميات والأسلوب الخيالي أو الخيال الاسطوري ، وان لم يكن الوجود النفسي قد حل مشكلة الوجود عند أفلاطون فانه على الأقل فتح الباب للمتربصين به كما فتحه للمدافعين عنه . وان كان جانب المدافعين عنه أقوى وبأنه مفكر مثالي أثبت وأنقى .

---

(١) وولتر ستيس ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٨٠

تعقيـــب :

سبق أن أسلفنا الحديث عن الوجود عند أفلاطون ، وها نحن نقف أمامه نعالج ما نتمكن من أفكاره ، وأول ما يطالعنا هو :

(١) تأثره البالغ ببارمنيدس في فكرة الوجود وتقسيمه الى وجود ذاتـــي وهو وجود الله تعالى ، ووجود منقسم وهو وجود العالم ، والاختلاف فقط في رسم صورة وجود الله عندهما ، وبيان سائر صفاته واسمائه .

(٢) تقسيم الوجود الى :

أ – وجود مادى .

ب – وجود مثالـى .

وهو نفس تقسيم بارمنيدس واعتبار أن الوجود المادى وجود هش وهـــم لا حقيقة له عند بارمنيدس ، وان كان أفلاطون قد جعله وجودا مستقلا في مواجهة الوجود في المُثل الا أن كليهما يتفق على أن الوجـــود العقلى عند بارمنيدس ووجود المثل عند أفلاطون هو الوجود الحقيقى الدائم الثابت والأصل الذى تنشأ عنه كافة الموجودات .

ولئن كان بارمنيدس لم يواجه مشكلة كيف تنشأ الكثرة عن الوحدة مـــن خلال وجود الفكرة أو الوجود العقلى مما حدا به الى اعتبارها أفكارا حية قائمة بذاتها الا أن أفلاطون حينما واجهته المشكلة اضطر الى الاعتـــراف بوجود الله المستقل الذى يجمع مثال الخير الأعلى فيه وأنه الذى تكفـــل

بحل تلك المعضلة متى وضعها فيلسوف على مشرحة البحث .

بيد أن بارمنيدس ، قد سبقه الى تقرير مذهب اكزينوفان الايلـى ولكن بصورة غير جلية أما أفلاطون فقد سبقه الى تقرير مذهبه فى ثنائيـة العالم أو ثلاثية الوجود كل المدرسة الايلية بجانب استفادته الكامل بما تركه بارمنيدس من أثر ايجابى بثه فى مؤلفاته وقام زينون صديقه وزميل مدرسته باذاعته ونشره .

ولعل آحاد الناس يظن أننا نريد أن نجعل من أفلاطون كبش فداء لأفكار بارمنيدس كلا ، فإن لكل منهما منهجه فى معالجة قضاياه وان أتفقت النتائج أو استفاد أفلاطون من بارمنيدس طريقة معالجته معضلاته الفلسفية ، وحتى على هذا القول فلا يكون صوابا اذا غَبَنّ أحد أفلاطون حقه فى كونه فيلسوفا مبتكرا حمل لواء الفلسفة المشائية بعد سقراط وحمل أفكار المدرسة الايلية بعد زينون وترك فلسفة خصبة فيها من النبت الطيب ما تمكن معه أرسطو من اشادة فلسفة أعتبر صاحبها فيما بعد " المعلم الأول " وأطلت على العالم اليونانى كله اطلالة فلسفية رائعة ، تسربت من خلاله الى بقية العقول التى عاشت آنها واستفادت منها وبقيت فى أذهان الناس ذكرى لا تنسى وأفكارا لا تبلى .

٢ — المعرفـــة عنـــد أفلاطون

سلف أن تحدثنا عن رأى أفلاطون فى الوجود ، وأدركنا أنه يقســـم الوجود المحسوس والوجود الثابت فى عالم المثل ، ولما كانت المعرفـــة دائما ندركها من خلال فلسفة صاحبها عن الوجود فقد بان لنا أن المعرفة عند أفلاطون نوعان أساسيان ، ونوعان فرعيان اذن هى على العموم أربعة أنـــواع النوع الأول: المعرفة الحسية — الادراك الحسى :

وهى التى تأتى عن طريق الحواس ، وأنهـــا " مقدمة للمعرفـــة العقلية " (١) لأن المعرفة الحسية تأتى عن طريق الحواس دائما ولا تعطى قضايا يقينية لاختلاف درجات الحواس عند الاناس واختلافها فى الشـخص ذاته ، بجانب أن مدركات الحواس متغيرة باستمرار ، كما أنها لا تودى الى ادراك ماهيات الأشياء وأن ادت الى التعريف بالأفراد أنفسهم .

كما أن المعرفة الحسية مهما ارتقت فهى غير يقينية وغير مطلقة بجانب أنها ليست عامة ، لكونها من الحواس ، ولأنها تمثل وجهة نظر صاحبهـــا فقط ، وبالتالى فهى نسبية شخصية ، ولا تمكن صاحبها من اصدار قضايـــا كلية ، وتسمى حسية نسبة الى الوسيلة التى تتحصل بها تلك المعرفة الحسية الا وهى الحواس الظاهرة ، متمثلة فى :

١ — حاسـة البصـر .　　　٢ — حاسة السـمع .

(١) د / عوض الله حجازى — فى تاريخ الفلسفة اليونانية ط ٢ ص ١١٦ .

٣ - حاسة الشم .　　　　٤ - حاسة الذوق .

٥ - حاسة اللمس .

ولما كانت تلك الحواس توصل معلوماتها الى الفؤاد ، باعتباره مركز تجميع تلك المعلومات وتجمع تلك المشاعر والحواس قال الله تعالى فيه :

" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (١) وهى معرفة يرفضها أفلاطون ، ويؤكد على عجزها عند الرغبة فى الامانة وأنها لاتمثل الا الادراك الحسى ولا تساوى الظن وقد سعى لهدمها وتفنيدها .

النوع الثانى : المعرفة العقلية :

وهى معرفة متميزة بالدقة والثبات والاستمرار مع الاطراد ، بجانب أنها معرفة يقينية جاءت من المدركات العقلية ، والعالم العقلى توسم بالوضوح والثقة فيهما والدقة التى يؤمن بها العقل ويحترمها .

لأنه يرى " أن المعرفة يجب أن تؤسس على العقل لا على العقيدة والايمان والظن الصادق يمكن أن يصدر عن الايمان والسفسطة بفن الخطيب ورجل البلاغة ، أما المعرفة فلا يمكن أن تصدر الا عن العقل (٢) " وهى معرفة بالمفاهيم الكلية الثابتة التى تعطى الحقيقة الموضوعية .

(١) سورة الاسراء الاية ٣٦
(٢) وولتر ستيس - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٥٧

والمعرفة بالمفاهيم المؤسسة عليها المؤمنة بالعقل ومن خلاله ، وهى المعرفة الأكيدة " لأن العقل هو ملكة المفاهيم " (١) وبالتالى يوثــــق أفلاطون عرى معرفته مؤكدا على أن المفهوم ليس مجرد فكرة فى العقل ،بل هو شىء له حقيقته الخاصة به " (٢) التى تتطابق دائما مع الحقيقة الواقعية للشىء ذاته ، وكما يقول البلاغيون مطابقة الحال لمقتضى الحــال أو مطابقة الخبر للواقع . بيد أن أفلاطون يشبعنا بمُثله فيفرق بين أمور ثلاثة :

الأمر الأول : ماله حقيقة كلية ونعنى به المفهوم الموجود فى العقل وخارجه

الامر الثانى : ماليست له حقيقة كلية بل هو مفرد تدركه الحواس — الأفراد .

الأمر الثالث: ماله حقيقة كلية موجودة خارج الذهن بعيدا عن العقــــل — بحيث يكون ما فى الذهن من مفهوم للمثال مجرد نسخة منه " وتلك المفاهيم التى لها حقيقة كلية خارج العقل هى مفاهيم موضوعية يسميها أفلاطون : المثل ..

= صفات المُثُل عند أفلاطون :

منح أفلاطون المثل عدة صفات منها :

١ — أنها جواهر ذات حقائق مطلقة وقصوى ووجودها الكلى فى ذاتهــــا ، كما أنها لا تتوقف على شىء بل كل الاشياء تتوقف عليها ، إنها تعتبـــر مبادىء الكون الأولى .

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨

(٢) المصدر السابق ص ١٥٨

٢ ـ أنها كليات تتجمع فى كلية واحدة لا مكان للجزئيات فيها لأنها مفاهيم كلية عامة تندرج تحتها مفاهيم أقل منها، كما تندرج تحت الأقل فردية فتمثل الحالات الجزئية الموجودة فى كل مُثُلٍ على حدة .

٣ ـ إنها أفكار موضوعية ذات حقيقة معينة تتمكن بها من تكوين ذاتية خاصة بها يحفظها لها استقلالها الذاتى بعيدا عن أى عقل سواء كان العقل بشريا أو الهيا .

٤ ـ أنها تمثل وحدة مستقلة لكل مثال على حدة ، بحيث تجمع فيه العناصر المشتركة التى تضم كل فئاته حتى لا يوجد الا مثال واحد لها كلها .

٥ ـ أنها دائمة ثابتة لا تفنى لأنها مفاهيم لا تقبل التغيير وان فنيت أو تغيرت أفرادها .

٦ ـ أنها ماهيات الأشياء جميعها " توجد فيها جواهرها التى تعرف بها بصرف النظر عن العوارض التى يمكن أن تطرأ عليها .

٧ ـ استقلال كل مثال بنوعه مع وجود الكمال المطلق الثابت فى عين حقيقته وأن اختلفت أفراده، المهم أن جميعهم إلى هذا النوع ينتسبون ومن ذلك المثال يشتقون .

٨ ـ أن المثل لا تحويها الأزمنة ، ولا تحدها الأمكنة ، إنها خارج الزمان والمكان لأنها لو احتواها المكان لكانت محددة مهما قلت من حيث الحجم ، ولو تمكنا من ذلك لكانت مفردة مشخصة وليست كلية وبالتالى

ثبت أنها ليست فى مكان ٠

ولو كانت تدخل تحت زمان لقبلت التغير والوقوع تحت الملاحظة والتجربة وهذا يدخلها فى نطاق العمل لا العقل ، انها لا تتناهى وخالدة وبالتالى فلا تخضع للزمان ولا للمكان أنها مُثل بعيدة تماما عنهما ٠

٩ — أنها لا تتعامل الا مع العقل ولا يستوعبها الا هو وبالتالى فهى عقلانية وليست حسية ولا مكان للعقل يجعلها مستقرة فيه الا كُمُثل تحوى العديد من الأنواع التى تتعلق بها ٠

١٠ — أن المثل " هى أولا العلة ، أى الاساس للأشياء الحسية — وهى ليست علة آلية — إن المثل هى الحقيقة المطلقة التى بها يجب تفسير الاشياء المفردة " (١) ٠

وبالرغم من أن أفلاطون قد احتاط لمُثله ووضع لها العديد من الشروط والمواصفات لتظفر بالفوز ولكنها لم تنله كله وانما وجهت اليها من النقودات ما عجزت فلسفته كلها عن الاجابة عليها، ولذلك فقد وجد النقاد له فرصتهم فى تطويع فلسفة أفلاطون وضمها مرة الى المدرسة المادية ومرة الى السوفسطائية وأخرى الى الروحية ورابعة الى السقراطية ٠

من ثم فان المثل هى التى تكوّن المعرفة الحقة اليقينية والعلم بها كذلك وبالتالى نستطيع تقرير أن المُثُل أنواع :

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٧

١ – مُثُل طبيعية : كالانسان والحيوان والنبات والنار والماء " باعتبارها أصولا ثابتة ٠

٢ – مُثُل رياضية : كالمربع والدائرة والواحد والمساواة " كمفاهيم هندسية رياضية قائمة بذاتها ٠

٣ – مُثُل قيمية : أى تدل على قيمة ، كالعدالة والشجاعة والخير والجمال " كأسس لتلك القيم ٠

٤ – مُثُل صناعية : أى خاصة بالمصنوعات الانسانية ، كالسرير والمنضدة " (١)

ويبدو أن هذه الأنواع لم تستوعب كافة المثل لأن هناك مثلا أخرى قائمة بذاتها فى عالم المثل ٠

وتسمى مثلا تكميلية كالروائح والعطور وما يتجمل به الناس من ذهب وقلائد أو لها أصول ثابتة كاللؤلؤ والمرجان ، كما أنه توجد مثل نصية ذكرتها الكتب المنزلة لكن لا وجود لها فى الخارج حقيقة كقوله تعالى " طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ " (٢) وقول المناطقة بوجود العنقاء ، وقول النحاة بوجود الغول ، فرغم وجود هذه المفاهيم فى الذهن الا أنه لا وجود لها خارجه ومع هذا يمكن أن تعتبر القاسم المشترك هو الوجود العقلى لها وبالتالى فهو الأصل الذى يدل على المثل أو تدل هى عليه ولم يذكرها أفلاطون ، بل خرجت عن مثله ، مما يجعل مثل أفلاطون غير وافية ٠

(١) الدكتور / صلاح عبد العليم – دراسات فى الفلسفة ص ٢٤١ ٠

(٢) سورة الصافات الآية ٦

= علاقة المثل بالمعرفة :

المتابع للمعرفة عند أفلاطون يلاحظ وجود صلة وثيقة بينهما وبين فكرة المثل ، بحيث لو تدبرها بعمق لتبين له أن المثل تكون جزء من المعرفة لأن المفاهيم الموضوعية الكلية الموجودة في المثل هي علة الحكم على الأشياء المحسوسة الموجودة في الخارج وبالتالي لا بد أن تكون تلك المفاهيم الكلية معقولة في العقل حتى يتمكن العقل من الحكم على الأجزاء المتغيرة بأنها نسخة من الثابتة المؤكدة ، ووجودها في العقل يسبق الادراك الحسى لها " وعلى ذلك رأى أفلاطون كما تقدم أن العالم المعقول الخارجي — المثل — هو مصدر هذه الكليات الحاصلة في العقل " (١) والتي بها تتكون المعرفة الانسانية .

اذن المعرفة والمثل يتكاملان بحيث تعتبر المعرفة فطرية في النفس الانسانية ، لكن ليست معرفة على وجه الكمال والا لتمت المساواة بين الطفل والكهل والعالم والجاهل ، وانما الموجود هو الاستعداد الفطرى لكل منهما ومحاولة تكمل كل منهما بالمعرفة وتجملها بالمثل .

لكن تبقى نقطة مهمة تصور لنا على وجه الخصوص قيمة العلاقة بين المثل والمعرفة ألا وهى أيهما يسبق الآخر ويؤثر فيه ؟

والجواب أن المعرفة فطرية والمثل فطرية لكن المعرفة تسبق المثل الى الذهن البشرى بحيث تتم المعرفة أولا ثم تأتى بعدها عملية الاستيعاب للمثل

---

(١) د / صلاح عبدالعليم دراسات في الفلسفة ص ٢٤٢

لأن المثل مجردة ومفاهيم موضوعية فلا تأتى الا بعد أن يتمكن الذهن من تجميع قدراته ، وتكوين ملكاته ، وتحديد المراد من طرق اكتساب المعرفة ولا يكون ذلك بالبداهة انما بالتمرين والممارسة والاكتساب وهو طريق معرفة المثل والتحقق منها ، ونظرية المثل تنبث فى ثنايا العلوم الطبيعية كما هى فى الميتافيزيقا سواء بسواء .

النوع الثالث : المعرفة الظنية :

وهى فى الأصل تلى مرحلة الاحساس أو معرفة الحس أو الادراك الحسى لأن الفكر عادة ما يبحث فى الحسى أولا من حيث معرفته ثم يرقى بعد الادراك الحسى الى العالم الظنى أو الادراك الظنى ، والذى يمثل مرحلة وسطى بين المدركات الحسية والاستدلال العقلى ، أو العلم الاستدلالى القائم على المسلمات والقضايا الرياضية ، ويختص هذا النوع من المعرفة بالحكم على المحسوسات المتغيرة والقابلة للتغيير ، سواء كان ذلك فى العلوم الطبيعية أو ما يقوم مقامها ، وهى معرفة ظنية على أحسن تقدير .

النوع الرابع : المعرفة الاستدلالية :

وهى فى حد ذاتها أقرب الى علم الماهيات المجردة أو التعقل الا أنها تختص بالماهيات الرياضية المنتزعة من المحسوسات أو تتحقق فيها كما هو الحال مع علوم الارقام والرموز ونعنى بها الحساب والهندسة ، والتى يعتبر موضوعها دائما هو الصور الكلية ، ولا يستخدم الفكر فيها الصور المحسوسة إلا كوسيلة

مجردة لايقاظ المعانى الكلية ، ومع هذا فان تلك المعرفة الاستدلالية الرياضية هى أرقى ، من حيث القوة والثبات ، من المعرفة الظنية وأقل من المعرفة العقلية أى لا يأتى بعدها الا اليقين المطلق ، ونعنى بها معرفة الماهيات المجردة من كل مادة .

بقى أن نقول أن أفلاطون تأثر كثيرا فى منهجه بسقراط خاصة جانب التهكم وجانب التوليد أو جانب الايجاب وجانب السلب ، بحيث تمثل نظرية المُثل بالنسبة له جانب الايجاب جانب البناء،بينما تمثل المعرفة الحسية والظنية جانب السلب الذى عانى منه أفلاطون كثيرا كما عانى منه سقراط من قبل .

بيد أن أفلاطون قد استخدم لذلك المنهج طريقة خاصة به هى طريقة الجدل حيث يقرر " أن الجدل هو تاج المعرفة " ، والمعرفة هى تاج الحياة " (١) وقد استمر أفلاطون يؤكد على قيمة الجدل حتى فى جمهوريته وعرّفه " بأنه المنهج الذى يرتفع به العقل من المحسوس الى المعقول دون أن يستخدم شيئا حسيا ، بل بالانتقال من معان الى معان بواسطة معان وفى موطن أخر من الجمهورية أطلق الجدل على معنى خاص هو العلم اليقينى والفلسفة الحقة " (٢) .

ويكفى أفلاطون أنه أول من أشار الى فنية الجدل،وأنه وسيلة المعرفة الحقة ، وأنه منقسم الى قسمين :

---

(١) وولتر ستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٧٤

(٢) د / صلاح عبد العليم — دارسات فى الفلفسة ص ٢٤٤

١ ــ الجدل الصاعد وهو ارتقاء الفكر من عالم الحس الى عالم العقل والمثل حتى ينتهى الى مثال الخير بالذات •

٢ ــ الجدل النازل ويراد به حركة الفكر فى هبوطه من المثل مرة أخرى ، إلى عالم الحس " (١) ومعنى ذلك أن عملية الجدل تظل باستمرار ، ترتفع حينا وتنخفض أخرى تتم عملية استرجاع المحسوسات الى المعقولات حتى تصير الكثرة واحدا أو تنتهى الى مبدأ واحد فى عالم المثل معقول وهو المثال الأعلى وتلك غاية الجدل الصاعد •

ثم تعود الحركة من جديد إلى تفريق الكثرة وتوزيع ذلك المبدأ الأول والمثال الأعلى الى أنواعه وأفراده بغرض التأكيد على أن مرحلة الجدل الصاعد قد تمت بنجاح وانتهت بتوفيق ، ولا يكون ذلك الا اذا تأكدنا أن المثال الأعلى ينطبق على كل الأنواع التى اعتبرت داخلة فيه وتلك مهمة الجدل النازل ، كما أن أفلاطون هو أول من استخدم طريقة الحوار أو المنولوج النفسى بغرض الوصول الى المعرفة وذلك كله فى محاوراته التى بيَّن من خلالها فلسفته المعروفة •

= نتائج ختامية :

لا شك أن السير فى فلسفة أفلاطون شاق وعسير وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ عدم وجود مصادر أصيلة يمكن الاعتماد عليها منسوبة لافلاطون نفسه أو تعذر الوصول اليها •

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٥

٢ — أن أغلب الباحثين عنه أو فلسفته يعتمدون على النقل من بعضهم بصورة أو أخرى ، وربما يكون النقل بغرض ادانته أو ابراز سبقه لغيره ، وبالتالى تكون هناك نية مسبقة على العمل نفسه .

٣ — أن النسبة الكبيرة منهم تصب جهودها على ابراز تأثيره فيمن سبقه وربما اعتمدوا فى ذلك على قول أرسطو تلميذه الذى يقرر فيه أن — أفلاطون " قد أخذ بحق من بارمنيدس الايليالى فكرة الوجود المطلق المجرد عن المادة وطبقها على المثل ، وأخذ من هيراقليطس فكرة التغير المستمر وطبقها على المحسوسات ، وأخيرا أخذ من سقراط نظرية المدركات العقلية " (١) وكأن أفلاطون لم ينتج شيئا الا التلفيق بين النظريات أو التوفيق بين الأفكار وهذا فى حد ذاته ظلم للرجل واتهام سابق لأوانه ، ولماذا لا يعتبر ذلك من باب توارد الخواطر ؟

ونفس هذا الاتهام يعلنه ولتر ستيس فيقول " وقد لاحظ أرسطو أن نظرية أفلاطون فى المثل لها ثلاثة مصادر هى تعاليم الايليين، وتعاليم هيراقليطس وتعاليم سقراط ، لقد أخذ أفلاطون من هيراقليطس فكرة مجرد الصيرورة ، وهى تبدو فى مذهبه على أنها عالم الحس ومن الايليين أخذ فكرة مجال وجود مطلق ، ومن سقراط أخذ مذهب المفاهيم وشرع فى التوحيد بين الوجود المطلق الايلى والمفاهيم السقراطية ، وأعطاه هذا نظرية المثل " (٢)

---

(١) د / عوض الله حجازى فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٢٣

(٢) ولتر ستيس — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

وكأني بأفلاطون يقف أمام الجميع يناديهم أن انهضوا الى ابحاثي الفلسفية وجيلوا النظر اليها بعين القاضي الواعي ، لا بعقل الخصم الطاغي وسوف تجدون أن الفيلسوف الملك — أفلاطون قد ترك أثرا فلسفيا رائعا في محاوراته وأفكاره وآرائه تؤكد أصالته كمفكر اغريقي أصيل له من الجدة بقدر ما في أبحاثه من الابتكار ، وله من الاصالة بقدر ما لدى ابحاثه من العمق والرواء .

ويكفيه أنه طوع المصطلحات الفلسفية لأسلوب الحوار الادبي الرائع الذي يجعل الأفكار أمام الناظر كأنها تداعبه أو ترجوه اقترابا ، كما أنه صور الجدل بصورتيه التي تطلان على نافذة الطرق الاقناعية فتراها تأخذك من الافراد الى الكليات ، وتنقلك من الكليات الى سائر أفرادها وهي نفس طريقة ديكارت التي أخذ بها وسماها طريقة التركيب والأخرى التي جعلها طريقة التحليل ، وما الجدل في صورتيه الا صورة أصيلة كما نادى به ديكارت الفرق الوحيد بينهما أن أفلاطون في جدله يهدف الى عموم الكليات ووجودها في الذهن وتحققها في الخارج بينما هدف ديكارت أن يحلل أفكاره ليؤكد صدقها ثم يركبها ليضمن سلامتها مع مطابقتها للواقع الخارجي، حيث يقرر ديكارت هذا بقوله :

الثاني " أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها الى أجزاء على قدر المستطاع ، على قدر ما تدعو الحاجة الى حلها على خير الوجوه ، الثالث أن أسيّر أفكاري بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج

قليلا قليلا حتى أصل الى معرفة أكثرها تركيبا ، بل وأن أفرض ترتيبا بين الأمور التى لا يسبق بعضها الآخر بالطبع " (١) ومع هذا لم يقل أحد إن ديكارت تأثر بأفلاطون رغم وجود الأثر وظهوره على أفكاره ، فهل حان الوقت لتتحقق العدالة بين الناس ولو فى أفكارهم ، أم أن ظلم الموتى أمر قرّ ، وعرف أستقر ، وقد قال الشاعر :

لا تظلموا الموتى وان طال المدى

إنى أخاف عليكموا أن تلتقوا .

---

(١) رينيه ديكارت مقال عن المنهج ترجمة الاستاذ / محمود الخضيرى ص ١٩١ ، ١٩٢ .

صـــــــور التشـــــــابه والاختـــــــلاف

بيـــــن

بارمنيدس و افلاطـــــون

تمهيـــــد :

يعتقد كثير من الباحثين فى ضرورة تاثر افلاطون بغيره ، وقد يمتـد هذا الاعتقاد حتى ليتصور القارئ ان افلاطون اجزاء مبعثرة من هـــذا الفيلسوف او ذاك جمعت كلها فى فكر افلاطون أو ان أفلاطون هو الملتقى الذى تجمعت لديه شوارد افكارهم ، بالتالى فلا مكانة فى التفكير الفلسفى ولا خطر له من الانتاج العلمى ولا نصيب له فى المشاركة الايجابية لحـل معضلات الكون والحياة .

ورغم ان هذا الرأى غريب على الدارسين المحققين ، إلا انه يمثـل وجهة نظر شاذة ، لا وزن لها ولا أثر يترتيب عليها ، لأنه صار من المعلوم حقيقة ، ان صاحب المدينة الفاضلة او الجمهورية العقلية — التى أثـرت فى فلاسفة الاسلام بخيالها الخصب فألهمت الفارابى خيوط مدينته الفاضلة وترسبت فى حنايا الفكر الثورى الحديث فجعلت فرنسيس بيكون يعيش فــى مناخها مع اطلنطس الجديدة ، قد شارك فى مسيرة الفكر الانسانى بالقـدر الذى اتيح له من القوة والجدة والابتكار .

ولئن كانت تلك الدراسة قد قصد بها اظهار اوجه التشابه والتاثيـر بين بارمنيدس وافلاطون فقد قصرنا الامر فيما يتعلق بافلاطون على الوجـود والمعرفة فقط تاركين بقية فلسفته الخصبة إلى عمل آخر حتى لا يفلت منـا الوقت وبخاصة ان بارمنيدس لم يعثر الباحثون فى فلسفته عن مكان لمبحـث

القيم . ومادام الامر يتعلق بموضوع العلاقة بينهما فقد خصصنا البحثين بالدراسة ونعنى بهما مبحث الوجود ومبحث المعرفة ، لنتعرف على ملامح الابتكار من معالم التاثر ، ونستبين الجدة من النقل .

لكن تبقى نقطة يحسن ذكرها هى ان افلاطون قد نسج خياله فى الجمهورية فتمخض عنها عدد من المدن والمجتمعات الفاضلة منها على سبيل الذكر :

١ — المدينة الفاضلة للفارابى الفيلسوف المسلم .

٢ — مدينة ابن سينا للشيخ الرئيس الفيلسوف المسلم .

٣ — جزيرة ابن طفيل منشأ حى بن يقظان لابن طفيل ، العالم المفكر المسلم الاندلسى .

٤ — دولة ابن خلدون — العالم الفيلسوف المسلم .

٥ — اطلنطس الجديدة . فرنسيس بيكون الفيلسوف الانجليزى التجريبى .

٦ — يوتوبيا . توماس مور ترجمه الى العربية د / انجيل بطرس سمعان ونشرته دار المعارف بمصر .

٧ — الأمير . ميكافللى

٨ — مدينة الله . القديس أوغسطين .

٩ — مدينة الله . للفيلسوف ليبنتز

والجميع يشتركون فى الاخذ من منبع واحد والاختلاف فى التفاصيل والنتائج ولعله حب الحكمة الذى اوقعهم فى ذلك لأن " حب الحكمة

كالشمس يبزغ نوره في الشرق ثم ما لبث أن انتشر تجاه الغرب " (١)

(أ) صور التشابه

١ — يقرر بارمنيدس أن العالم المعروف لنا عن طريق الحواس — عالم الحس — غير حقيقي ، وهي مجرد مظهر إنه لا وجود له ، والوجود وحده هو الحقيقي " (٢) وهو نفس ما يقرره افلاطون من أن الادراك الحسي لا يمثل معرفة حقيقية وأن الوجود المدرك عن طريق الحواس هو عالم وهمي أيضا طبقا للمعرفة الآتي عن طريقها .

٢ — يقرر بارمنيدس أن الحواس " مصادر كل وهم وخطأ ، ولا تكمن الحقيقة الا في العقل " (٣) وهو نفس ما يؤكده افلاطون حيث يرى أنه لا بد " من الاعتقاد بوجود عالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله ، هذا العالم المعقول هو عالم المثل وتتميز المثل بأنها تدرك بالعقل الصرف " (٤) .

٣ — أتهم بارمنيدس بأنه جدلي يتزعم المادية مرة فيقرر أن الوجود كروي ، وانه محدود، وأنه متناه ، ثم يأتي مرة أخرى فيتزعم المثالية ويقرر

---

(١) هنري توماس — أعلام الفلاسفة وكيف نفهمهم ؟ ترجمة متري أمين ص ٦٧
(٢) وولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٩ (٤) د / صلاح عبد العليم دراسات ص ٢٤٠

ان الوجود فكر تجريدي أساسا إنه مفهوم ، بمعنى إنه فكرة عامة كلية وجودها في الفكر ويمكن تصورها بشكل مادي حسي .

وهو نفس ما اتهم به افلاطون رغم أن اليونان يبالغون في افلاطون ويعظمونه ويقولون كان مولده إلهيا ، وكان طالعه طالعا جليا " (١) فقد اتهم بالمادية مرة والمثالية اخرى ، اذن هناك تشابه حتى في مجال اتهام كل منهما .

٤ — استخدم بارمنيدس اسلوبا للقصة والحبكة الفنية واستخدام الصور في شكل شعري من خلال كتابه " في الطبيعة " الذي يعتبر بحق قصيدة عصماء تمكن خلالها بارمنيدس من التعبير عن افكاره الخاصة ومبادئه الفلسفية .

وبنفس الطريقة قام افلاطون في الجمهورية والمحاورات التي كان يجريها مرة على لسان أشخاص ، وأخرى على لسان أحداث فنالت اعجاب الجميع حتى بزّ زملاءه وانتصر على سابقيه .

٥ — استخدم بارمنيدس طريقة الاساطير الشعبية التي سارت الاغريق للتعبير عن فكره والابانة عن أهدافه ومثله فعل أفلاطون الذي توسع فيها كثيرا وكانت تمثل بالنسبة له رموزا فنية يحركها بصورة تلقائية الى حيث يريد كما في اسطورة العربة التي يقودها سائق وهو العقل

---

(١) اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥

ويجرها جوادان هما الشهوة والارادة الخيرة والعربة هي البدن الانساني نفسه ، وهكذا وجدنا صورا عديدة من التشابه بين الفيلسوفين الكبيرين بارمنيدس وأفلاطون فما هي صور الاختلاف ؟ .

(ب) صور الاختلاف

١ ـ تنحصر فلسفة بارمنيدس في مبحثي الوجود والمعرفة ، بينما يبسط افلاطون فلسفة شاملة في الوجود بألوانه وانواعه ، والمعرفة بدرجاتها ومصادرها وأنواعها ، والقيم بكل ما فيها من خير وشر وجمال وفن وسياسة بحيث تعتبر فلسفة بارمنيدس فلسفة إيلية خاصة بينما فلسفة افلاطون فلسفة كلية عامة وشاملة .

٢ ـ منهج بارمنيدس قائم على الملاحظة والنقلة والتغير وهو منهج طبيعي ينحصر في موضوعاته . أما منهج افلاطون فقائم على الرياضة العقلية والمعرفة الاستدلالية والتعقل الحر المستقل في اسلوب ادبي هادئ حتى ان اسلوبه يتدفق كأنه السيل العذب كأنه الشعر ، والاخاذ كأنه السحر ، والفاتن كأنه شيطان الاستغواء أو شبح الاستهواء لم ينزل بالفكرة العالية الى أرض التهاون أو دنيا الاستهتار وانما احتفظ بمنزلته العليا في سماء الجدية والرفعة والجلال " (١) وليس بارمنيدس كأفلاطون في هذا الخصوص .

---

(١) د / محمد غلاب ـ الخصوبة والخلود لافلاطون في انتاجه ص ٨٦ ، سلسلة مذاهب وشخصيات ـ الدار القومية .

٣ ـ المعرفة عند بارمنيدس نوعان ـ كما سبق بيانه ـ اما عند افلاطون فهى أنواع اربعة أدناها المعرفة الحسية واعلاها التعقل وليس الأمر كذلك عند بارمنيدس .

٤ ـ الوجود عند بارمنيدس نوعان وجود مفاهيم وهو الوجود الحقيقى ووجود متغيرات ، وهو الوجود الوهمى الظنى، أما عند افلاطون ، فالوجود أنواع ثلاثة ، وجود المثل ، ووجود المفاهيم العقلية ثم وجود الأنواع المتغيرة والأجزاء المتكاثرة .

٥ ـ استخدم بارمنيدس طريقة مباشرة حين أراد أن يبنى فلسفته أما أفلاطون فقد تأثر بسقراط فى طريقته المنهجية القائمة على التهكم ، والتوليد وسماها أفلاطون الجدل الصاعد والجدل النازل ، وهذا لا وجود له عند بارمنيدس ، ولم تعرفه المدرسة الايلية .

٦ ـ قصر بارمنيدس فلسفته على ما استقر امام عينيه اما افلاطون فقد ذهب الى ما هو أبعد بكثير من القرن الذى عاش فيه بل تخطاه الى قرون لاحقة ، وأفاض فى كل من التربية والاخلاق وشئون الاسرة والجيش والسياسة حتى الخيال الحار الذى تدفق رغما عنه فى الجمهورية الافلاطونية مما دفع روسو الى القول " بأنها اجمل سفر فى التربية خرج من يد بشر " (١) .

---

(١) ارسواميل ـ ترجمة د / نظمى لوقا ص ٣٠

٧ - أن أفلاطون فنان وملك بجانب انه فيلسوف وتلك صفات شخصية تمتع بها ولكن بارمنيدس لا يملك من ذلك كله الا انه فيلسوف وكفى .

٨ - لم يذكر بارمنيدس قضية الالوهية الا عرضا حتى ان الباحث لا يعثر عليها فى فلسفته الا بجهد جهيد بينما تراها ماثلة فى فلسفة أفلاطون حتى سمى بأفلاطون الالهى " وقد أكد أفلاطون ضرورة البدء فى التربية بالاعتقاد بأن الله هو أصل كل خير وهو الفائق جلالا وسموا ، وهو ذو الجلال والاكرام " (١)

ويبدو لى ان أفلاطون لم يعرف لفظ " الجلال والاكرام " لأنه مفهوم اسلامى فى أكمل معانيه وردت به الاسماء الحسنى فى الحديث المشهور ، ويخال إلى انه سبق قلم إليه سبق ، أما أفلاطون فكان يميل الى التأكيد على فكرة الالوهية كقضية اساسية تحمل الانسان الى الخير الاسمى . وهو قريب جدا من الافكار الاتحادية فى التصوف الذى يقول بها عند اليونان والمسيحيين وغيرهم .

---

(١) الدكتور / محمد سيد احمد المسير - المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الاسلام منه ج ٢ ص ٢٢٨ / ٢٢٩ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، وهى نفس رسالته للدكتوراة بكلية اصول الدين بالقاهرة .

هانحن قد طوفنا بالفكر اليونانى فى مراحل متفاوتة من المدرسة الأيلية الى الأفكار السقراطية ، ومن المباحث المادية الى الأبحاث الميتافيزيقية ، ومن الطبيعة بأجزائها وكلياتها الى ماوراء الطبيعة بقضاياها وأقضيتها ، وانتهينا الى بعض النتائج التى نرى أنها كانت وليدة فكر متحرر من أية نزعات شخصية ٠

وأحسب أن ما انتهت اليه الدراسة من نتائج ، وان كان على عجل لضيق الوقت و ظروف طرأت — فان تلك النتائج ربما اعتبرت ومضات على الطريق الفلسفى من بارمنيدس الى أفلاطون ، ورغم صعوبة الترحال وكثرة الرغبة فى تخطى الوعور والجبال ، فان تلك النتائج هى كل ما تمكن الباحث من الوصول اليه مع ما تكبده من معاناة وصبر وأناة ، فان تكن النتائج موفقة فمن الله وان تكن الثانية فمن النقص المركوز فى الطبيعة البشرية ومازلت أردد قول الحق جل وعلا " ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب " ٠

وبعد ،

فها أنت أيها الفيلسوف الصغير ، المفكر الكبير ، قد صحبتنا رحلة قضيناها معا على صدور صفحات فكرية ، نتأمل ماخلف السطور ، فهل توافقنا على استكمال المسير ؟ أم تتخلى وتتعلل بالتقصير ؟!!

أما أنا فمزمع الرحيل الى أثر اسلامى خالد هو المعرفة عند أبن رشد ٠

((نظرية المعرفة عند ابن رشــــد))

أطلقت لفظة المعرفة ولفظة العلم على معنى يكاد أن يكون واحدا ، فهما تطلقان على المباحث العامة والخاصة التى تعنى بطرق تحصيل العلم وكسب المعرفة ، وتهتم بابراز الوسائل المفيدة فى تحقيق العلم وكسب المعرفة وكذلك تطلقان على سائر الدراسات التى تتعلق بمادة العلم الانسانى على العموم .

بيد أن أغلب الدراسات تطلق على هذه وتلك اسم " نظرية المعرفة " ويبذلون فى ذلك سبلا شتى بقصد تعريفها، وبيان مصادرها، وتقسيم موضوعاتها، بل وتقسيمها بين معرفة الهية واخرى انسانية،ثم بيان وسائل تلك المعرفة، ومناهجها، وطبيعة كل منهج وحدوده ، ثم الانتهاء بعد ذلك كله الى بيان الهدف منها جميعا .

من هنا نشطت الدراسات العلمية فى القديم والحديث ، والشرق والغرب على السواء بقصد تحديد الموضوع وبيان أسسه وأول من رمى فيه بسهم أو رسم فيه بخط ، وحاول البعض اصدار أحكام فيها من التسوع أكثر مما فيها من التثبيت ، ومعها من القلق والاضطراب اكثر مما تحوى من الاستقرار والهدوء بل وصل الامر بالبعض من خلال نظرة تعصبية الى محاولة اقامة دعاوى فضفاضة على أدلة جدلية لا تقوم على قدم ولا تُحْمَل على ساق .

وتلخصت أغلب أحكامهم أو انحصرت فى أن المعرفة الانسانية بكل ما فيها من أبحاث تحمل من الدقة والانسجام، لامكان للعرب فيها عامة ولا للمسلمين، سواء كان المسلمون من جنس الفلاسفة أو المتكلمين أو من أكابر العلماء أو الباحثين ، وانما حاول كل منهم أن يطوى المعرفة فى صفحات بحوث أخرى حتى ان الكندى جعلها فى اطار دراسة النفس، والفارابى وابن سينا جعلاها فى ثنايا ابحاث المنطق لينتهوا الى أن " جون لوك" هو المؤسس الحقيقى لنظرية المعرفة وأنه هو الذى وضع هذا البحث فى صورة العلم المستقل خصوصا بعد أن نشر كتابه " مقالة فى التفكير الانسانى عام ١٦٩٠ الذى يعد من أول البحوث العلمية فى الحديث عن :

١ — أصل المعرفة وما هيتها ٠

٢ — أهميتها والهدف منها ٠

٣ — منابع تلك المعرفة ٠

٤ — درجات اليقين فيها ٠

ويمثل هذا الرأى " أزفولد كوبله " (١) ويشايعه عدد من الباحثين المعاصرين أمثاله فى الرأى من أساتذة الفلسفة المعاصرين فى مصر على الخصوص (٢) ٠

---

(١) كوبله — المدخل الى الفلسفة ص ٣٨

(٢) د / يوسف كرم وكتابه تاريخ الفلسفة الحديثة — الدكتور الشنيطى ونظرية المعرفة ، الدكتور / زكى نجيب محمود المعرفة، وكذلك ول ديورانت وجون لويس وآخرون ٠

الا أن هذا الرأى وان اعتمد على ظواهر شُبَهٍ فانها لاترقى حتى تصير دليلا لهم أو حجة على غيرهم،بل العكس من ذلك تماما فقد ظهرت الدراسات العديدة الفلسفية والأصولية والكلامية عند المسلمين من أول عهد التفكير العلمى الفلسفى أو الأصولى،بل ان اللغة العربية قد حفلت بالكثير من الحديث عن المعرفة فى كافة نواحيها،ودرجاتها،وكان المسلمون اليها أسبق من غيرهم بمراحل عديدة،كما أنهم بحثوا فى كل جوانبها وعالجوها كنظرية ومشكلة ٠

بل ان البعض تَغَنَّى بها قديما ، وجعلها فى صورة قضايا فكرية حتى تصوَّر نوعا من الخلاف بينها وبين العقل يحتاج الى حل حاسم وكأنه قضية طويلة الزمن تليدة فى الخلاف فها هو يقسم العقل إلى ثلاثة أوجه وكلها تؤدى الى المعرفة :

١ — " عقل مولود مطبوع "

وهو عقل بنى آدم الذى به فضل على أهل الأرض وهو محل التكليف والأمر والنهى وبه يكون التدبير والتمييز ٠

٢ — والعقل الثانى : هو عقل التأييد :

وهو الذى يكون مع الايمان معا ، وهو عقل الأنبياء والصديقين ، وذلك تفضل من الله تعالى ٠

٣ — والعقل الثالث : وهو عقل التجارب والعبر :

وهو ما يأخذه الناس بعضهم عن بعض ، ومن هذا قول من قال " ملاقاة

الناس تلقيح العقول " وقال بعض أهل المعرفة " مقدار العقل فى المعرفة كمقدار الابرة عند ديباج أو خز فإنه لا يمكن لبس ديباج ولا خز إلا أن يخاط بالابرة فاذا خيط بالابرة فلا حاجة بها — الى الابرة.كذلك تنضبط المعرفة بالعقل ، لا أن المعرفة تحصل من العقل أو تثبت فيه " (١) اذن علماء المسلمين قد بحثوا فى المعرفة وكتبوا عنها بحوثا مستقلة،وذكروا لها أحكاما عديدة ،لا تخلو من جدة وطرافة،وأطرف ما ذكر منها هذا المثال المعبر يقول القائل :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا ... من ذا الذى منهما قد احرز الشرفا

فالعلم قال أنا أحرزت غايته ... والعقل قال : بى الرحمن قد عرفا

فكشف العلم عن بعض محاسنه ... وقال بأينا الرحمن فى قرآنه اتصفا

فبان للعقل أن العلم سيده ... فقبل العقل رأس العلم وانصرفا (٢)

كما أنهم فرقوا بشكل قاطع بين المعرفة العامية التى تعتمد على ملاحظات الحس وتصور الخيال والتى هى قاسم مشترك بين عامة أفراد البشر والتى تمثل ادنى درجات المعرفة من حيث البساطة وعدم اليقين ، وبين تلك الأخرى التى يمكن تسميتها بالمعرفة العلمية الخاصة بطائفة العلماء والحكماء ، وهى معرفة علمية لأنها تقوم على الملاحظة الدقيقة والبراهين العقلية التى

---

(١) الامام جلال الدين السيوطى — صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام جـ ١ صـ ٢٣٥ تحقيق د / على سامى النشار ، السيدة سعاد على عبد الرازق سلسلة احياء التراث الاسلامى .

(٢) الامام السيوطى — الأشباه والنظائر فى فروع فقه الشافعية جـ ٣٥٠

لا يجحدها الا مكابر أو جاهل لأنها تمثل معرفة علمية فيها من الثبات ما يجعلها مفيدة فى تقدم العلوم وتطورها ، كما أنها مفيدة فى اصدار الأحكام الفقهية على عامة الناس من خلال قضايا تعرض فيما يتعلق بأفراد فيؤخذ منها حكم كلى ينطبق على جماعات كثيرة .

كما أنهم فرقوا بين هذه وتلك التى تنشأ عن مزيد من التأمل وكثير من العبادة ، التى تمثل لأهل الكشف فتحا ، وهى المعرفة الكشفية والتى عبر عنها ابن مسعود حين قال " ليس العلم بكثرة الرواية ، انما هو نور يقذفه الله فى القلب " (١) ولعل الامام القشيرى كان يعبر عن المعرفة بالعلم والعلم بالمعرفة على مقصوده من العلم اللدنى والمعرفة الكشفية فتراه يقول "المعرفة على لسان العلماء هى العلم ، فكل علم معرفة وكل معرفة علم ، وكل عالم بالله تعالى عارف ، وكل عارف عالم " (٢) ثم ان " المعرفة هبة وعيان بصير "(٣)

اذن منكر أن علماء المسلمين كان لهم دور بارز فى تكوين المعارف الانسانية أو حصاد قيّم فى نظرية المعرفة ذاتها هو واحد من اثنين :

١ — اما جاهل بما لهم من آثار علمية فيما يتعلق بتلك التى هى محل النزاع — نظرية المعرفة — وهذا لا يعذر لأن الأبحاث العلمية تنشر فى كل مكان ، وتباع بسعر زهيد ، وتطوف أرجاء المعمورة فى وقت قليل جدا وبالتالى فلا يقبل منه الجهل كما لا يعذر به .

---

(١) مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢١٩
(٢) الامام القشيرى الرسالة القشيرية ص ١٥٣
(٣) ابن القيم مدارج السالكين ج ٣ ص ١٦٥

٢ — اما كاره مذم يعيش فى حنايا ه موض الكبير، وسوطا ن التعصب، وتنطوى نفسه على كفر صراح، وكذ ب بواح، فهذ ا لا يسمع له، لأنه العد و د ائما حكمه مرفوض طالما لم يقد م أد لة تسند حجته، أو منطقا مقبولا يشفع له ، ومثل هذ ين لا تقبل منهم نتيجة ولا يشفع لهم شافع .

أما رأى المنصف الذ ى يقد م قضيته مستند ة الى منطق سليم ونتائج مقبولة فهو ما بين أيد ينا من نصوص وما حولنا من قضايا وتراث ما تزال البشرية تفاخر به وتزهو ، ويمثل ثروة هائلة من انتاج المسلمين الفكرى ويكشف الباحثون النقاب عنه يوما بعد يوم بما يبرز للمسلمين من عظمة ويثبت لهم من ابتكار وجد ة .

وابن رشد الاند لسى فيلسوف قرطبة وقاضيها ، واحد من أولئك الذ ين استفاد منهم الغرب والشرق على السواء ، فيما يتعلق به فى الفيزياء، أ و الميتافيزيقا، أو العلوم الطبية، كما لا يمكن لباحث أن ينكر جهد ه فى ميد ان أصول الفقه الذ ى ترك لنا فيه " بد اية المجتهد ونهاية المقتصد " .

ولئن كان أبو الوليد قد غاد ر عالم الحياة الساخرة الى عالم البقاء الأبد ى ، فان تراثه الفكرى ما يزال بيننا يشهد للرجل بأنه سبق عصره بل والعصور التى تلته ، وترك للناس من بعد ه مجهود ا كبيرا فى نظرية المعرفة الانسانية ، كما ترك غيرها فى الكثير من فروع العلم المختلفة ، وكانت له اليد الطولى .

ولما كانت هذه الدراسة عن نظرية المعرفة عند ابن رشد ، فقــــد خصصتها للمعرفة عنده دون زيادة الا ماتقتضيه ضرورة البحث العلمـــى من تأصيل الفكرة والعودة بها الى منابعها الأصيلة ، وهذا ما قمت عليـه فى هذا البحث ، فان أكن وفقت فمن الله ، وما توفيقى الا بالله ، وان تكن الثانية فحسبى أنها عجالة ساقت اليها الأقدار على أمل أن أصـــلح ما فاتنى،إن أمد الله فى العمر،وبسط الرزق،وهو حسبى ونعم الوكيـــل، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ٠

((الفصـــل الأول))

ماهـــــي المعرفـــــــــة

اختلف الباحثون فى تحديد معنى المعرفة ، تبعا لاختلافهم فى موضوع البحث الذى يريدونه ، فمنهم من اعتبرها مرادفة للعلم ، ومنهم من جعلها أعم منه وأشمل ، ومنهم من أعتبرها أخص منه وأقل، مما يجعلنا نفحص عنها فى اللغة لأن المناطقة مثلا يقررون مرادفة العلم للمعرفة وأن العلم " يراد به ما يرادف المعرفة " (١)

= قال الجرجانى :

" المعرفة : ما وضع ليدل على شئ بعينه ، وهى المضمرات والأعلام والمبهمات وما عرّف باللام ، والمضاف الى أحدهما ، والمعرفة أيضا ادراك الشئ على ما هو عليه ، وهى مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف " (٢) وبالتالى فان : العلم أشمل من المعرفة وليس العكس .

= وقال الزمخشرى :

" المعَرْفة بالفتح الهامة وعن سعيد بن جبير قال : ما أكلت لحما اطيب من معَرْفة البرذون " (٣) وهى بالفتح تعنى المودة والمشاعر الداخلية ومنه قولهم " هاجت معارف فلان اى موداته التى كنت أعرفها كما يهيج الزرع "

(١) د / محمد شمس الدين ابراهيم تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية ط ٣ جـ ١ ص٦ مطبعة دار التأليف .
(٢) السيد الشريف على بن محمد الجرجانى التعريفات طبعة الحلبى ص١٩٧
(٣) الامام الزمخشرى أساس البلاغة جـ ٣ صـ ٢٩٩ ط بيروت دار المعرفة .

وتطلق كذلك على تغطية الرأس خوفا من شر قادم ، أو بعد موت صاحبها أو خشية أن تصله آثام الناس ، ومنه يقال للقوم اذا تلثمـــوا غطوا معارفهم "

ومنه قول ذى الرمة فى وصف ريح عاتية لا يتمكنون من دفع شرها ، رغم أنها تعتدى عليهم وتلوث فيهم من كل ناحية ، سواء من الرأس أو العين والمحاجر والآفاق فيقول :-

تلوث على معارفنا وترمـــى   محاجرنا شآمية ســـموم (١)

وقال الشاعر الملقب بالراعى : وهو يصف أنواء من شدتها استرقت منهم الأسماع فلم يعد لأحدهم بدٌّ من الخضوع لها من رعشات متواليات تصيبه خوف الهلاك فتنثنى لها الأوتار والجوايا فيقول :

متخمين على معارفنـــا   تثنـى لهن حواشى العصب (٢)

اذ ن المعرفة مشترك لفظى يفرق بين معانيه بالفتح أو الكسر لحرف الراء فى معرَفة ومعرِفة .

ويفرق بين معانيه كذلك بحسب ما تقتضيه طرق الحديث، لأ ن المشترك اللفظى يقال على اكثر من معنى عند المناطقة وعند النحاة أيضا ، ثـم ا ن المعرفة كما تطلق على المعانى تطلق كذلك على مكا ن تلقى العلم باعتباره ظرفا للمكا ن ، وتطلق على الآلة التى بها يتعلم الانسا ن المعرفة الى غير ذ لك من الوجوه والاطلاقات .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨ جـ ٣

(٢) " " جـ ٣ ص ٢٩٨ تحقيق الاستاذ / عبد الرحمن محمود .

= وقال الفيروز ابادى :

عَرَفَه يعرفه معرفة ... علمه " وبالتالى فالمعرفة عنده العلم (١) ،

ولكن هذا الرأى أعنى مساواة العلم للمعرفة لم يقل به الا نفر قليل من المناطقة على ما مر ذكره والصواب أن العلم أشمل منها ، وتطلق المعرفة على الشيء المحدد من كل ناحية ومنه قولهم " أمرأة حسنة المعارف أى الوجه وما يظهر منها " (٢) وهكذا تنطلق الألفاظ لتؤكد لنا أن المعرفة ضد الجهل وأنها كالعلم فى تضادهما معا للجهل ، بيد أنهما — العلم والمعرفة — يتواردان على محل واحد وان كان لفظ العلم أشمل من لفظ المعرفة .

ثم ان المعرفة ومشتقاتها جاء ذكرها فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة ، كما جاء مراد فهما وهو العلم بمشتقاته كذلك ، وقد أفاضت آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية فى بيان هذه ومشتقات تلك بحيث لم تترك ثغرة لباحث ، من ذلك قوله تعالى عن المعرفة ومشتقاتها :

" فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ " (٣)

وقوله تعالى : " تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ " (٤)

وقوله تعالى : " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا " (٥)

(١) القاموس المحيط جـ٣ صـ ١٧٨ دار الجيل بيروت .
(٢) المصدر السابق جـ ٣ صـ ١٨٠
(٣) سورة يوسف الآية ٥٨
(٤) سورة المائدة الآية ٨٣
(٥) سورة النمل الآية ٩٣

وقوله تعالى :

" الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ " (١)

وقوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (٢)

والمعرفة اسم يأتى منه الفعل والفاعل وسائر المشتقات الأخرى لذا فهو غنى بتعاريفه ثرى بمضامينه ، وبالتالى فقد تأكد لنا أن المعرفة هى :

العلم بالشىء مع الاحاطة به والادراك لكافة جوانبه، ويؤيد هذا الاستنتاج القول المأثور " من عرف نفسه عرف ربه " ويشهد لذلك أيضا ما قيل على السنة الصوفية " من ذاق عرف " ، ومن حرم انحرف " .

وكما جاء ذكرها فى القرآن الكريم جاء كذلك فى السنة النبوية المطهرة فقد ورد فى الأثر أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله علمنى غرائب العلم ، قال صلى الله عليه وسلم له هل عرفت سنام العلم ورأسه ؟

قال الرجل : وما رأس العلم وسنامه يارسول الله ؟

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٦ وسورة الأنعام الآية ٣٠

(٢) سورة الحجرات الآيــة ١٣

قال صلى الله عليه وسلم ، هل عرفت الله [1] ؟

من هنا فقد بان لنا أن المعرفة من حيث هى اسم له مشتقاته ورد ذكرها فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، كما وردت فى معاجم العرب واصطلاحاتهم وأن تعدد مشتقاتها وكثرة مسمياتها انما تدل على أن لها أصلا فى اللغة العربية يؤدى الى احترامها واستقلالها وبيان اهميتها ومكانتها فى الأبحاث العلمية . فما هى مصادر المعرفة ؟ .

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة جـ ١ ص ٢٧٧ ، احياء علوم الدين جـ١ص١٠٩ ط الشعب .

((الفصـــــل الثانـى))

(مصــــــادر المعرفــــــــــة)

تعددت مصادر المعرفة الانسانية وتنوعت ، بحيث صارت من المعالم الرئيسية للمعرفة الانسانية ، فمرة يكون مصدرها الحس وحده ، سواء كان ظاهرا أو حسا باطنا ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك المصدر فقال " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (١) وقوله تعالى : " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (٢) .

ومرة يكون مصدرها العقل والمفاهيم العقلية التى لا تأتى عن طريق الحواس انما مصدرها العقل الراجح ، والفكر النير والفهم السليم ولذا نرى القرآن الكريم يذكر الفؤاد بعد السابقين من الحواس فيقول جل وعلا " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " وقوله تعالى : " وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " .

ولما كان العقل الهاما الهيا ونورا فطريا قال الله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ " (٣) ، وقال جل وعلا : " لِأُولِي الْأَبْصَارِ " وقال تعالى : " لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " وقال تعالى : " لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ " .

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨
(٢) سورة الاسراء الاية ٣٦
(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٠

ومرة يكون المصدر هو الوجدان النقى والقلب السليم فيقول ربنا فى الحديث القدسى المشهور : " ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن " (١) وقد يأتى ذلك كله الى النفس البشرية فتعى علما كثيرا وتحفظ معلومات اكثر دون مقدمات بل عن طريق الالهام النورانى وهو المعبر عنه بالوحى الداخلى ٠

وهذا الايحاء قاسم مشترك بين الانسان والحيوان ، وبين أفراد النوع الواحد أيضا يشهد لذلك قوله جل وعلا " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " (٢) ، والمراد من الوحى — هنا هو — الالهام والهداية أى الهمها مصالحها وأرشدها الى بناء بيوتها المسدسة العجيبة تأوى اليها فى ثلاثة أمكنة : " الجبال والشجر والاكوار التى يبنيها الناس" (٣) اذن قد اكتسبت معرفة يقينية، عن طريق الالهام الروحانى والهداية الربانية ، ومثلها فى عالم الانس كثيرون قد وقع لهم هذا الفيض الالهى،وقصه القرآن الكريم علينا ٠

= أم موسى عليه السلام أوحى الله اليها :

قال الله تعالى " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " (٤)

---

(١)
(٢) سورة النحل الآية ٦٨
(٣) الشيخ / محمد على الصابونى صفوة التفاسير الجزء السابع ص١٣٣ ٠
(٤) سورة القصص الآية ٧

فالوحى هنا علم لدنى قذفه الله " فى قلبها بواسطة الالهام" قال ابـن عباس هو وحى الهام ، وقال مقاتل : أخبرها جبريل بذلك ، قال القرطبى فعلى قول مقاتل ، هو وحى اعلام لا الهام ، وأجمع الكل على أنها لـم تكن نبية " (١) ولكنه الالهام الالهى الذى يوصل الى المعرفة الصادقـة ويكونها حتى صار بحق مصدرا من مصادرها الأساسية .

وكثير من هذه المعرفة الالهامية والعلم اللدنى جاء ذكره فى القرآن الكريم وكتب السنة الصحيحة بل وكتب القصص والآثار الاسلامية والسـير والتراجم والأفكار الصوفية مما يجعلنا نترك عدّه ونكتفى بذكر أثره ونـردد قوله تعالى " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا " (٢)

ثم يأتى المصدر الرابع من مصادر المعرفة هو النص المنزل ، الـذى يحدثنا عن أخبار السابقين وقصص الماضين ومستقبل الامم القادمين، وأحوال ما خفى علينا، وما غاب عن حسنا وعواطفنا والمشاعر، والحديث عن اليوم الآخر بكل ما فيه، ولا شئ يمكن أن يقدم لنا ذلك اللون من المعرفة الا النص المنزل من لدن حكيم خبير ، والذى تكشف الأبحاث العلميـة الدقيقة عن بعض فضله وبيان عظمته فى خلقه وصدق اخباره عن الأحداث الحاضرة والمستقبلة ، وقد جاء هذا اللون فى القرآن الكريم مباشـرة من ذلك قوله تعالى " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " (٣) .

---

(١) صفوة التفاسير ج ١١ ص ٤٢٥
(٢) سورة طه الآيـة رقم ١١٤
(٣) سورة يوسف الآيـة رقم ٣

فإلى أى هذه المصادر يميل ابن رشد وعلى أيها يعتمد أبو الوليد ؟

الجواب : أن ابن رشد يميل اليها جميعا ويتمسك بها لكن لا تسليم المقلد ، وانما تفكير العالم الباحث المدقق وان كانت المصادر العقلية تنال منه النصيب الأوفى .

لذلك نراه يقرر رأيه فى مصادر المعرفة وأنها :

١ ـ النظر " فيقول : " ان كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر فى الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ، أعنى من جهة ما هى مصنوعات فان الموجودات انما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها ، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم ، كانت المعرفة بالصانع أتم " (١) .

ثم النظر العقلى قد حث عليه القرآن الكريم فقال تعالى " فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ " (٢) وسماه أبو الوليد القياس العقلى ، واكد على أن هذه الآيات وأمثالها انما هى " نص على وجوب استعمال القياس العقلى أو العقلى والشرعى معا " (٣) ويشهد لذلك قوله تعالى : أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ " (٤) .

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص٢٢ تحقيق د / محمود عماره ط دار المعارف بالقاهرة .
(٢) سورة الحشر الآية ٢
(٣) فصل المقال تحقيق الاستاذ / مصطفى عبد الجواد عمران ص ٩ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٥ .

٢ - التفكير العقلى المستقل " التأمل " :

لذلك نراه يقول " فواجب أن نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى " (١) القائم على التأمل العقلى وعمليات التفلسف التى تعتمد على ربط الأشياء بعضها ببعض يشهد لذلك قول الله تعالى " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (٢) .

ثم ان أبا الوليد يفرق بين نوعين من المعرفة العقلية ، أعنى بهما التفكير العقلى الكسبى القائم على اكتساب المعلومات لأن المطلوب ، "لمن أراد أن يعلم الله تبارك وتعالى ، وسائر الموجودات بالبرهان أن يتقدم أولا فيعلم أنواع البراهين وشروطها ، وبماذا يخالف القياس البرهانى القياسى الجدلى ، والقياس الخطابى ، والقياس المغالطى" (٣)

٣ - اكتساب طرق المعرفة :

يطالب أبو الوليد كل من يحب أن يتفلسف أو أن يتمثل أمر الله بالنظر فى الموجودات " أن يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الأشياء

---

(١) فصل المقال صـ ٢٣ تحقيق د / محمد عمارة .
(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٩٠ / ١٩١ .
(٣) فصل المقال صـ ٢٤ تحقيق د / محمد عمارة .

التى تتنزل من النظر منزلة الآلات من العمل ٠٠٠ حتى أنه يجب على العارف أن يستنبط من الأمر بالنظر فى الموجودات وجوب معرفة القياس العقلى وأنواعه ، بل هو أحرى بذلك " (١) لأن معرفة تلك الآلات يسهل معرفة الأمور الدقيقة ، ويجعل المعرفة بها أمرا ميسورا سواء كانت معرفة استقرائية أو استنباطية أو استدلالية ولو أقتضى الأمر استعانة المتأخر بما تركه المتقدم عليه من معرفة وآلات ومناهج لأن هذا باب أكيد يؤدى الى معرفة الله تعالى حق المعرفة ٠

٤ - مخاطبة الناس على قدر أفهامهم :

فان مخاطبة الناس لون من الوان كسب المعرفة فاذا خوطب الناس على قدر أفهامهم نالهم منه الخير الكثير ، ولعل هذا ما عناه الرسول الكريم بقوله " خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله " لذا ترى أبا الوليد يقسم الناس الى مراتب فى الفهم وهو طريق تحصيل المعرفة فيقول :

" ذلك أن طباع الناس متفاضلة فى التصديق ، فمنهم من يصدق بالبرهان ، أو منهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان ، اذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك ، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية (٢) ويشهد لذلك عنده قول الله تعالى ، " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (٣)

---

(١) المصدر السابق ٥٤ (٢) فصل المقال ص ٣١ (٣) سورة النحل ١٢٥

= موقف ابن رشد من المعرفة الحسية :

سلف أن اكدنا على وجود مصادر عديدة للمعرفة ، وأنها ترجع فيما بينها على العموم الى أنواع أربعة هي :

١ - المصدر الحسي
٢ - المصدر العقلي
٣ - المصدر الالهامي
٤ - النص المنزل

وقد غلب على اكثر الباحثين نوع من القلق يحاول أن يفرض ذاته على أبحاثهم فتراهم يعلنون مسبقا أن هذا الفيلسوف صاحب فلسفة حسية وذاك عقلية الى غير ذلك دون أن يكون معهم دليل قويم يؤكد ما ذهبوا اليه ، فاذا ما راجعوا قراراتهم بعد الدراسة المتأنية تحيروا فيما أصدروه من قبل وتقع عليهم القضايا الفكرية دون مقدمات .

أما نحن فلن نقرر سلفا أمرا على الرجل وانما سنعمل على أن تنطق نصوصه أولا ثم ندلي بما فهمناه من نصوصه ثانيا ، فان كانت المصادر هي الحس وحده قلنا به وان كانت غير ذلك رجعنا اليه وقررناه وأكدنا عليه .

من ثم فانا نرى أن ابن رشد قد اعترف بالحس وجعله مصدرا من مصادر المعرفة ، بل درجة من درجاتها وأنه مرحلة أولية تعقبها مرحلة التأكيد عليها حيث يتم القياس العقلي واستنباط المجهول من المعلوم تنفيذا لأمر الشرع .

" ومما يسترعى الانتباه ، بل مما هو جدير بالتقدير فى هذا الموقف هو صعود فيلسوفنا بالباحث على درجات المعرفة فى أناة وتؤده ، ومرور ، بوسائلها الضرورية مرورا طبيعيا ليس فيه قفز ولا وثوب " (١) بل ان ابن رشد بهذا المنهج القائم على الترقى هو نفسه المنهج الذى قام عليه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة فى قاعدة الوضوح واليقين والتى قرر فيها قوله " ألا أقبل شيئا على أنه حق ما لم أعرف يقينا أنه كذلك ، بمعنى أن أتجنب بعناية التهور والسبق الى الحكم قبل النظر، وألا أُدخل فى أحكامى إلا ما يتمثل أمام عقلى فى جلاء وتميز ، بحيث لا يكون لدى أى مجال لوضعه موضع الشك " (٢) .

بل انه مما تجدر الاشارة اليه هو أن استقراء ابن رشد بعينه قد استفاد منه ديكارت وأثبته كقاعدة عامة أساسية فى فلسفته سماها قاعدة " الاستقراء التام أو الاحصاء والتحقيق " وهى " أن أُعمل فى كل الأحوال من الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلنى على ثقة من أنى لم أغفل شيئا " (٣) وبالتالى يكون ابن رشد قد اعترف بالمعرفة الحسية وجعلها وسيلة للتى بعدها وأعنى بها المعرفة العقلية .

---

(١) د / محمد غلاب المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣١٠
(٢) رينيه ديكارت مقال عن المنهج ص ٢٤٢ ترجمة الاستاذ / محمود الخضيرى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م
(٣) مقال عن المنهج ص ١٤٥ .

ثم ان ابن رشد فيلسوف يعترف بوسائل المعرفة ويعتبرها ضرورية لها، ويخص فيها القانون العقلى الذى تعصم مراعاته الذهن على الخطأ فى الفكر ولذا نراه يقرر " أن معرفة مبدع الكون عن طريق التقليد من خصائص العامة ، وأنها لا قيمة لها لدى الصفوة الممتازة التى انتقتها السماء لتكون مواطن الحكمة ، أو لتؤدى رسالة كشف الحجب الكونية عما وراءها من أنوار باهرة واسوار ساحرة " (١) وقد كان سنده فى كل ذلك نصوص من الشرع الشريف قرآن كريم أو سنة نبوية مطهرة ٠

٢ ــ المعرفة العقلية :

واضح من نصوص ابن رشد حبه الشديد للمعرفة العقلية وايمانه المطلق واستخدامه البرهان بغية الوصول اليها ، ولذا يضرب الأمثال فى المعرفة العقلية مرة باستخدام القياس الفقهى، وأخرى باستعمال البراهين، وثالثة بالقياس المنطقى ، ثم يؤكد على القياس العقلى وأن " معرفة العقلى أحرى بذلك من الفقهى وغيره ، بل ويستعين على ذلك الغرض بما سبق من كتب القدماء " فإن كان كله صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه " (٢) ٠

وابن رشد يقسم الناس الى درجات فى المعرفة العقلية فيقول " ان طباع الناس متفاضلة فى التصديق فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من

(١) د / محمد غلاب المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣٠٦
(٢) فصل المقال ص ٥

يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان ، اذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك ، ومنهم من يصدق بالأقوال الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقوال البرهانية ، ولما كانت شريعتنا هذه الالهية قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث ، عم التصديق بها كل انسان الا من يجحدها عنادا بلسانه ، أو لم تتقرر عنده طرق الدعاء فيها الى الله ، لاغفاله ذلك من نفسه ولذلك خص عليه السلام بالبعث الى الأحمر والأسود ، أعنى لتضمن شريعته طرق الدعاء الى الله تعالى وذلك صريح فى قوله تعالى " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ " (١) واذا كانت هذه الشرائع حقا ، وداعية الى النظر المؤدى الى الحق فانا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهانى الى مخالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له " (٢) .

اذن ابن رشد يعتد بالمعرفة العقلية ويؤمن بها ويستوفى طلبها ويستخرج من النصوص القرآنية ما يشهد لها ويحشد لها من الآيات القرآنية الكثيرة مما يدل بوضوح على أن ابن رشد أحيا تلك المعرفة متخذا توجيها له من النص الشريف أعنى به القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وابن رشد فى النص السابق قد وضح " الحكمة التى تراعيها الأديان فى تنويع الخطاب ، وتنويع وسائل الايضاح والبيان ، مادام الناس انفسهم ليسوا

---

(١) سورة النحل الاية ١٢٥

(٢) فصل المقال ص ١٥ تحقيق الاستاذ / مصطفى عبد الجواد عمران فى فلسفة ابن رشد .

على حال واحدة تهيئهم لتلقى نوع واحد من أنواع الخطاب ، وأسلوب واحد من أساليب الايضاح والبيان " (١)

ومما يوحى بذلك ابن رشد تحديده للمعرفة الانسانية العقلية وتأكيده على أنها ممكنة وأنها نسبية وموضوعية " إنها نسبية لأنها تتعلق بتكوين العقل الذى يفرض قوانين على الأشياء ، فلو أن هذا التكوين كان على نحو آخر لكان العلم أيضا على غير ما هو عليه ، اذ نحن لا نعرف الأشياء من حيث ذاتها بل نعرفها كما تتمثل فى عقولنا على صورة الأحداث .

وهى موضوعية ، لأن قوانين العقل هى المبادىء التى بفضلها كانت التجربة ممكنة،وهى قوانين جميع الأفكار ولها قيمة عامة ، ومن هذه الوجهة كان العلم الذى تسمح به حقيقيا ، لأن الحقيقة لا يمكن أن تكون اتفاق المعرفة مع الأشياء التى لا تدرك فى ذاتها وانما هى اتفاق المعرفة مع القوانين العامة للعقل " (٢) اذن هى معرفة عقلية تقوم على المدركات العقلية والمبادىء البرهانية والأقيسة المنطقية والفقهية والعقلية التى ترقى فوق الحس ودرجاتها دائما يقينية وعامة وقابلة للتطبيق ، كما أنها مقياس ثابت وحكم عام خالد ، أخبر بها القرآن الكريم وطبقها السنة المطهرة ، وأعترف بها العقل ، ونعم فى رحابها ابن رشد فيلسوف قرطبة .

---

(١) الدكتور / سليمان دنيا — التفكير الفلسفى الاسلامى ص ٢٢٨ مكتبة الخانجى .

(٢) الدكتور / محمد غلاب — المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٦٨

٣ ـ المعرفة القلبيــة :

لم تذكر الدراسات التى اطلعت عليها أن ابن رشد اعترف بالمعرفــة القلبية التنسكية الاشراقية كما فهمها المتصوفة أو أصحاب التنسك وانما فهم معرفة قلبية لدنية تأتى على قلب مَنْ يُرِدِ الله أن يهديه فتحوله الى طاقــة أعلى من طاقات قرنائه ، وقد ساقه الى ذلك الفهم العديد من النصــوص القرآنية من ذلك قوله تعالى " أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُــورٍ مِنْ رَبِّهِ " (١) وقوله تعالى : " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَــــدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ" (٢)

وقد يشهد لذلك قوله تعالى فيما يتعلق بقصة موسى عليه السلام ، والعبد الصالح الذى منحه الله العلم اللدنى " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَــا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَــى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْــــبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا " (٣) وبالتالى فقد أيقن ابن رشد بالمعرفة القلبية ولكنه جعلها فى أفراد قلائل هم الملهمون وتدخل معهم فى خوارق العــادات ، وكانت تلك المعرفة اللدنية فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم متحققة فى أمثــال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

---

(١) ســورة الزمر الآية ٢٢
(٢) سورة الأنعام الاية ١٢٥
(٣) سورة الكهف الايات ٦٥ ـ ٦٨

٤ ـ النص المنزل :

لا يكاد الباحث يواجه قراءة كتب ابن رشد حتى يرى ايمانه بالنص المنزل واضحا فى كل ناحية من نواحى فكره أو فلسفته وتأكيده على أن النص المنزل قرآنا أو سنة ـ هو المصدر الأكيد من مصادر المعرفة والأكثر ثباتا ودقة " وليس فى المعرفة فقط بل فى كل المباحث الميتافيزيقية والفيزيقية والأحكام الأصولية على السواء .

بيد أن تعويل ابن رشد على النص المنزل يؤكد لنا أن ديكارت فيلسوف أوربا قد استفاد من ابن رشد حين استبقى النص المنزل ـ عنده ـ بعيدا عن دائرة الشك ، حيث إنه من مصدر موثق عنده ، ولو بحثنا فى فلسفة ديكارت كما فعل المؤرخ التونسى عثمان الكعاك لأدركنا أن ديكارت قد استفاد كثيرا من الأبحاث الاسلامية على العموم وابن رشد والغزالى على الخصوص فقد استفاد منهج الشك من الامام الغزالى، وأراد الله أن تظهر الحقيقة عندما وصل الكعّاك الى مكتبة ديكارت وعثر بين محتوياتها على ترجمة لكتاب المنقذ من الضلال للامام الغزالى، وقد كتب ديكارت بخط أحمر على الهامش عند عبارة الغزالى " الشك أول مراتب اليقين " كتب ديكارت يوضع هذا فى منهجنا ولو أنصف لقال يوضع المنهج كله فى منهجنا " (١) كما استفاد من ابن رشد استثناء النص المنزل من دائرة الشك باعتبار أن مصدره الوحى المعصوم وبالتالى فأكد لنا أن ابن رشد سلم بالنص المنزل كمصدر أساسى للمعرفة الانسانية .

(١) د / قنديل محمد قنديل ـ أساس التحسين والتقبيح لدى الاسلاميين ، ومقارنته بمذهب كانت فى ص ٢٦٧ دكتوراه مخطوطه بكلية اصول الدين .

((الفصـــل الثالـــث))

(موضـــــوعـــات المعرفـــــــة)

(موضـــوعات المعرفة)

تختلف موضوعات المعرفة عند الفلاسفة باختلاف المدارس الفلسفيـــة نفسها ، فإن كانت فلسفة مادية انحصر موضوع المعرفة فى العالم المحسوس عالم الوجود والمادة فقط ، وان كانت فلسفة روحية أو مثالية انحصر موضوعها فى عالم الغيب ، عالم الروح المخالف تماما لعالم الشهادة ، واذا كانـت فلسفة وسطية وأعنى بها الفلسفة الاسلامية فان موضوع المعرفة عندها ينحصر فى موضوعين أثنين ٠

الأول : عالم الوجود :

واعنى به عالم الشهادة ، والذى يعتمد فى اثبات وجود الله تعالى على العقل السليم وحده ، والعقل من عالم الوجود - اعنى عالم الشهادة ٠

الثانى : عالم الغيب :

وأعنى به عالم الروحانيات والسمعيات كما يتعلق بصفات الله تعالـى فهى قد نص عليها من خلال النص المنزل ، ولأن النص المنزل من عالـــم الغيب الذى لا يدركه العقل سميت لذلك سمعيات ، وعالم الغيب ٠

اذن اثبات وجود الله تعالى طريقه العقل ، واثبات اليوم الآخــر السمع واثبات النبوات فما يتعلق بالمعجزة فأمر عقلى من عالم الوجود ، وما يتعلق بارسال الرسول فأمر غيبى من قبيل السمعيات التى لا مجال للعقل ان حاول الخوض فيها ٠

ولقد عاشت تلك التقسيمات لموضوع الفلسفة عمرا طويلا وماتزال ، وان اختلفت أنظار الفلاسفة المسلمين أيضا اليها باختلاف التأثر والتأثير الذى يترك أثره على هذا الفيلسوف أو ذاك مما يجعلنا نبحث عن موضوع المعرفة عند ابن رشد ، وهل هو وجود الله أم عالم الغيب أو بهما معا ؟ وهـــذا ما سنولى الحديث عنه أهمية بارزة فيما يلى :

أولا : يتفق الباحثون على أن ابن رشد قد بذل مجهودا عقليا للتوفيـــق بين الآراء الفلسفية وبين النصوص الدينية وبخاصة فى المسائل الثلاث اللاتى كن مثار جدل وخصومة بين الغزالى والفلاسفة وهن :

١ ـ علم الله بالجزئيـات .

٢ ـ قدم العالم أو حدوثه .

٣ ـ البعث الجسمانى فى الآخرة .

وقد كان له مجهوده الفكرى الذى أحتل به مركز الصدارة بين فلاسفـة المغرب والمشرق على السواء بل وبين فلاسفة الغرب الحديث والشرق المعاصر جميعا ، وبات ذلك المجهود الفكرى أرضا خصبة يدافع عليها من يحـــب الفلاسفة ويدفع عنهم مغبة الكفر ، وكانت نظرية المعرفة هى النبت الحقيقـى لتلك الأرض الجديدة ، والثمار الفجة لتلك الكواعب الناعمة التى خلفها لنـا ابن رشد فى نظريته عن المعرفة ، من خلال موضوعاتها فى عالمى الوجـــود ـ الشهادة ـ وعالم الغيب .

ثانيا : تمكن ابن رشد من القضايا الفلسفية كما استجمع اطراف القضايا الأصولية وبات من المؤكد أنه سوف يبذل الجهد الأكبر فى سبيل عملية شرح أرسطو وتوضيحه للناس حتى صار بحق الشارح الأكبر لارسطو كما كان الفارابى المعلم الثانى ، غير ان ابن رشد هنا يجعل من نفسه جنديا يدافع عن عقيدة اخوانه من الفلاسفة المسلمين ويصون من خلفهم العريق ، وذلك ما جعله يجد فى طلب المعرفة مع تحديد موضوعاتها فما هى تلك الموضوعات ؟

الموضوع الأول :

عالم الوجود : وأعنى به ما هو فى مستوى العقل البشرى .

" مثل ما يدرك بالعقل وحده ، وهو حقائق الاشياء واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ووجوب الواجبات العقلية الضرورى منها والنظرى "[1]

وهذه الاشياء كلها فى مستوى العقل البشرى وان كانت تلحقها بعض اللوازم الضرورية كالتأمل واستخدام الحواس وما يتعلق منها بأمر عالم الشهادة .

وهذا العالم القائم على الشهادة هو الذى استطاع ابن رشد ينتزع منه الأدلة على وجود الله ونجا منه دليل العناية ودليل الخلق والاختراع ولذا نراه يقول عن هذا الطريق انه طريق القرآن الكريم والنصوص الشرعية لأن المرء اذا استقرأ آيات القرآن الكريم وجوها " تنحصر فى جنسين أحدهما طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجلها ولتسم

---

(١) الاستاذ الدكتوره/ فوقية حسين محمود — مدخل الى الفكر الاسلامى ص ٢٣٧ / ٢٣٨ .

هذه دليل العناية ، والطريقة الثانية ، مايظهر من اختراع جواهر الاشياء الموجودات مثل اختراع الحياة فى الجماد ، والادراكات الحسية والعقل ولتسم هذه دليل الاختراع " (١)

ولا شك أن هذا الموضوع من المعرفة يدركه الخواص والعوام كل بحسب توفيق الله له وقدرته عليها ولذا قال ابن رشد عن هاتين الطريقتين " ان هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص ، وأعنى بالخواص العلماء وطريقة الجمهور ، وانما الاختلاف بين المعرفتين فى التفضيل " (٢) .

من ثم فان عالم الوجود — الشهادة — قد اعترف به أبو الوليد وأكد عليه فى كثير من نصوصه التى حملها الينا تهافت التهافت وفصل المقال ، والكشف عن مناهج الادلة بل والكتب الاصولية الفقهية من خلال قياساتها المنطقية . بما لا يحتاج الى مزيد بيان ، وكانت تفرقة ابن رشد بين عالم الأمر وعالم الخلق فيما يتعلق بالمسائل الفلسفية أشبه بسلم الانقاذ للفلسفة الأرسطية والاسلامية بعد الهجمات عليها على حد سواء وقد تمكن ابن رشد من التفرقة بين نظرية المعرفة الالهية ونظرية المعرفة الانسانية ، كما فاجأ الجميع " بتفرقته الشهيرة بين عالم الأمر وعالم الخلق ، أى بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وذلك على غرار منهجه فى البرهنة على العقائد الدينية " (٣) .

(١) الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص ٦٥ تحقيق الاستاذ / مصطفى عبد الجواد عمران . (٢) المصدر السابق ص ٦٩

(٣) د / محمود قاسم — نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى ص ١١ الانجلو المصرية .

وفى الحقيقة فان مشاكل عويصة تقابل الباحث عن موضوعات المعرفة عند ابن رشد ، وبخاصة أن الغالبية العظمى من الباحثين يخلطون بين المعرفة ذاتها وبين موضوعاتها وكيفية اكتسابها ومصادرها مما يجعل الباحث فى حيرة من أمر هؤلاء وأولئك ، وقصة اتصال العقل الهيولانى بالعقل الفعال ، أو العقل الفعال بالمنفعل الى غير ذلك من التعبيرات والمصطلحات التى فيها من الغموض اكثر مما فيها من الوضوح والبيان ولذا سنبحث عن باقى موضوعات المعرفة عند ابن رشد ٠

الموضوع الثانى :

عالم الغيب : ونعنى به العالم الذى لا تدركه الحواس ولا يستقل بمعرفته العقل الانسانى دون مساعدة وسمى غيبا لأنه يغيب تماما عن كافة الحواس ولا سبيل الى معرفته الا السمع المأخوذ من النص المنزل قرآنا كان أو سنة مطهرة ، كذات البارى تعالى من حيث استقلال الصفات بها على وجه يراد وكخلق الله تعالى للعالم وكونه فى زمان أم لا وكيفية الخلق المستمر أو الخلق المباشر وكيفية صدور الكثرة عن الواحد ووجود التعدد من الواحد ثم قضية العلم الالهى الى غير ذلك من الوجوه ٠

وابن رشد فى كل هذا يقوم على أمرين لا ثالث لهما :

الأول : اثبات الغيب بكل ما يحويه معنى كلمة الغيب ٠

الثانى : التفرقة بين مضامين عالم الغيب وعالم الشهادة وان اتفقت الألفاظ فى التعبير عن كل منهما كالتفرقة بين المعرفة الانسانية والمعرفة الالهية

من حيث أن الأولى كسبية تقوم على الادراك الجزئي والفهم الخاص والثانية تقوم على الاحاطة الكاملة والانكشاف الشامل التام ، وكذلك بين ما يطلق من ألفاظ الحياة والعلم والسمع حتى اعتبرت صفات فهي وان تفقت في اللفظ والدلالة الا أنها تختلف باختلاف الاضافة فاذا وصف بها الخالق العليم كان لها من المعاني ما يتناسب مع الموصوف بها من حيث الكمال والاستقلال واذا وصف بها غيره كان لها من المعاني ما يناسبها من العجز والنقصان ٠

وتلك التفرقة جعلت ابن رشد موضع الشك والريبة من خصومه وأن له مع القدرة الجدلية ما يمكنه من استغلالها الى أقصى حد متاح ، وقد رأينا الرجل في القمة من الجدليين ، رغم أنه ينفي هذه الصفة عن نفسه وشيعته ، والناظر في نقوده السابقة لقضية ودليها يراها كلها قائمة على المنطق الجدلي ليس غير " (١) وتلك التهمة رماه بها وغيرها الكثيرون وان كنت أرى أنه لا سبب لها الا التعنت ومواجهة العقل المنظم بالتشدد ، تمشيا مع ما توارثته " الكثرة الغالبة من عامة المثقفين من — آراء الامام الغزالي " (٢) بينما نرى ابن رشد أمام محبيه " طاقة هائلة لا تعرف الملل وحيوية دافقة تمقت الخمول والكسل ، وقوة وثابة يستهويها الخلق والانتاج " (٣) ٠

---

(١) الدكتور / محمود محمد مزروعة — أضواء على المنهج النقدي لابن رشد ص ١٨٧ دار الطباعة المحمدية الطبعة الاولى ٠

(٢) الدكتور / رفقي زاهر — قضية التكفير عند الغزالي ص ٥ الطبعة الأولى

(٣) الدكتور / رفقي زاهر — فيلسوف الاندلس ابن رشد ص ٢٨

ومما لا شك فيه أن عالم الغيب هو من الموضوعات التي تعلو فوق " مستوى العقل البشرى وتدرك بالسمع وحده ، ولا يملك العقل أن يكشف عن حقيقته دائما فى مقدوره أن يقدم أدلة عقلية لاثبات وجوده - أمام - هذه الموضوعات (١) وهى الغيبيات التى ليست من عالم الشهادة على الاطلاق وبالتالى فان موضوعات المعرفة الانسانية تنحصر فى نوعين لا ثالث لهما :

النوع الاول : عقلى وهو القائم على التأمل ونعنى به عالم الوجود .

والنوع الثانى : شرعى وهو القائم على النص المنزل ونعنى به عالم الغيب وقد سلم بهما ابن رشد ودافع عنهما بل وأكد على كل منهما بحيث يعتبر سباقا الى ذلك الفهم من غيره وأسرع الى تسجيله من آخرين أتوا بعده .

---

(١) الاستاذه الدكتوره / فوقية حسين محمود - مدخل الى الفكر الاسلامى ص ٢٣٨ بتصرف .

((الفصـــل الرابــــع))

(مناهــــج المعرفـــــــــــــة)

مناهج المعرفة عند ابن رشـــــــد

تختلف مناهج البحث فى المعرفة الانسانية ، باختلاف أنواع المعرفة ذاتها ، فاذا كانت المعرفة استقرائية كان منهجها استقرائيا ، واذا كانت تجريبية كان منهجها تجريبيا ، واذا كانت رياضية كان منهجها كذلك ومن هنا وجب اثبات تقديم محدد عن أنواع المعرفة من خلال مناهجها لنخلص اليها عند ابن رشد فيلسوف الاندلس كمنهج خاص فى المعرفة الانسانية .

والناظر فى المعرفة الانسانية يرى أن المناهج فيها تكاد أن تنحصر فيما يلى :

١ ـ المنهـــج المثالـــــى .
٢ ـ المنهج الحسـى المـــادى .
٣ ـ المنهج النقدى التقويمـــى .
٤ ـ المنهج البراجماتى العملـى .
٥ ـ المنهج الصوفى الاشـراقـى .
٦ ـ المنهج الاستدلالى القرآنى .
٧ ـ المنهـــج الرياضـــــى .
٨ ـ المنهج المنطقـــــى .
٩ ـ المنهج الاســـتيطانـــى .
١٠ـ المنهج الاســـتقرائـــى .

١١ ـ المنهج الاستردادى ٠

١٢ ـ المنهج الجدلى ٠

ولسنا نقدم لها فى هذه الدراسة حصرا ، كل ما نريده هنا هو الحديث عن أقرب المناهج فى نظرية المعرفة عند الفلاسفة فقط ، تاركين بقية المناهج لدراسة أخرى تخصص لها وقتا آخر يتسع لها ومنفرد بها من ثم فان بيان منهج المعرفة الانسانية عند ابن رشد لا يكاد الباحث يقع فيه على طلبته من خلال الدراسات المدونة والتى يتيح للباحث أن يطلع عليها لأن أغلب الدراسات تقرن بينه كفيلسوف معرفى ومرة أخرى بينه كفيلسوف أصولى وجودى يؤمن بقدم العالم مرة ويدافع عنه مرات ، ومرة يجعلونه يعيش فى أحضان التفرقة بين العقل الهيولانى والعقل المادى ، أو العقل الفعال ، وكأن ابن رشد لا هم له الا أن يعيش تلك الرحلة التوفيقية الطويلة تحت عباءة الشارح الأكبر ٠

ومن الباحثين عدد قليل تفهم فلسفة ابن رشد ، وكتب عنها وتحدث عن المعرفة عنده كنظرية وأبان عن وقتها وصلابته كباحث أو فيلسوف ، ورغم قلة عددهم فان لهم من التلاميذ الجم الغفير ولأفكارهم مساحة طويلة تتربع على ساحات الزمن وفى كافة البلدان والمدن ، وكلها تهتف بابن رشد كفيلسوف واثق من نفسه يخطو اليهم بأفكاره فى تؤدة وأناة ، ليضع حدا فاصلا بين المعرفة الانسانية والمعرفة الالهية ، وبين المعرفة المكتسبة

وتلك التجلية النورانية الالهية التى لا تخضع لمقياس الهوى ولا تعيش فى حنايا التخلف والتدهور والانحلال ، فما هى مناهج المعرفة عنده ؟

والجواب هو أن :

الذى يفهم من فلسفته هو ايمانه المطلق بالاستقراء التام كمنهج للمعرفة ، وذلك ما تحدثت عنه الكتب الرشدية على اختلاف ألوانها وسمته قياسا منطقيا أو برهانيات ، وها هو من أول أمره يقول " فواجب أن نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى ، وبين أن هذا النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس ، وهو المسمى برهانا " (١)

اذن ابن رشد يعلن أن منهج المعرفة عنده يبدأ بالقياس العقلى الذى يبدأ من الأفراد الى الحكم الكلى ومن الجزئيات الى الحكم العام وهو ما يسمى استقراء عند علماء التجربة وأصحاب المنطق الحديث لأن القياس العقلى هو الذى يلتزم به الفقيه وهو أعم من القياس المنطقى لأن القياس المنطقى هو " قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها شىء آخر لذاتها " (٢)

ويقول عنه الامام الاخضرى صاحب المتن المعروف بالسلم ٠

" ان القياس من قضايا صورا مستلزما بالذات قولا أخرا " (٣)

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص٢٣ تحقيق الدكتور / محمد عمارة ٠

(٢) د / عوض الله حجازى المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ص١٣٣

(٣) الامام / شهاب الدين احمد الملوى — شرح السلم ص ٥٦ ، ٥٧ ٠

ومعروف أن القياس المنطقى لا يلزم " أن تكون قضاياه صادقة فى الواقع ونفس الأمر ، بل يكفى أن تكون مسلمة من السامع لها " (١) وبالتالى فالقياس المنطقى — رغم أن المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع فى الخطأ — الا أنه لا يستلزم مطابقة قضاياه للواقع الخارجى ، وليس ذلك هو هدف الفيلسوف المسلم .

من ثم فان القياس العقلى فقهى يهدف الى معرفة سليمة منظمة ، وأصولى يهدف الى حركة عقلية تتولد عنها قوة فكرية بها تتم المقايسة وتتحقق الغاية المنشودة من القياس العقلى الفقهى الأصولى ، ولذلك نراهم يسمونه قياس الطرد أو قياس العكس فقياس الطرد عندهم يقوم على " تجميع الأشياء المتشابهة فى قياس الطرد " أما قياس العكس فهو يقوم على الفصل بين الأشياء المتعارضة فى قياس العكس كما أن وظيفته تحقيق الأحكام السلبية والايجابية لحال معين على حال آخر معين بواسطة العلاقة الكائنة بينهما " (٢) وهذا رأى ابن تيمية كأحد علماء المسلمين أصحاب القياس العقلى ، وهو قياس شرعى ألف ابن تيمية كتابا خاصا به وسماه " (٣) القياس ، بل أن القياس العقلى صار جزءا من مصادر الشريعة الاسلامية التى تؤخذ مما يلى :

---

(١) الدكتور / محمد شمس الدين ابراهيم تيسير القواعد المنطقية جـ٢ صـ٨
(٢) الدكتور / محمد حسنى الزين — منطق ابن تيمية ومنهجه الفكرى صـ٥٩
(٣) القياس فى الشرع الاسلامى لابن تيمية وقد قامت بطبعه المطبعة السلفية .

١ ـ الكتاب الكريـــم ٠

٢ ـ السنة النبوية المطهرة ٠

٣ ـ الاجمـــاع ٠

٤ ـ القيــــاس ٠

٥ ـ الاجتهــــاد ٠

والقياس العقلى الاصولى هو " مشاركة مسكوت عنه لمنصوص على حكمه الشرعى فى علة هذا الحكم والحاقه به فيه " (١) كما أن " قياس الشرع يصير قياسا ـ شرعيا ـ يجعل صاحب الشريعة قياسا ، فيكون موقوفا على اختياره فاذا استمر قياس جاز أن يصير بجعل الشريعة دلالة وأمارة على الحكم " (٢) اذ ن ابن رشد اعتبر القياس العقلى هو أهم منهج للمعرفة الانسانية عنده بحيث ينتقل من القياس الى الاستقراء ولذا نراه يستخدم طريق الســـير والتقسيم عند الاصوليين وهو الذى أخذه المنطق الحديث على يد" استيوارت مل " وسماه طريقة التحصيل ، وطريقة البواقى " ثم ان ابن رشد فـــى استخدامه للاستقراء العلمى لم يستثن شيئا لا من الحقيقة ولا من المجـــاز كما أنه اهتم بالتفويض ولم ينس التأويل ، بل ادخل عليهما منهجه فـــى المعرفة الانسانية واستمدادها من القياس والاستقراء بأوسع ما فيهمـــا مـــن أبحاث العلة والمعلول والسبر والتقسيم ، قياس الغائب على الشاهـــد ودوران العلة على المعلول الى غير ذلك من الأبحاث الاسلامية الدقيقة ٠

(١) د / على حسب الله أصول التشريع الاسلامى ص١٣٢ دار المعارف ٠
(٢) الامام الجوينى الكافية فى الجدل ص١٤٨ تحقيق د / فوقية حسين محمود

من هنا هب ابن رشد يمدح أصحاب القياس العقلى وأنهم قد رفع الله عنهم الشرور والجهالات لأنهم " سلكوا مسلك النظر ، ورغبوا فى معرفة الحق ، وذلك أنه الله تعالى — دعا الجمهور الى معرفة الله من طريق وسط ، ارتفع عن حضيض المقلدين ، وانحط عن تشغيب المتكلمين ، ونبه الخواص على وجوب النظر التام فى أصل الشريعة " (١) وبالتالى فهم أصحاب السعادة لأنهم تلمسوا منهجا معرفيا يقوم على القياس العقلى الشرعى الذى يتعلق به فيلسوف قرطبة أبو الوليد ابن رشد ·

ومن الممكن تحديد مناهج المعرفة عند ابن رشد فيما يلى :

١ — المنهج الاستقرائى ·

٢ — المنهج الاستدلالى ·

٣ — أصول التفسير ·

٤ — أصول الحديث الشريف·

ولنا على ذلك شواهد عديدة لكل منهج من تلك التى اعتمدها ابن رشد وتعلق بها ·

أما عن الأول : " المنهج الاستقرائى " فقد برع فيه ابن رشد وأجاد من خلال كتابيه الشهيرين فصل المقال ومناهج الأدلة ، كما بين وجوب ذلك المنهج على الفقيه المسلم والمفكر المسلم ·

---

(١) فصل المقال صـ ٦٧ تحقيق الدكتور / محمد عمارة ·

وعن الثانى الاستدلالى : " فقد كان مقدمة لاستقرائه وتكملة له وقـد أفاض فى ذلك ابن رشد من خلال نصوصـه ٠

وعن الثالث : نصـوص القرآن الكريم ، فذلك بين من كثرة استشهاده بالآيات القرآنية فيما يتعلق بالنظر والتأمل والتفكير ، مثل قوله تعالـى : فاعتبروا يا أولى الألباب ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ٠

وعن الرابع : نصوص السنة المطهرة ، فقد استفاد ابن رشد مـن ثقافته التامة فى الحديث الشريف واستخدامه له على أوسع نطاق فى نواحيه الأصولية ولذلك نجد ابن رشد يتمسك بها جميعا بحيث يمكن اعتبـار تلك المناهج جميعا قد مال الى استخدامها ابن رشد ٠

((الفصـــــل الخامـس))

(الهدف من المعرفـــــــــة)

(الهدف من المعرفة عند ابن رشد)

أ - دراسة الجزئيات بغرض الوصول الى حكم كلي عام

ب - استخراج حكم ديني ٠

جـ - الدفاع عن العقيدة من خلال معالجة آفات المجتمع

د - الوصول الى معرفة الله بطريق يقيني

يتفق الدارسون جميعا على أن لكل علم هدف أو غاية ، حتى أن المناطقة والفلاسفة يجعلون تلك الغاية علة ويسمونها " العلة الغائيـة " وهى التى قام لأجلها الفاعل باحداث ما فعله ايجابا أو سلبا فعـلا أو كفا عن الفعل ذاته ، بحيث تكون تلك العلة الغائية بمثابة ركن هام لأجـلـه يتم الفعل أو الكف ويقال عليها جميعا العلل الأربع ، ويعنون بها :

١ ـ العلة الفاعلية ٠

٢ ـ العلة الغائية : " يصف ابن تيمية العلة الغائية بأنها علة العـلل لتقدمها علما وقصدا وأن الفاعل لا يكون فاعلا الا بها ، وأنها كمـال الوجود وتمامه ، ولهذا قدمت فى قوله " اياك نعبد واياك نستعين "(١)

٣ ـ العلة المادية :

٤ ـ العلة الصورية ٠

وتلك العلل الأربع هى التى يطلقون عليها اسم " علتى الوجـود والماهية " والعلة المستجمعة ، ورغم أن الهدف بالنسبة لكل ما سبق هـو مجرد علة غائية داخل ضمن الكثير من العلل الا انها هنا يمكن اعتبارهـا علة مؤثرة ، لأن الأمر هنا يتعلق بالغاية من المعرفة الانسانية فى حـد ذاتها ، وبالتالى ستنحصر الدراسة حول الهدف من المعرفة الانسانيـة عند ابن رشد فقط ٠

بيد أن الباحث يرى أنه من اللازم اوالضرورى عليه أن يتحدث عن الهدف كمقدمة ضرورية لدى الباحث ٠

(١) د / مصطفى حلمى ـ قواعد المنهج السلفى صـ١١٨ وفتاوى ابن تيمية جـ١٨ صـ ٣٠٩

وبيان ما اذا كانت المعرفة تهدف الى ما يلى : من عدمه ؟

١ ـ معرفة الله تعالى ، وهى أول الواجبات عند الامام الأشعرى

٢ ـ وجوب تلك المعرفة .

٣ ـ النظر للوصول الى تلك المعرفة ويسمونه أول الواجبات ، عند علماء الكلام ، " لأن النظر شرط كمال ، فمن كان فيه أهلية النظر فقد ترك الأولى " كما أن : " النظر الموصول لمعرفة الله تعالى واجب بالاجماع "[1]

وقد اتفقت كلمة علماء العقيدة على أن :

١ ـ أول واجب على المكلف هو مقصد المعرفة .

٢ ـ أول واجب وسيلة قريبة ، النظر ، ووسيلة بعيدة القصد الى النظر "[2]

من هنا لزم اثبات أن المعرفة عند ابن رشد تهدف الى ما يلى :

١ ـ دراسة الجزئيات الدينية والعلمية :

وذلك يتم بقصد الوصول الى حكم كلى عام يشبه الاجماع أو القانون لأن دراسة تلك الجزئيات على انفراد ، عملية استقرائية .

٢ ـ استخراج حكم دينى :

وهو يتم بعد استنتاجه من مجموعة مقدمات متواضع عليها كما يفعل علماء الأصول فى الفقه الاسلامى ، حيث يستخرجون حكما كليا يمثل قاعدة عامة كقولهم ، الخمر مسكر ، والعنب مسكر والتمر مسكر ، وكل مسكر

---

(١) الشيخ ابراهيم البيجورى ـ حاشية البيجورى على جوهرة التوحيد ص ٢١ طبعة المطبعة الأزهرية وبها مشها تقريرات العلامة الأجهورى .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

حرام ، اذ ن كل ما كا ن مسكرا أو من قبيله أو يودى اليه فهو حرام ٠

٣ ــ الدفاع عن العقيدة الدينية :

وذلك بعد معرفة علل المجتمع وآفاته وكيفية حصرها وتجميعها ثم طرق الوقاية منها والعلاج من الأزمات التى تودى اليها ، دفاعا وبيانا شرحا وتحليلا ، كل ذلك من خلال فهم كامل لطبيعة تلك المعرفة وحيثياتها جميعا ٠

٤ ــ معرفة الله تعالى بطريق يقينى :

وهى لا تكون عن تقليد أو مشابهة للغير أو محاكاته ، وانما عن اعتقاد سليم ، وتفكير راشد وبيان واضح للنصوص الدينية المحددة ولا تخرج المعرفة فى أهدافها عن ما مر ذكره فى كافة الوجوه ٠

بيد أن ابن رشد لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه الى حيث استخرج قواعد أخرى تحمل أهدافا اضافية بجانب ما مر ذكره ، " لأن الغاية التى ترمى اليها جميع الشرائع ويرنو اليها العقل البشرى فى شوق وشغف ويهدف اليها الفلاسفة من بحوثهم المستفيضة ومجهوداتهم المتواصلة هى غاية واحدة وهى معرفة السر الاسمى لهذا الوجود وما انبثق عنه من أسرار ثانوية " (١) ٠

---

(١) الدكتور / محمد غلاب ــ المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣١١

نتائـج حتميـــــة

بعد هذه الدراسة العجولة لنظرية المعرفة عند ابن رشد نصل الـى

نتائج حتمية ضرورية منها :

١ ـ أن المعرفة بحث من مباحث الفلسفة حيث تنحصر الفلسفة بوجه عـــام

في مباحث ثلاثة :

أ ـ مبحث الوجود   ب ـ مبحث المعرفة   جـ ـ مبحث القيـــم

كما أنها ترادف العلم عند المناطقة وفى المعاجم والمصطلحات وتشترك

معه فى الدلالة عند البلاغيين وعلماء اللغة ٠

٢ ـ أن مصادر المعرفة عديدة منها :

أ ـ المصدر الحســـى   ب ـ المصدر العقلـــــى

جـ ـ « الالهامـــى   د ـ « الكشفى الاشــراقى

هـ ـ النص المقدس قرآنا كريما أو سنة مطهرة ٠

٣ ـ بروز النظر بمعنى التأمل العقلى فى فلسفة ابن رشد بدرجة تكاد أن

تطبع الفلسفة الرشدية كلها ، حتى انها تركت أثرها على كثير مـــن

المفكرين بعده ، سواء كانوا فقهاء أم علماء كلام أو غيرهم ٠

٤ ـ أن موضوعات المعرفة الانسانية تنحصر فى أمرين ٠

أ ـ عالم الوجود وأعنى به عالم الشهادة ويدخل ضمن هذا الوجـود

وجود الله تعالى حيث أنه وجود لا مفتتح لأوله ، أولا أول لـه ،

وهو يخالف الوجود الذى له أول ومفتتح من وجوه كثيرة ، يعرفهـا

الباحثون المتخصصون ، وطريقة العقل ٠

ب ـ عالم الغيب : وهو العالم الذى يتعلق بالسمعيات والروحانيات وما لا ثبت الا من خلال النص المنزل المعصوم كالبعث والنشر والحساب واليوم الآخر ، كما أن صفات الله تعالى تدخل هذا اللون من موضوعات المعرفة ٠

٥ ـ التفرقة بين المعرفة الانسانية والمعرفة الالهية ، وان اتفقتا فى المسميات الا أنهما تختلفان فى الدلالات اختلاف ما بين القوى القاهر الله سبحانه وتعالى و بين المخلوق الضعيف وهو ما سوى الله ٠ ومع هذا فان الموضوع الأول عند ابن رشد موضوع معرفى عقلى قائم على التأمل فى العالم المشاهد بالعقل أو الحواس ، والنوع الثانى شرعى قائم على النص المقدس المنزل ، وقد سلم ابن رشد بهما ودافع عنهما وسبق الكثيرين باستخدامهما ٠

٦ ـ انتهى ابن رشد الى وضع تصور كامل لمناهج المعرفة وحدد تلك المناهج بحيث ينظر المتأمل فيها فيراها تنحصر فيما يلى :

١ ـ مناهج استدلالية ٠
٢ ـ مناهج استقرائية ٠
٣ ـ مناهج جدلية ٠
٤ ـ مناهج تأملية ٠
٥ ـ مناهج استبطانية ٠

٦ — مناهـــج قرآنيــــــة ٠

٧ — مناهـــج رياضــــــية٠

٨ — مناهـــج استنباطيــــة٠

٩ — مناهـــج وهميـــة ظنيـــة٠

واستخدم منها المنهج الاستقرائى الاستدلالى وسما به الى حيـــث قارب الجوزاء وترك له أثرا كبيرا فى نفوس متابعيه ومن ساروا على دربهم ٠

٧ — تحدث ابن رشد عن وسائل المعرفة وأكد أنها اما حسية أو عقلية وتلك تفرقة حاسمة بين المصادر الخاصة بالمعرفة والوسائل ، لأن الكثيـــر من الباحثين لا يكادون يفرقون بينهما الا تفرقة ضئيلة لا تكاد تذكـــر الا أن ابن رشد قد فصل ذلك طويلا وبأسلوب يقبله العقل ويحترمـــه المنطق ، وبالتالى ترك ذلك الأثر الرشدى أثرا أكبر منه على الفلاسفة المحدثين والمعاصرين على حد سواء ٠

٨ — خرج ابن رشد من دراسته للفلسفة بمقدرة فلسفية ، فائقة مكنت لـــه من الخروج بعيدا عن دائرة التقليد والمحاكاة الى دائرة الابتكـــــار والجدة بعد المعاناة ٠

٩ — أكد ابن رشد على أن الغرض من المعرفة الانسانية عنده ينحصر فيما يلى

١ — معرفة الله تعالى بطريق يقينى لا يقبل الجدل أو الانهيار ، كما أنه يرتفع عن التقليد الذى يلقى بصاحبه مرة أخرى الى الحضيض بعد التقليد ٠

٢ ــ الايمان المطلق بالله تعالى وبما له من جميل الصفات وكامل الجلال والاكرام ، مع التفرقة الحاسمة بين كل ما لله وما يتبعه من صفات كمال وبين غيره وما يستلزمه من صفات نقص وضعف وخلل .

٣ ــ معرفة الحدود العقلية للعقل الانسانى ، سواء من ناحيته كعقل أو من ناحية المعقولات التى يحاول اثباتها أو الاحتفاظ بها ، وبيان أن العقل بامكانيته أقل من المعقولات لتعددها وبالتالى فعالم الغيب لا يأمن العقل على نفسه فيه ان هو خاض بحد التأملات دون مساعدة من أحد .

٤ ــ أن جميع الشرائع السماوية الحقة قد حثت على ابتاع هذا المنهج المعرفى الذى يهدف الى معرفة السر الأسمى فى هذا الوجود العامر الجنبات وتلك الاسرار التى يطويها فى حناياه من آن لآخر يكشف عنها الباحثون ويطالعها الدارسون .

١٠ ــ تأكيد ابن رشد على أن المعرفة درجات وأن أرقى درجاتها من حيث المصدر هو المعرفة الناشئة عن النص المنزل المقدس لأنه وحى معصوم وبالتالى فهو كمصدر للمعرفة لا يقبل الشك ولا يخضع للخطأ لأن كلام رب العالمين .

أما من حيث الموضوع فأرقاها هو المعرفة بالله تعالى وسائر صفاته سواء كانت من صفات الجلال أم من صفات الكمال ، لأن الموضوع فيها هو معرفة الهية تخضع لصفات الخالق من جلال وكمال ، تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام .

أما احترام ابن رشد للمعرفة العقلية كمنهج فهذا ما تطلعنا عليـه مؤلفات ابن رشد وأبحاثه ، بحيث لا يجد المرء بدا من التسليم لابن رشـد بأنه كان فيلسوفا نادرا فى كل شيء ، بداية من مطلع شبابه ومهده الشفيق حتى شيخوخته ، ولحده الدقيق ، ولئن كان ابن رشد قد ترك قضايـــا معرفية عديدة ، فانه مما تجدر الاشارة اليه هو أن ابن رشد فيلسوف مسلم غيور على دينه أصولى متمكن من فنه فيلسوف جدير بحمل لقبه ، طبيـــب باشر بنجاح مهام عمله وأعباءا كثيرة جرت عليه حنق أعدائه ولدات خصومـه ومع هذا نالت احترام العقلاء ، وحظيت باهتمام المفكرين ، رحم اللـــه ابن رشـد فى الخالدين .

الملحق الأول

الدراسات السابقة عن ابن رشد

اسم المؤلف	اسم الكتاب
أ ٠ د / محمود محمد مزروعة	أضواء على المنهج النقدى ٠ لابن رشد ٠
أ ٠ د / محمود قاسم	نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الاكوينى ٠ ٠٠٠٠٠٠٠
أ ٠ د / محمود قاسم	ابن رشد وفلسفته الدينية ٠
أ ٠ / أرنست رينان	ابن رشد والرشدية ترجمة الاستاذ عادل زعيتر ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
أ / عبده الحلو	ابن رشد فيلسوف المغرب ٠
أ / فرح انطون	ابن رشد وفلسفته
أ ٠ د / محمد عبد الرحمن بيصار	الوجود والخلود فى فلسفة ابن رشد
الآب / يوحنا قمير	ابن رشد ـ طبعة بيروت ٠٠٠٠
أ ٠ د / رفقى زاهر	فيلسوف الأندلس ابن رشد
أ ٠ د / رفقى زاهر	فلسفة ابن رشد بين التبعية والاستقلال ، دكتوراه لكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة ٠
أ ٠ د / رفقى زاهر	بين الغزالى وابن رشد فى المسائل الثلاث ٠

أ . د / بركات عبد الفتاح دويدار — ابن رشد منهجه وعقيدته دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

أ . / محمد فضل الله نور الدين — بين الغزالي وابن رشد في المسائل التي كفر الغزالي بها الفلاسفة .

أ / عباس محمود العقاد — ابن رشد — نوابغ الفكر العربي

(مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

١ ـ القرآن الكريـــــم ....

٢ ـ الدكتور / عوض الله حجازى وآخر ـ فى تاريخ الفلسفة اليونانية الطبعة الثانية ٠

٣ ـ المعجـــم الوجيـــز ٠

٤ ـ الدكتور / توفيق الطويل ـ مدخل الى الفلســـفة ٠

٥ ـ الدكتور / عبد المعطى محمد بيومى ـ جذور الفكر المادى ط١ دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٤م ٠

٦ ـ الدكتور / عبد الحميد مدكور ـ محاضرات فى الفلسفة ـ مكتبة الزهـــراء ١٩٨٣م ٠

٧ ـ عمانويل كانت ـ مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ـ ترجمة د / نازلـــى اسماعيل ٠

٨ ـ هـ ٠ فرنكفورت وآخرين ـ ماقبل الفلسفة ـ منشورات بغداد ٠

٩ ـ أ٠أ كابلر المعلم الأول أرسطو ـ ترجمة محمد زكى حســـن ـ مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٤م ٠

١٠ ـ دكتور / أحمد عبد الحليم عطيه ـ القيم فى الواقعية الجديدة دار الثقافة والنشـر ١٩٨١م ٠

١١ ـ رابوبورت ـ مبادىء الفلسفة ـ ترجمة الاستاذ / أحمد أميـن ٠

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

١٢ — الدكتور / توفيق الطويل — أسس الفلسفة — دار النهضة العربية ط ٥ ٠

١٣ — دكتور / أحمد فؤاد الأهدانى — المدارس الفلسفية — الدار المصرية للتأليف ١٩٦٥م ٠

١٤ — جون كولر — الفكر الشرقى القديم — ترجمة كامل يوسف حسين

١٥ — الأستاذ / أنور الجندى — الاسلام والفلسفات القديمة — دار الاعتصام ٠

١٦ — دكتور / محمود رجب الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين دار المعارف ٠

١٧ — رالف بارتون بيرى — انسانية الانسان — ترجمة سلمى الخضراء دار مكتبة المعارف / بيروت ١٩٦١م ٠

١٨ — دكتور / محمود عبد الرازق شفشق ، ومنير عطا الله سليمان — تاريخ التربية — دار النهضة العربية ١٩٦٨م ٠

١٩ — دكتور / توفيق الطويل — مدخل الى الفلسفة ٠

٢٠ — دكتور / محمد غلاب — الفلسفة الاغريقية ٠

٢١ — دكتور / عبد اللطيف محمد العبد — دراسات فى الفكر الاسلامى طبعة الانجلو المصرية ١٩٧٧م ٠

٢٢ — جيمس جينز — الفزياء والفلسفة — ترجمة جعفر رجب — مطبعة المعارف ١٩٨١م ٠

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

٢٣ — دكتور / توفيق الطويل — قصة النزاع بين الدين والفلسفة — طبعة ٣ — دار النهضة المصرية عام ١٩٧٩م ٠

٢٤ — الامام السيوطى — صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام جـ ١ طبعة مجمع البحوث ٠

٢٥ — دكتور / عبد الحليم محمود — التفكير الفلسفى فى الاســــــلام ط دار المعارف ١٩٨٩م ٠

٢٦ — الشيخ الرئيس ابن سينا — تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ط دار ايوب للبستانى ٠

٢٧ — الشيخ محمد نورى — نور الظلام — ط ٢ / الحلبى ١٩٣٦ ٠

٢٨ — الامام السيوطى — حسن المحاضـــرة ٠

٢٩ — الدكتور / محمد غلاب — المعرفة عند مفكرى المسلمين / الدار المصرية للتأليف ٠

٣٠ — لويس دبيريه — الفيزياء والميكروفيزيا ٠

٣١ — د / محمود عبد الرازق شفشق وآخر — تاريخ التربيـــة ٠

٣٢ — أزفلد كوليه / مدخل الى الفلسفة — ترجمة د / أبو العــــــلا عفيفى — لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٥م ٠

٣٣ — دكتور / صلاح عبد العليم ابراهيم — دراسات فى الفلســـفة ، ط المدنى ١٩٨١م ٠

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

٣٤ - دكتور / يحيى هريدى - مقدمة فى الفلسفة العامة ٠

٣٥ - الشيخ / مصطفى عبد الرازق - التمهيد ٠

٣٦ - فرانكز روزنتال - التراث القديم فى الحضات الاسلامية /م سعيد رأفت ١٩٩٣م ٠

٣٧ - دكتور / عوض الله حجازى - المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ٠

٣٨ - الامام ابن تيمية - بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ٠

٣٩ - دكتور / الطبلاوى محمود سعد - موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد ٠

٤٠ - دكتور / عزت قرنى - مدخل الى الفلسفة - مكتبة سعيد رأفت

٤١ - الامام أبو عبد الله الترمذى - الكلام على معنى لااله الا الله أو شفاء العلل - طبعة حسان ٠

٤٢ - الفرد أينشطين - الموسيقى فى العصر الرومانتيكى - ترجمة دكتور / احمد حمدى محمود ٠

٤٣ - ولترا ستنيس - تاريخ الفلسفة اليونانية - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٤م ٠

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

٤٤ ـ الاستاذ / أحمد عبده خير الدين ـ تاريخ الفلسفة •••••

٤٥ ـ وولف ـ عرض تاريخي للفلسفة والعلم ـ ترجمة / محمد عبد الواحد خلاف •

٤٦ ـ الاستاذ / أحمد أمين وآخر ـ قصة الفلسفة اليونانية •••••

٤٧ ـ دكتور / أحمد طلعت الغنام ـ الاسلام وتيارات الفكر المنحرف عالم الكتب •

٤٨ ـ الامام الزمخشرى ـ أساس البلاغة ••••••••••

٤٩ ـ الفيروزبادى / القاموس المحيط ••••••••••••••

٥٠ ـ دكتور / عثمان أمين ـ ديكارت ـ مكتبة الأنجلو ••••••••

٥١ ـ دكتور / مصطفى لبيب ـ دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ـ دار الثقافة •

٥٢ ـ دكتور / محمد سامى مهنا ـ المنطق •

٥٣ ـ ديكارت / التأملات •

٥٤ ـ هنرى توماس وآخر / أعلام الفكر الأوربي من سقراط الى سارتر ترجمة عثمان نويه •

٥٥ ـ دكتور / محمد غلاب ـ مشكلة الألوهية ـ دار احياء الكتب ١٩٤٧م •

٥٦ ـ ديكارت ـ مقال في المنهج ـ ترجمة محمود الخضيرى •••••

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

٥٧ ــ هنرى توماس ــ أعلام الفلاسفة وكيف نفهمهم / ترجمة مترى أمين

٥٨ ــ الامام القفطى / أخبار العلماء بأخبار الحكماء ٠

٥٩ ــ دكتور / محمد غلاب ــ الخصوبة والخلود ــ لأفلاطون فى انتاجه سلسلة مذاهب شخصيات ــ الدار القومية ٠

٦٠ ــ جان جاك رسو ــ أميل / ترجمة / دكتور نظمى لوقا ٠

٦١ ــ دكتور / محمد سيد أحمد المسير ــ المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الاسلام منه ــ دار الطباعة المحمدية ٠

٦٢ ــ الامام جلال الدين السيوطى ــ الأشباه والنظائر ٠

٦٣ ــ الامام ابن القيم ــ مفتاح السعادة ٠

٦٤ ــ الامام ابن القيم ــ مدارج السالكين ٠

٦٥ ــ الامام القشيرى ــ الرسالة القشيرية ٠

٦٦ ــ الدكتور / محمد شمس الدين ابراهيم سالم ــ تيسير القواعد المنطقية ٠

٦٧ ــ الجرجانى / التعريفات ٠

٦٨ ــ الشيخ / محمد على الصابونى ــ صفوة التفاسير ٠

٦٩ ــ الامام ابن رشد / فصل المقال ــ تحقيق د / محمد عمارة ، ونسخة أخرى تحقيق د / مصطفى عبد الجواد ٠

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

٧٠ - ابن رشد / الكشف عن مناهج الأدلة / تحقيق د / محمود قاسم

٧١ - دكتور / سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الاسلامى .

٧٢ - الدكتور / قنديل محمد قنديل - أساس التحسين والتقبيح لدى الاسلاميين ومقارنته بمذهب كانت .

٧٣ - دكتوره / فوقيه حسين محمود - مدخل الى الفكر الاسلامى ..

٧٤ - دكتور / محمود قاسم - نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى .

٧٥ - دكتور / محمود محمد مزروعة - أضواء على المنهج النقدى - لابن رشد .

٧٦ - دكتور / رفقى زاهر - قضية التكفير عند الغزالى .

٧٧ - دكتور / رفقى زاهر - فيلسوف الأندلس ابن رشد .

٧٨ - الامام شهاب الدين الملوى - شرح السلم .

٧٩ - دكتور / محمد حسن الزين / منطق ابن تيمية وفهمه الفكرى

٨٠ - الدكتور / على حسب الله - أصول التشريع الاسلامى .

٨١ - الامام الجوينى / الكافية فى الجدل - تحقيق د / فوقية حسين محمود .

٨٢ - دكتور / مصطفى حلمى - قواعد المنهج السلفى .

(تابع مصادر الكتاب طبقا لورودها أسفل الصفحات)

٨٣ — شيخ الاسلام / ابراهيم الباجورى — حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ٠

— هذا بخلاف العديد من المصادر والمراجع التى وجدت فى ثنايا البحث مشارا اليها ، والله الموفق

دكتور

محمد الغزالى

مع أطيب التمنيات بالنجاح الباهر

محمد كمال

للنسخ والطباعة

الفهـــــرس

تابع الفهـــــرس

تابع الفهـــــرس

تابـــع الفهـــرس

تابع الفهرس

تم بحمد الله والله ولى التوفيق

مع أطيب التمنيات بالنجاح - محمد كمال للنسخ والطباعة .